Dar Al-Hadi



آية الله لطف الله الصافي

راجعه وعلق عليه السيد مرتضى الرضوي

دار الهادي



مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

مع الخطيب
في خطوطه العريضة

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ ـــ ٢٠٠٢ م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/ ٠١ ـ ٨٩٦٣٢٩/ ٠٣ ـ فاكس: ٥٤١١٩٩ ـ ص.ب: ٢٨٦/ ٢٥ غبيري ـ بيروت ـ لبنان

Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon

E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

مع الخطيب
في خطوطه العريضة

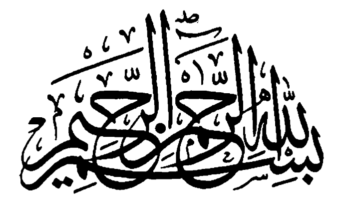
تأليف

لطف الله الصافي

راجعه وعلق عليه

السيد مرتضى الرضوي




بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء الإمام

في إظهار كلمته ، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوّته ، وانتصروا به . ومن كانوا منطوين على محبّته يرجون تجارة لن تبور في مودّته ، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلّقوا بعروته . وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظلّ قرابته فلا تنس لهم اللّهمّ ما تركوا لك وفيك . وأرضهم من رضوانك . وبما حاشوا الخلق عليك ، وكانوا مع رسولك دعاة لك إليك . واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم . وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه . ومن كثّرت في إعزاز دينك من مظلومهم .

اللّهمّ وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الّذين يقولون ربّنا اغفر لنا ولإخواننا الّذين سبقونا بالإيمان خير جزائك . الّذين قصدوا سمتهم ، وتحرّوا وجهتهم ، و مضوا على شاكلتهم ......

اللّهمّ وصلّ على التابعين من يومنا هذا إلى يوم الدّين وعلى أزواجهم ، وعلى ذرّيّاتهم ، وعلى من أطاعك منهم صلاة تعصمهم بها من معصيتك (الخ) .

وكان من دعائه عليه السلام
في الصلاة على أتباع الرسل ومصدقيهم (1)

اللّهُمَّ وَأَتْبَاعُ الرُّسُلِ وَمُصَدِّقُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ بِالْغَيْبِ عِنْدَ مُعَارَضَةِ الْمُعَانِدِينَ لَهُمْ بِالتَّكْذِيبِ، وَالاشْتِيَاقِ إِلَى الْمُرْسَلِينَ بِحَقَائِقِ الإِيمَانِ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَزَمَانٍ أَرْسَلْتَ فِيهِ رَسُولاً وَأَقَمْتَ لأَهْلِهِ دَلِيلاً مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ أَئِمَّةِ الْهُدَى، وَقَادَةِ أَهْلِ التُّقَى عَلَى جَمِيعِهِمُ السَّلامُ فَاذْكُرْهُمْ مِنْكَ بِمَغْفِرَةٍ وَرِضْوَانٍ.

اللّهُمَّ وَأَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَاصَّةً الَّذِينَ أَحْسَنُوا الصَّحَابَةَ. وَالَّذِينَ أَبْلَوُا الْبَلاءَ الْحَسَنَ فِي نَصْرِهِ، وَكَانَفُوهُ وَأَسْرَعُوا إِلَى وِفَادَتِهِ. وَسَابَقُوا إِلَى دَعْوَتِهِ، وَاسْتَجَابُوا لَهُ حَيْثُ أَسْمَعَهُمْ حُجَّةَ رِسَالاتِهِ، وَفَارَقُوا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ

---

(1) هذا الدعاء الرابع من الصحيفة السجادية التي يداوم الشيعة على قراءة أدعيتها. نقلناه هنا ليعرف الباحثون منزلة صحابة النبي (ص) الرفيعة عند الشيعة.

مقدمة الناشر

شاء الله تعالى لهذه الأمة أن تكون الطليعة الحضارية لباقي الأمم، وان تكون الأمة الوسط بكل ما تحمله هذه الصفة من معانٍ حضارية، وأن تكون الأمة الشاهدة، إلى ما هنالك من صفات اختصت بها خير أمة أخرجت للناس، وكانت وحدة هذه الأمة وترابطها القلبي العقائدي هي الجو الطبيعي الذي تتوفر من خلاله على كل خصائصها.

ومن الطبيعي أن يلقي أعداء الاسلام بكل ثقلهم لتمزيق هذه الوحدة بشتى الوسائل الممكنة، مستغلين الأرضية المناسبة المتمثلة في (الجهل، والتعصُّب، والمصالح الضيِّقة) الأمر الذي يلقي على عاتق كل العلماء مسؤولية الوقوف، والدفاع، وتوضيح الحقائق، ونشر التوعية التامة، وهذا ما نجده يتمثل في الجهد الذي بذله سماحة الشيخ المؤلف دام ظله.

فإلى مطالعة هذا العمل التحقيقي الجيد ندعو كل قرّائنا الأعزة.

وإلى نفي كل أرضية للتفريق ندعو كل علماء المسلمين.

ولنكن على حذر من كل الأحابيل (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين).

مقدمة المراجع

طلبت من سماحة المؤلف دام ظله أن أطالع هذا الكتاب وأغيِّر بعض العبارات أو الكلمات وأبدلها بعبارة وكلمة أوضح أو أقرب الى المقصود. فوافق سماحته على هذا الطلب وشرعت بالمطالعة متوكِّلاً على الله تعالى وسائلاً منه التوفيق والقبول. . .

السيد مرتضى الرضوي

مقدمة المؤلف

لاريب في أن الدعوة الإسلامية إنَّما قامت على عقيدة التوحيد، وتوحيد العقيدة، وتوحيد الكلمة، وتوحيد الأنظمة والقواعد، وتوحيد المجتمع، وتوحيد الحكومة، وتوحيد المقاصد.

فعقيدة التوحيد هي المبنى الوحيد لجميع الفضائل، وهي الحجر الأساس للحرية، واشتراك الجميع في الحقوق المدنية.

فلا فضل لعربي على عجميٍّ، ولا لأبيض على أسود، وكل الناس أمام الحق والشرع سواء، والناس كلهم من آدم، وآدم من تراب، قال الله تعالى: «**إنَّما المؤمنون إخوة**» وقال: «**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**».

و«**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**» و«**مثل المسلمين في توادِّهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمّى**» و«**من أصبح ولا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم**».

لقد شملت نعمة الله المسلمين ـ فيما مضى ـ حيث اصبحوا إخواناً معتصمين بحبل الله تعالى، قلوبهم مؤتلفة، وأغراضهم واحدة «**أشداء على الكفار رحماء بينهم**» فتحوا الأصقاع والبلدان، وصاروا سادات الأرض، ودعاة الناس إلى الحريّة والإنسانية، وقوّاد الإصلاح والعدالة الإجتماعية.

هدموا قصور الجبابرة المستبدين، وأنقذوا الضعفاء من استعباد الأقوياء الظالمين، وأخرجوا الناس من ذلِّ سلطان الطواغيت وعبادة العباد، وأدخلوهم في عزِّ سلطان الله وسلطان أحكامه، وعبادته.

هكذا كان المسلمون الذين أخلصوا دينهم لله، ولولا ما نجم فيهم من النقاف وحبِّ الرياسة والحكومة، والمنافرات التي وقعت بينهم في الإمارة لما كان اليوم على الأرض أمة غير مسلمة.

ولكن فعلت فيهم السياسة فعلها الفاتك ففرقت كلمتهم، وأزالت وحدتهم ومجدهم، فصاروا خصوماً متباعدين بعد أن كانوا إخواناً متحابِّين، واشتغلوا بالحروب الداخلية عوضاً عن دفع خصومهم وأعدائهم، ونسوا ما ذكّروا به من الأمر بالاتحاد والأخوّة الدينية، فصرنا في بلادنا أذلَّة، بعد أن كنا في غير أوطاننا أعزَّةً.

وأكثر هذه المفاسد إنَّما أتتنا من أرباب السياسات، ورؤساء الحكومات الذين لم يكن لهم همّ إلاَّ الاستيلاء

على عباد الله ليجعلوهم خولا ومال الله دولا، فأثاروا الفتن، وقلبوا الإسلام رأساً على عقب، وضيَّعوا السنن والاحكام، وعطلوا الحدود، وأحيوا البدع، وقضوا بالجور والتهمة، واستخدموا عبدة الدراهم والدنانير، وأمروهم بوضع الأحاديث لتأييد سياساتهم، وفسَّروا القرآن، وحملوا ظواهر السنة وفق آرائهم، ومنعوا الناس عن الرجوع إلى علماء أهل البيت الذين جعلهم النبي ﷺ عدلاً للقرآن وأمر بالتمسك بهم[1]. فراجع بعين البصيرة والإنصاف كتب التاريخ والحديث حتى تعرف أثر ما فعلته السياسة الغاشمة في تلك الفظائع.

ولا تنس أيضاً أثر سياسات خصوم الإسلام من المسيحيين واليهود وغيرهما في تأجيج نار الشحناء والبغضاء بين المسلمين، فإنَّهم لم يسلبوا سلطاننا، ولم يملكوا بلادنا

---

(١) في الأحاديث الكثيرة كحديث الثقلين المتواتر وله طرق كثيرة في كتب الحديث مثل: صحيح مسلم، ومسند أحمد، والطيالسي، وسنن الترمذي، والبيهقي، والدارمي، وأسد الغابة، وكز العمال، ومشكل الآثار، والجامع الصغير، والصواعق، وتهذيب الآثار، ومجمع الزوائد، وحلية الأولياء، وغيرها، واليك لفظ الحديث في بعض طرقه: «إني تاركٌ فيكم ما إن تمسَّكتم به تضلوُّا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما» وفي بعضها الآخر: «إنِّي أوشك أن أدعى فأجيب، وإنِّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله عز وجل وعترتي، كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنَّهما لن يفترقا حتى يَرِدَا عليَّ الحوض فانظروا بم تخلفوني فيهما».

إلاً بما أوقعوا بيننا من التفرُّق والتشتُّت، وبما بذلوا من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة لبثَّ التنافر والتباغض بين المسلمين ومنعهم من الاتحاد. فهم لا يزالون يضعون حواجز في طريق تقارب الحكومات الإسلامية، ويصرفونهم عن الدفاع عن وطنهم الإسلامي الكبير، ليؤسِّسوا حكومات مستعمرة، وأوطاناً مفتعلة، من غير أن يعتبروها أجزاءً لوطننا الإسلامي، ويطالبونهم بالدفاع عن حدود هذه الأوطان التي أحدثها المستعمرون، وذلك لتفريق كلمة المسلمين، وتضاربهم فيما بينهم حتى تقف كل حكومة منهم في وجه الأخرى.

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسُّراً
وإذا افترقن تكسَّرت آحاداً

والعارفون بأهداف الإستعمار يعلمون أنَّ تجزئة الأمة الإسلامية أعظم وسيلة تمسَّكَ بها المستعمرون للاحتفاظ بسلطتهم.

فيا أخي ما قيمة الوطن الذي افتعله الأجنبي لمصلحة نفسه، وأيُّ امتياز جوهري بين السوداني والمصري، والأردني والسوري، واليمانيِّ والباكستاني، والعربي والعجمي، بعد أن كانوا مسلمين خاضعين لسلطان أحكام الاسلام؟ وأيُّ رابطة أوثق من الروابط الاسلاميّة والأخوة الدينية؟

المسلمون كلهم أولاد علات أبوهم واحد وهو الاسلام، وامهاتهم شتَّى، بلادهم منهم ولكن الاستعمار صيَّرهم أقواماً متمايزة، وأراد أن تكون في كل بلد وإقليم حكومة خاصة، وشعائر تميِّز بعضها من بعض، والله تعالى أراد أن يكون الجميع أمة واحدة.

قال الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾[1]

وقال عزَّ من قائل: «وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2]

فالمسلم أخو المسلم سواء كان من أهل قطره أم لا، المسلم الفلسطيني أخ للمسلم العراقي، وللمسلم الإيراني، وللمسلم الصيني، وللمسلم الأرجنتيني، ووو... الخ.

جميع بلاد الاسلام وطن لكل مسلم، والاسلام حكومته، وقانونه وسياسته، وعقيدته، ودينه.

أما الحكومات العميلة التي لا يتصل بعضها ببعض بالصلات الاسلامية الوثيقة، والتي جعلت شعارها القوميات الضيِّقة المحدودة، وتشدَّقت بالدفاع عنها، ولم تكترث لأوضاع العالم الإسلامي، وما يصيب المسلمين في غير

---

(١) المؤمنون: ٥٢.

(٢)آل عمران: ١٠٥

إقليمها من الضعف والاضطهاد، فلا تخدم إلاَّ أعداء الاسلام ما لم تجعل شعارها الوحيد الاحتفاظ بمصالح المسلمين وتحقيق أهداف الاسلام في شرق الأرض وغربها.

فيا الله، يا منزل القرآن، ويا منزل سورة التوحيد وحِّد حكوماتنا، وخلص المسلمين من كل حكومة انفصالية إقليمية، وأجمعهم تحت راية حكومة إسلامية واحدة.

المسلمون شعارهم واحد، ومقصدهم واحد، وعقيدتهم واحدة لا يعين المسلم غير المسلم على أخيه المسلم، ولا يرغب المسلم في حكومة قامت على خيانة المسلمين، ولا يذلُّ نفسه عند الكفار ليعينوه حاكماً على المسلمين.

المسلم لا يكتب ما يوجب اشتداد البغضاء والتنافر بين إخوانه، ويمنعهم من التقارب والتفاهم.

هذا شيء يسير من تأثير السياسات الغاشمة في الأمة الإسلامية، ولم يبق منها في هذا العصر ما يمنع من التوفيق بين المذاهب، واتحاد المسلمين واجتماعهم تحت لواء الاسلام إلاَّ بعض العصبيات الجامدة التي لا تستند إلى حقيقة، وليس فيها مصلحة للمسلمين، كما لم يبق غير دعايات الاستعماريين «من الشيوعيين والرأسماليين»، وقد قام بينهما الصراع من أجل استعمار ممالك المسلمين، وكل

منهم يحاول أن يستعمر القسم الأكبر منها ولا يرى إلاَّ ما فيه مصلحة لنفسه أبعدهما الله عن المسلمين وممالكهم، وخذل عملاءهما، وكل الحكومات التي تأسست على رعاية منافعهما، وموادَّة من حادَّ الله ورسوله.

هذا بلاء المسلمين في عصرنا، ومنه يتوجه الخطر إليهم، وهذه السياسة هي التي لا تتوخى إلاَّ فقر المسلم وجهله.

وهذه هي التي تشيع الفحشاء في المسلمين، وتبيح الخمر والقمار والربا، وتدعو إلى السفور، وتروج الدعارة والتحلل، وخروج النساء سافرات عاريات.

هذه السياسة هي التي تريد اشتغال المسلمين بالملاهي والمعازف، وانصرافهم عن حقائق الاسلام والقرآن، وتروج البطالة، ولا تحب اشتغال المسلمين بالعلوم النافعة، والصنايع المتقدمة، وتأسيس المعامل حتى لا يباع في أسواقهم إلاَّ متاع المستعمرين.

وأمَّا السياسات التي عملت على تفريق المسلمين في القرون الأولى والوسطى فقد عفى عليها الزمان. فمضت العصور التي استعبد الناس فيها جبابرة الأمويين والعباسيين، ومضت الأعصار التي كان فيها تأليف الكتب وجوامع الحديث تحت مراقبة جواسيس الحكومة.

مضت العصور التي كان العلماء يعانون فيها من

اضطهاد شديد، والعمال والولاة يتقربون إلى الخلفاء والأمراء بقتل الأبرياء ونفيهم عن أوطانهم وتعذيبهم في السجون وقطع أيديهم وأرجلهم.

مضى الذين شجعوا العمل على التفرقة، واختلاف الكلمة، وإشعال الحروب الداخلية.

مضت السياسات التي سلبت عن مثل النسائي حرية العقيدة والرأي، وقتلته شرَّ قتلة.

مضى عهد الجبابرة الذين صرفوا بيوت أموال المسلمين في سبيل شهواتهم، واتخذوا القينات والمعازف هواية لهم.

مضت العصور التي سبوا فيها على المنابر أعظم شخصية ظهرت في الاسلام لا يريدون بسبِّه إلاَّ سبَّ الرسول ﷺ[1].

مضت الأزمنة التي كان يرمي فيها بعض المسلمين بعضهم بالافتراء والبهتان وحتى الكفر والإلحاد.

مضت العصور المظلمة التي عاشت فيها كل فرقة وطائفة من المسلمين كأمة خاصة لا يهمها ما ينزل على غيرها من المصائب والشدائد، ولم يكن بينهم أيُّ تعاون أو

(١) يشير المؤلف هنا إلى معاوية الذي أعلن سب الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام على المنابر ألف شهر انظر «رسائل الجاحظ» تحقيق الاستاذ السندولي، طبع القاهرة. (الرضوي).

أدنى تجاوب.

نعم لقد مضت تلك العصور، وظهرت في تاريخ الاسلام صحائف مشرقة مملؤة بنور الإيمان والأخوة الإسلامية، فقامت جماعة من المصلحين المجاهدين بالدعوة إلى الإصلاح والاتحاد، فأدركوا أنَّ آخر هذا الدين لا يصلح إلاً بما صلح به أوله، وأعلنوا أنَّ المستقبل للإسلام، و«**أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين**».

فدعوا إلى اتباع الكتاب والسنَّة، ورفض العصبيات: العصبية الشعوبية، والعصبية المذهبية والقبيلية، فأدّوا رسالتهم في شرق البلاد الإسلامية وغربها، ورزقهم الله التوفيق في توحيد الكلمة، وجمع شمل الأمة فأثَّرت أعمالهم الإصلاحية في نفوس المسلمين أثراً جميلاً، ولبَّى دعوتهم جمٌّ غفيرٌ من الغيارى على الإسلام من العلماء الأفذاذ وغيرهم.

فكان من ثمرات هذه الجهود الجبارة بل ون أحلى أثمارها تأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة، واصدار مجلة «رسالة الاسلام» العالمية التي جعلت شعارها قوله تعالى:

«**إنَّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**».

وكتب فيها من كتّاب المذاهب ودعاة الخير والإصلاح

ورجالات الإسلام جماعة من المشايخ، والأساتذة، فحققت مساعيهم كثيراً من أهدافهم في رفع التدابر والتنافر.

وكان من فوائد هذه الجهود عرض عقائد كلٍّ من الفريقين على الآخر بعد أن لم يكن لأكثرهم معرفة بمذهب غيرهم في الأصول والفروع، وكان هذا الجهل سبباً لتكفير بعضهم بعضاً في الأزمنة الماضية، فعرفوا اتفاق الكُل في الأصول، وأنَّ بعض الخلافات التي أدّى إليها اجتهاد كل فريق لا يضر بالتقريب والتفاهم بعد اتفاق الجميع في الأصول.

وسيبزغ بفضل هذا الجهاد فجر وحدة المسلمين، ويصبحون كما أصبح اسلافهم في حياة النبي ﷺ إخواناً، ويدخل هذا الدين على ما دخل عليه الليل، ولا تبقى قرية إلاً ونودي فيها بكلمة التوحيد.

نعم: إنَّ قوماً إلههم واحد، وكتابهم واحد، وقبلتهم واحدة، وشعائر دينهم واحدة، وقد جعلهم الله أُمَّة واحدة. أترى أنَّ ليس إلى دفع مشاجراتهم واختلافاتهم من سبيل؟

إنَّ الاسلام يدعو إلى وحدة الأمم، ووحدة الأقوام والطوائف في مشارق الأرض ومغاربها.

دين الاسلام دين التوحيد، ودين خلع العصبيات، ورفض ما يوجب الشحناء والعداوات، دين يسير بأبناء البشر نحو حكومة عادلة ومساواة انسانية كاملة، ونظام عدل

للاقتصاد والاجتماع، ونظام للحكم والدستور، ونظام للتربية والتعليم، ونظام في جميع نواحي الحياة، ونظام للجموع وهم فيه سواء.

أترى أنَّ هذا النظام الإلهي لا يقدر على فصل الخصومات، وحسم المنازعات بين أبنائه؟

أترى أنَّ الاسلام لم تكن له أساليب وتعاليم صحيحة لتمكين الأمة في الوطن الإسلامي الكبير الذي يشمل جميع المسلمين، أحمرهم، وأبيضهم، وأسودهم؟

أترى أنَّه لا يعرض على أبنائه دواءً لدائهم؟

أترى أنَّه لا يقدر على رفع المشاجرات التي أحدثها عمال السياسات الغاشمة، وأيدي الاستعمار الظالمة. تلك المشاجرات التي تعود كل فائدتها لأعدائنا؟

أترى أنَّ الله حرم على هذه الأمة أن يجلسوا على صعيد واحد ويعيشوا في ظل حكومة واحدة فأقفل عليهم باب التفاهم والتجاوب؟

هذا هو القنوط من رحمة الله. واليأس من روحه، وكل دائنا يرجع إلى ذلك.

ودواؤه: الثقة بالله، والإيمان بأنَّ النصر من عنده. وأنَّ جند الله هم الغالبون، وأنَّ العالم سيلجأ إلى الإسلام، وأنَّه هو الدافع الفذ للمشاكل التي أحاطت بالجامعة الانسانية،

وأنَّ المسلمين هم الذين يجب عليهم أن يؤدّوا رسالة الاسلام إلى غيرهم، وقد آن وقت ذلك، وإن لم يأن فعن قريب سيجيء إن شاء الله تعالى.

فإذاً لا عجب إن قامت في المسلمين نهضات للإصلاح، ورفع التفرقة وجمع الشمل، وإعادة كيانهم المجيد، ومجدهم العزيز.

ونسأل الله تعالى الاستقامة والصبر للمصلحين، ولم يؤازرهم على توحيد كلمة المسلمين إنَّه لما يشاء قدير.

«ربنا أفرغ علينا صبراً، وثبِّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين»

المؤلف

شوال ١٣٨٢

الخطوط العريضة

المسلمون كما أسلفنا في حاجة ماسة إلى الاتحاد ورفض ما أوجب الشحناء بينهم في الأجيال الماضية. وإذا كانت بينهم بعض الخلافات فيجب عليهم أن لا يجعلوها سببا للتنازع والتخاصم. قال الله تعالى:

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1].

سيما في هذا العصر الذي تداعى علينا الأمم كما تداعى الأكلة على القصاع[2].

وأولى الناس برعاية هذا الواجب هم الكتّاب والمصنِّفون فإنَّهم أدلاّء العامة، وهداة الحركات الفكرية،

---

(١) الأنفال: ٤٦.

(٢) أخرج أبو داود في باب «تداعي الأمم على الاسلام» من كتاب «الملاحم» ٢، ٢١٠ بطريقة عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها» فقال قائل: ومن قلةٍ يومئذٍ؟ قال: «بل أنتم يومئذٍ كثير ولكنكم غُثاءٌ كغُثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذ فنَّ الله في قلوبكم الوهن». فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت».

فكما تكون لبعض المقالات والمؤلفات آثار قيّمة لجمع الشمل وعزّ الاسلام، يكون لبعضها الآخر من مصارع السوء والآثار المخزية ما لا يمكن دفعها إلاً بعد مجاهدات ومجاهدات. فيجب على المؤلفين الاحتراز عما يوجب إثارة الضغائن المدفونة، كما أنه يجب عليهم التجنب عن الافتراء والبهتان، ورعاية الأمانة، والصدق، ونصيحة الأمة.

فإنَّ أراد كاتب أن يكتب حول مذهب ما كلمة أو كتاباً، فالواجب عليه الرجوع إلى مصنفات علماء هذا المذهب في العقائد والفقه، وملاحظة آراء أكابرهم، والنظرات المشهورة بين أهل هذا المذهب، وترك الآراء الشاذة المتروكة بينهم، وأنَّ لا يأخذ البريء منهم بجرم المسيء، ولا ينسب إلى الجميع ما ذهب إليه بعض من ابتلي بالشذوذ في الرأي، فإنه ما من مذهب إلاّ ويوجد فيه من له بعض الآراء الشاذة.

ولعمر الحق لوراعى الكتَّاب، والمؤلفون هذا الأمر حق رعايته لذهبوا بكثير من أسباب المنازعات، والمخالفات، ولما وقعت بين المسلمين هذه المنافرات، ولما اتهم المسلم أخاه المسلم بالكفر والشرك. وهذا أدبٌ يجب على كل كاتب أن يرعاه وإن لم يكن مسلماً.

فإذا طهرت الصحف والأقلام من دنس الأغراض

والعصبيات وانتزعت تلك الوسائل من أيدي الجهّال وغير الخبراء، تخلصت نفوس العامة من الاحقاد والضغائن، ومن إساءة الظن بالأبرياء.

هذا ونحن لا نخفي أسفنا الشديد على ما يصدر عن الكتّاب مما لا ينتفع به إلاَّ أعداؤنا، وليست فيه أية فائدة إلاَّ الضعف والفشل، وخدمة الاستعمار الغاشم، مضافاً إلى ما في كلماتهم من الافتراء والبهتان.

نحن نحسن الظن بإخواننا المسلمين، ولا نحب أن يصدر عن مسلم بصير بعقايد أهل السنَّة والشيعة وآرائهم مثل هذه المقالات التافهة، ونرجو أن لا يكون بين المسلمين من يتعمَّد ذلك، ونكره أن يكون بين الأمة من يخون الإسلام بلسانه، وقلمه، ولا يشعر بضرره على قومه وأمته.

وربما عذرنا بعض الكتاب الذين يكتبون في الأجيال الماضية عن الشيعة أو أهل السنّة، ويسندون إليهم المقالات المكذوبة عليهم حيث لم يكن العثور على كتب الفريقين وآرائهم في وسع كل كاتب، أمَّا في هذا العصر الذي أصبحت فيه كتب الفريقين في متناول جميع الباحثين، ويمكن استعلام عقيدة كل طائفة من علمائها أنفسهم بكل الوسائل والسبل، فلا عذر لمن يرمي أخاه بما ليس فيه، ويتهمه بمجرد سوء الظن، وقد قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[1].

ومن الكتب التي نسبت الى الشيعة المخاريق العجيبة، وسلكت مسلك أنصار الأمويين وغيرهم من أعداء عترة النبي ﷺ كتاب سماه مؤلفهُ [الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الإثني عشرية] فبالغ في البهتان والافتراء، وتجريح عواطف الشيعة وأهل السنّة. وفيه من الكذب الظاهر والفحش البيّن، والخروج عن أدب البحث والتنقيب، ما لا يصدر إلاَّ عن جاهل بحت، أو من كان في قلبه مرض النفاق، وأراد تفرقة المسلمين، وإفساد ذات بينهم، وقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذي وأحمد وأبو داود:[2].

«ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصلوة، والصدقة، إصلاح ذات البين. فإنَّ فساد ذات البين هو الحالقة».

وفي خبر من طرقنا أنَّه ﷺ قال:

«صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام».[3]

وأخرج الطبراني عنه ﷺ: **«مَنْ ذَكَرَ أمرأ بماليس فيه ليعيبه حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاد ما قال»**.[4]

---

(١) الحجرات: ١٢.

(٢) الجامع الصغير: ١/ ١١٤ الطبعة الرابعة.

(٣) نهج البلاغة: ٣/ ٤٧.

(٤) الجامع الصغير: ٢/ ١٧١.

فما ظنك يا أخي بمن أشاع على طائفة من المسلمين الذين آمنوا بالله ورسوله، وكتابه، وباليوم الآخر، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويصومون، ويحجون ويحرمون ما حرم الله في كتابه وسنة نبيه، ويحلون ما أحلَّ الله، ورسوله، ما هم منه أبرياء.

وقد طعن في هذا الكتاب على أئمة المذهب ومفاخر الاسلام، ودافع عن سيرة يزيد بن معاوية، وأظهر انحرافه عن أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي لا يحبه إلاّ مؤمن، ولا يبغضه إلاّ منافق، ليهيج الشيعة ويستنهضهم على أهل السنّة، حتى يعارضوا ذلك بالمثل فيتحقق أمله وأمل أعداء الدين من المستعمرين وغيرهم بإثارة خصومة حادة بين المسلمين، فإنَّ الاستعمار لا يحب أن يرى الشيعي والسنيّ يغزوانه في صف واحد، ولا يريد اتفاقهما في محاربة الصهيونية، ولا يريد اتحاد المسلمين في إحياء مجدهم واسترجاع ثراثهم الاسلامي، واستعادة البلاد والأراضي المغتصبة منهم.

الاستعمار يريد الشِّقاق والنفاق حتى يصفو له الجو، وتتحقق أهدافه. ومحب الدين الخطيب كاتب «الخطوط العريضة»، ومن يسلك سبيله يمهد له الوصول إلى مطامعه الخبيثة من حيث يعلم أو لا يعلم.

ولكن لا يبلغ الاستعمار آماله إن شاء الله تعالى. وسينجح المصلحون، ولا تهن عزائمهم بهذه الكلمات فإنَّهم أعلم بمقالات أرباب المذاهب وآرائهم، والتقريب

فكرة إصلاحية كلما مرَّ عليها الزمان يزداد المؤمنون، بها، وإنّ رأى محب الدين استحالتها فلأنه لم يفهم أو لم يشأ أنّ يفهم معناها.

وبعد ذلك كله فنحن نكره أن نتكلم في نية محب الدين، وأنَّه أراد إثارة الفتن، وخدمة أعداء الاسلام، وإعانتهم على هدم كيان المسلمين، فالله هو العالم بالضمائر، فلا نريد أن نسير معه في مقالاته، ونوضح أخطاءه وعثراته، بل نريد تخليص أذهان بعض إخواننا من أهل السنّة وتطهيرها من هذه التهم والافتراءات، وجعلنا كتاب الخطوط العريضة مورد البحث والنقد، لأنَّه بالغ في التهجُّم على الشيعة، وأتى بكل ما أراد من الكذب والبهتان، ولم نعارضه بالمثل فـ ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[1] بل لم نتعرض لما عند أهل السنَّة من آراء شاذة في الفروع والأصول، وما نسب أهل الاعتزال إلى الأشاعرة والأشاعرة إلى المعتزلة، وأتباع بعض المذاهب إلى غيرهم وما حدث بينهم من المجادلات الكلامية في الكلام، وخلق القرآن، وغيره، وتكفير بعضهم بعضاً إلاَّ ما دعت الحاجة إليه لتوضيح المراد، وتحقيق البحث والتنقيب فإنّا لا نرى فائدة

---

(١) النحل: ١٠٥.

في نقل هذه المناقشات إلاَّ ضعف المسلمين وتشويه منظر الدين ونأخذ بما أدَّبنا الله تعالى به فقال سبحانه.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[1].

ونقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

(١) فصلت: ٣٤.

(٢) الحشر: ١٠.

كيف تمت فكرة التقريب؟!

قال محب الدين الخطيب في ص ٥: «ونضرب لذلك مثلاً بمسألة التقريب من أهل السنَّة والشيعة... ثم هاجم دار التقريب بشدَّة لأنَّ غرضه الأصلي من تأليفه الخطوط العريضة! مهاجمة مبدأ التقريب».

إنَّ من سبر أحوال المجتمع الإسلامي في أمسه ويومه، ووقف على الصراع الطائفي الذي أدّى بالمسلمين إلى مثل هذا الضعف والانحلال، والسقوط في أحضان الاستعمار لَوَجَدَ أنَّ سبب هذا التنافر والتشاجر جلّه أوكله يرجع إلى سياسات غابرة أنتهت، وكانت من نتائجها إبادة أربابها، ولأدرك كما أدرك المصلحون ودعاة الوحدة والتقارب، أنَّ الاسلام لن تعود إليه دولته الذاهبة إلاَّ إذاعات إلى المسلمين وحدتهم في ظل الإسلام.

والواقع: إنَّ من أعظم الأسباب التي ادت إلى نشوب هذه المعارك المذهبية إنَّما هو جهل كل طائفة بآراء الطائفة

الأخرى، وأنَّ التقارب بين المذاهب الإسلامية أمرٌ ممكن إذا ما قُدِّر للمسلمين أن يعيشوا في أفقٍ أعلى وأنزه مما عاشوه في بعض أجيالهم الماضية.

بل أنَّ ذلك ضرورة حتمية لمصيرهم ومستقبلهم، وليس ذلك من المستحيل كمازعمه الخطيب، بل يمكن أن يعيش المسلمون في محبة ووئام كما عاش خيار الصحابة في صدر الإسلام مع اختلافهم في الرأي والفتيا، حيث كانوا إخوة أحباء تتميز أخوتهم بالتفادي والإيثار، ولم يُفْضِ اختلافهم في الرأي إلى جفوة أو بغضاء أو تدابر أو تقاطع أو شحناء.

نعم أدرك المصلحون أن المجتمع الإسلامي في عصرنا هذا لا يقبل تكفير المسلم المؤمن بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ بمجرد الزعوم والافتراءات والخلافات الفرعية[1].

فليست إذاً فكرة التقريب فكرة شيعية أو فكرة سنية فضلاً عن أنّ تكون وليدة فكرة حكومة شيعية أو سنيّة، ولم تؤسس دار التقريب للتقريب بين السّنيين والشيعيين فقط بل تأسست للتقريب بين جميع المذاهب الاسلامية، وقد ساهم

---

(١) أنظر في ذلك ما كتبه الأستاذ العلامة الشيخ محمد تقي القمي السكرتير العام لجماعة التقريب تحت عنوان: «قصة التقريب» في مجلة «رسالة الإسلام» في العدد الرابع من السنة الحادية عشرة.

في تأسيسها من رجال العلم والدين أفذاذ لايشك في صدق نيّاتهم

وأما ما ذكره من إنفاق دولة شيعية على دار التقريب فنحيل الفاحص عن ذلك إلى أقطاب جمعية التقريب السنّيين وغيرهم.

ولو سُلِّم كون التقريب فكرة شيعية وصدر من مبدأ شيعي فلماذا لا يقبله السُّني؟! ألأنه فكرة شيعية؟ ما الذي يمنع الإنسان المسلم من التفكّر والتأمل في آراء الطرفين؟

وماذا يخسر السنُّي إذ ما عرض عليه الشيعي آراءه وعقائده لئلا يسيء به الظن أو يتهمه بالفسق أو الكفر؟

إن الشيعي لا يرى بذلك بأساً ولا يحسُّ ضرراً من أن يدرس عقائد أهل السنّة ومذاهبهم فهو حرًّ في دراسة جميع العقائد وله الخيار في أن يقرأ كتب أهل السنَّة وصحفهم ومجلاتهم.

فهذه مكتبات قم، والنجف وطهران وجبل عامل وغيرها من البلاد والعواصم الشيعية، والجامعات العلمية مملوة من مصنّفات إخوانهم أهل السنَّة (قديمها وحديثها)، ومن الصحاح، وجوامع الحديث، والتفاسير، والتواريخ يدرسونها في مدارسهم وهي غاصةٌ بكتب المتأخرين، والمعاصرين أمثال الشيخ محمد عبده، ومحمد فريد وجدي. والعقّاد، ورشيد رضا، وهيكل، والطنطاوي،

وأحمد أمين، وسيد قطب، ومحمد قطب، والندوي، والمودودي وعفيف طبارة، ومحمد الغزالي، وعبد الرزاق نوفل، والشيخ منصور علي ناصيف مؤلف «التاج الجامع للأصول»، والشيخ المراغي، والشيخ نديم الجسر، وغيرهم.

وهذه محاضرات الشيعة في الفقه يدرسون فيها أقوال جميع أئمة الفقه ورؤساء المذاهب، ويذكرون خلافاتهم، ويبحثون في أدلة الأقوال، ويأخذون بما هو أوفق بالكتاب والسنَّة باجتهادهم من غير تعصب لرأي.

لقد كانت هذه سيرتهم منذ القديم فراجع كتاب «الخلاف» للشيخ الإمام أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، و«التذكرة» للعلاّمة الحلّي وغيرهما، لم يمنع أحد من العلماء تلامذته وطلبة العلوم من مراجعة كتب أهل السنَّة، ولا ينكر أحد على أحد شراءه وبيعه كتب أهل السنَّة في العقائد والحديث والكلام، ولا يرون بذلك كله بأسا، بل يستحسنونه ويحثّون عليه.

فرية الخطيب على علماء النجف

حكى الخطيب[1] في ص ٦ نسبة بشعة من بعض كتب الشيعة إلى الخليفة عمر بن الخطاب، ونسب نشر الكتاب الذي ذكرت فيه هذه النسبة إلى علماء النجف ونسب إليهم أنَّهم قالوا فيه عنه كذا. . .

من أوضح ما يُظهِر سوءَ نية الخطيب، وأنَّه لم يُرد إلاَّ إثارة الفتن والشقاق والخلاف بين المسلمين بافتراءاته النّابية إسناد نشر الكتاب المفترى إلى علماء النجف، وحكايته عنهم أنهم قالوا فيه عن عمر بن الخطاب أنَّه كان. . .

ولو أنَّه اسند ما افتراه إلى ناشر معين وذكر اسم مؤلفه لكان له عذر في نقله. ولكنه اسند نشره كذباً وبهتاناً إلى علماء النجف يعني به جميعهم، وهم من أحوط الناس على

(١) في الطبعة الأولى من خطوطه وحذفها من الطبعة السادسة.

رعاية حرمة الإسلام والمسلمين، لا تجري أقلامهم وألسنتهم الطيبة النزيهة إلاَّ في الإصلاح بين المسلمين، وتوحيد كلمتهم، ودعوتهم، وإرشادهم إلى الخير، ورفض البغضاء والشحناء، فهم في طليعة المصلحين المجاهدين لتحقيق الوحدة الإسلامية، ونبذ ما يوجب الخلاف والشقاق.

إذاً فلا شك أنَّه لم يرد بما حكاه عنهم إلاَّ تجريح العواطف، وتهييج الفتنة، وافتراق كلمة المسلمين، أو النيل من الخليفة بنشر هذه النسبة إليه، وتسجيل نقلها عن علماء النجف وفيهم من رجالات الدين والعلم والمعرفة بتواريخ الاسلام، وتراجم الرجال من آراؤه واقواله في غاية الاعتبار والاعتماد، فكأنه أراد بما حكاه عن علماء النجف تسجيل أصل النسبة إلى الخليفة واشاعتها، فإنَّ الكتاب الذي ذكر فيه هذه النسبة «أن كان الخطيب صادقاً فيما حكاه» ليس معروفاً كما أنَّه ليس في متناول ايدي الشيعة ولا أهل السنَّة، فنحن لم نقف عليه ولا على اسم كاتبه بعد، رغم الفحص الكثير في المكتبات، وبالتالي لم نطلع على ما فيه إلاَّ عن طريق الخطيب في كتابه الذي نشره في ارجاء العالم الاسلامي، وجعله في متناول أيدي أعداء الاسلام، والمتتبِّعين

لعورات المسلمين. وكان الواجب على حكومات البلاد الاسلامية مؤاخذة الخطيبة ومصادرة كتابه المتضمن لهذه الفرية وحكايته لها في كتاب يقرؤه المسلمون وغيرهم.

وعلى كل حال لا حاجة لنا بتبرئة علماء النجف ممَّا حكى عنهم فإنَّ شأنهم الرفيع أكبر وأنبل من ذكر الأمور الشائكة في كتبهم، فهم معتمدون في مقالاتهم وآرائهم في الفقه والعلوم الاسلامية على أقوى الأدلة العلمية.

هذا، ولو فرضنا أنَّ هناك من ذكر شيئاً من هذا القبيل عن مصدر لا يعتمد عليه، فهل يجوز نسبته إلى الشيعة! فإذا كان ذلك جائزاً فيجوز إذن أن تنسب إلى السنَّة عقائد النواصب الذين سبّوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأحدثوا في الاسلام ما أحدثوا، وقتلوا سبطي رسول الله وريحانتيه عليهما السلام.

والعجب أنَّ الخطيب تارة يقول أنَّ التقية عند الشيعة عقيدة دينية تبيح لهم التظاهر بغير ما يبطنون، وأخرى يقول بتظاهرهم بأمر لو كان التقية من دينهم لكان الواجب عليهم أن يستروه لا أن يذيعوه ويكتبوه، وينشروه حتى يقرأه كل معاضد ومعاند، فتأمّل ما في

كلماته من التهافت والتناقض ومجانبة الحق والانصاف، عصمنا الله تعالى منها.

الأصول قبل الفروع

قال الخطيب في ص ٧: «ومن أتفه وسائل التعارف أنَّ يبدأ منها بالفروع قبل الأصول. فالفقه عند أهل السنَّة وعند الشيعة لا يرجع إلى اصول مسلمة عند الفريقين، والتشريع الفقهي عند الأئمة الأربعة من أهل السنَّة قائم على غير الأسس التي يقوم عليها التشريع الفقهي عند الشيعة، وما لم يحصل التفاهم على هذه الأسس والأصول قبل الاشتغال بفروعها، وما لم يتمَّ التجاوب في ذلك من الباحثين في المعاهد العلمية الدينية للطائفتين، فلا فائدة من إضاعة الوقت في الفروع قبل الأصول. ولا نعني بذلك أصول الفقه بل أصول الدين من جذورها الأولى... الخ».

إن كان مراده من الأصول تلك التي قامت عليها دعوة الإسلام فلا اختلاف فيها بين المسلمين من الشيعيين والسنِّيين، لا اختلاف بينهم في أنَّ الله واحدٌ أحدٌ صمدٌ، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وليس كمثله شيء، كما لا خلاف في أنَّه عليم قدير، سميع بصير، له الأسماء الحسنى.

ولا في نبوة أنبياء السلف، ولا في نبوة خاتم الأنبياء وسيدهم محمد بن عبد الله ﷺ، ولا في أنَّ القرآن كتاب الله الذي أنزل إليه ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ولا اختلاف بينهم في المعاد، والثواب، والعقاب، والجنة والنار، وغير ذلك من الأمور الاعتقادية التي يعرفها المسلمون، ويؤمنون بها كلُّهم، كما لا خلاف بينهم في وجوب الصلوة، والصوم، والحج، والزكاة وغيرها من التشريعات المالية والبدنية، والاجتماعية والسياسية.

وإن كان مراده من الأصول مسائل اخرى مما اختلف فيه الصحابة أو التابعون أو الفقهاء فليست هذه المسائل من تلك، وإذا كان الخطيب يعرف أصلاً من الأصول التي قامت عليها دعوة الاسلام مما يعدُّ الإيمان به في عصر النبي ﷺ والصحابة من شرايط الاسلام ولا يعرفه المسلمون من أهل السنَّة أو الشيعة في هذا العصر فنحن نطالبه بإظهاره.

الأسس التي يقوم عليها التشريع الفقهي

وأمَّا ما ذكره من أنَّ الفقه عند أهل السنَّة وعند الشيعة لا يرجع إلى أصول مسلَّمة عند الفريقين، وأنَّ التشريع الفقهي عند الأئمة الأربعة من أهل السنَّة قائم على غير الأسس التي يقوم عليها التشريع الفقهيُّ عند الشيعة. فجوابه: إنَّ الفقه عند جميع المسلمين من الشيعة وأهل

السنَّة يرجع إلى الكتاب والسنَّة، والشيعة من أشدِّ الناس تمسُّكاً بهما إن لم نقل إنَّهم أشد الفريقين في ذلك، ومع ذلك كيف تكون الأسس التي قام عليها التشريع الفقهي عند أهل السنَّة غير الأسس التي قام عليها عند الشيعة؟ وما الفرق بين السنِّي والشيعي في هذه الأسس[1]؟ نعم لا يجوز عند الشيعة إعمال القياس والاستحسان والرأي في الشريعة كما هو المعمول به عند بعض رؤوساء المذاهب الأربعة، لأنَّ القول بجواز العمل بالقياس والاستحسان يفضي عندهم إلى القبول بنقص الشريعة التي لم تترك شيئاً من الأمور الدينية والدنيوية إلاً وقد بيَّنت حكمه فليس هناك من حاجة إلى اعمال القياس لإمكان استخراج أحكام جميع الوقايع

---

(١) ونعم ما قال فضيلة العلاّمة الاستاذ، الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر فيما كتبه جواباً عن مسائل أبي الوفاء الكردستاني، وإليك بعض نصوصه: «على أن تقسيم المذاهب إلى شيعة وسنَّة إنَّما هو اصطلاح في التسمية. وإلاً فكل المسلمين أهل السنَّة لأنَّهم جميعاً يوجبون الأخذ بالسنَّة، والشيعة كذلك من غير شك إذ أنَّ الشيعي لا يقول: قد يثبت حديث ما عن رسول الله ﷺ وأرفض العمل به من حيث هو حديث ثابت عن رسول الله ﷺ ولكنه يقول كما يقول جميع المسلمين: إذا صح الحديث فهو مذهبي. وإنَّما وقع الخلاف أحياناً في ثبوت الحديث عند فريق وعدم ثبوته عند فريق آخر، وتوضيحاً لذلك نذكر ما ذكره أخونا العلاّمة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء الشيعي الإمامي في العراق في بعض ما كتب: [إن عندنا قضية صغرى وقضية كبرى تؤلفان قياساً واحداً شكله هكذا: «هذا ثبت عن رسول الله ﷺ، وكل ما ثبت عن رسول الله ﷺ يجب العمل به شرعاً. فالخلاف بين المسلمين ليس في الكبرى، بل كلُّهم مجمعون عليها إجماعاً لا يتطرق إليه الشك، وإنَّما هو في الصغرى»] (انظر: رسالة الاسلام، العدد ٣، ٤ من السنة الثانية عشرة).

والاحداث والقضايا من الكتاب والسنة، وعدم وجود واقعة لا يمكن إدراجها تحت الأحكام الكلّية وذلك لم يكن من مختصّات الشيعة.

ولا يخفي عليك أنَّ أكثر الخلافات الواقعة في الفقه إنَّما يرجع إلى اختلاف الاجتهاد في استخراج الحكم من النصوص، وثبوت بعض الأحاديث عند مجتهد، وعدم ثبوته عند مجتهد آخر.

هذا مضافاً إلى أنَّه لا ملزم للمجتهد في أنَّ يتبع الأسس التي قام عليها التشريع الفقهي بحسب مذهب خاص، ولا أن يكون مقيّداً بطريقة إمام خاص كالشافعي، وأبي حنيفة وغيرهما وإلاً لكان تقليداً لا اجتهاداً بل يجب أن يكون المتبع هو الأسس التي قام عليها التشريع الاسلامي «الكتاب والسنَّة» سواء وافق رأي أهل مذهب خاص أم لم يوافق، فإن وافق اجتهاد مجتهد في مسألة فتوى الشافعي، وفي مسألة فتوى الحنفي وفي مسألة فتوى المالكي، وفي مسألة فتوى مجتهد شيعي فلا بأس به إذ إنَّ المحذور مخالفة الأصول التي قام عليها التشريع الإسلامي لا الأسس التي قام عليها اجتهاد مجتهد خاص.

وقد كان المسلمون قبل حصر المذاهب في الأربعة يجتهدون في الكتاب والسنة كما هو سيرة الشيعة الأمامية في الاجتهاد إلى اليوم.

وأمَّا صحة الاجتهاد في فتوى مجتهد خاص فلم يدلَّ عليها دليل، من الكتاب والسنَّة، مضافاً إلى أنَّ ذلك يوجب سدَّ باب الاجتهاد، وسلب الحرية عن المجتهدين، وتوقف الفقه الاسلامي عن مسيره، وحرمان العلماء من التفكير والتأمل في الكتاب والسنة، وأظن أنَّ الأئمة الأربعة أيضاً لم يريدوا أن يكون مسلكهم في الفقه حجة لسائر المجتهدين، وسبباً لإقفال باب الاجتهاد عليهم، لتنحصر المذاهب في الأربعة(١)، كما أظن أنَّ المجتهدين لو جعلوا نصب اعينهم التشريع الاسلامي، والكتاب والسنة، ولم

(١) وقد أعلن عن فتح باب الاجتهاد، وعدم لزوم اتّباع إمام مذهب خاص، وعدم حصرها في المذاهب الأربعة، وجواز التعبد بمذهب الأمامية فضيلة العلامة شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت في فتواه التاريخية، وفي اجوبة مسائل أبي الوفاء المعتمدي الكردستاني، وفي موارد أخر. فراجع رسالة الإسلام العدد الثالث من السنة الحادية عشرة، والعدد الثالث والرابع من السنة الثانية عشرة، وما ادلى به فضيلته إلى إحدى الصحف المصرية الكبرى من حديث خطير الشأن وقد سجلت بعض فقراته رسالة الاسلام في عددها الأول من السنة الحادية عشرة حيث صرح فيه بجواز التعبد في كثير من المسائل بمذهب الشيعة الإمامية خضوعاً لقوة الدليل ذكر منها على سبيل المثال مسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد فانه يقع في المذاهب السنية ثلاثا، ولكنه في مذهب الشيعة يقع واحدة رجعية، ومسألة الطلاق المعلق فإنَّه على مذهب الشيعة لا يقع به الطلاق مطلقاً.

وراجع أيضاً حديثه مع مندوب جرية اطلاعات الايرانية المسجل في رسالة الاسلام في العدد الثاني من السنة المذكورة، وراجع مقالة المرحوم الشيخ محمد محمد المدني عميد كلية الشريعة بالجامعة الأزهرية في رسالة الاسلام العدد الرابع من السنة المذكورة تحت عنوان «درجة البعث في كلية الشريعة»، وانظر ما كتبه الشيخ محمد أبو زهرة تحت عنوان «الوحدة الاسلامية» في العدد الثالث والرابع من السنة العاشرة.

يقيدوا أنفسهم باتباع مذهب مجتهد معين ـ كما كان عليه المسلمون قبل تأسيس هذه المذاهب ـ لزال كثير من هذه الاختلافات والمنافرات، ولسار الفقه الاسلامي نحو عالم أرقى، وأوفق بالكتاب والسنة وبمزاج العصر، ولمزيد البحث في ذل مجال آخر.

التقية لا تمنع من التجاوب والتفاهم

قال الخطيب في ص ٧: «وأول موانع التجاوب الصادق بإخلاص بيننا وبينهم، ما يسموُّنه «التقية» فانها عقيدة دينية تبيح لهم التظاهر لنا بغير ما يبطنون» الخ.

بعد تصنيف الشيعة في عقائدهم وفقههم كتباً كثيرة لا يمكن إحصاؤها، وبعدما اطلع عليه الخاص والعام من معتقدات الأمامية، وبعد عرضهم مذهبهم بما كتب علماؤهم في التفسير والحديث والكلام والفقه على الملأ الإسلامي، وبعد إعلانهم عقائدهم على المنابر، وفي الجرائد والمجلات، وبعد هذه التجاوبات الحاصلة بين الفريقين، وبعد المشافهات التي وقعت بين عظمائهم من العلماء وغيرهم وحيث يزور إخواننا من أهل السنَّة بلاد الشيعة ومعاهد علومهم الدينية، ويشاهدون بأعينهم التزام الشيعة بشعائر الاسلام، ويحضرون مدارسهم ومحاضراتهم في العقائد، وفي الفقه، هل يمكن للشيعة التظاهر في عقائدهم بغير ما يبطنون؟ وهل ينتفعون بإخفاء عقائدهم؟

أيزعم الخطيب أن علماء الأزهر، وأقطاب التقريب لم يطلعوا على ما اطّلع عليه من كتب الشيعة، ولم يدركوا حقيقة مذهب الإمامية وآرائهم في التقية وغيرها؟

أليس شيخ الأزهر أبصر من الخطيب ونظرائه بالمذاهب الاسلامية؟ هذا المصلح الذي أدرك بعلمه الواسع، وغيرته على الاسلام والمسلمين ضرورة الاتحاد والاتفاق، وإمكان التقريب بين الطائفتين فقام لله، وأدّى ما عليه من نصيحة الأمة، ورفع الجفوة، فأيّد الزعماء المصلحين وأسلافه من مشايخ الأزهر كالاستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم بإصدار فتواه التاريخية بجواز التعبد بمذهب الامامية، وجواز الانتقال من سائر المذاهب إلى هذا المذهب.

ألا يصير أضحوكة للناس من يقول إنَّ الشيعة حيث يقولون بالتقية لا يقبل منهم إقرار واعتراف في عقائدهم، وأنَّهم يبطنون خلاف ما يظهرون؟

أليست التقية جائزة عند السنِّيين؟

ألم يعمل بالتقية الصحابي الجليل عمار بن ياسر ونزل فيه: «**إلاَّ من أُكرِهَ وقلبه مطمئنٌّ بالإيمان**»؟

قال الواحدي في أسباب النزول: قال ابن عباس: نزلت (يعني قوله تعالى): ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾[1] في

---

(١) النحل: ١٠٦.

عمار بن ياسر، وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسراً، وأمه سمية، وصهيباً، وبلالاً، وخبّاباً، وسالماً، فأمّا سميّة فإنّها ربطت بين بعيرين، ووجيء قبلها بحربة وقيل لها إنّك أسلمت من أجل الرجال. فقتلت، وقتل زوجها ياسر، وهما أول قتيلين قتلا في الاسلام، وأما عمار فإنه أعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرَهاً فأخبر النبي ﷺ بأنَّ عماراً كفر فقال: كلاً إنَّ عماراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه، فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه وقال: «إنَّ عادوا لك فعد لَهُمْ بما قلت، فأنزل الله هذه الآية.

ونحن ننقل كلمات بعض أعلام الفريقين في التقية حتى يعلم أنَّ القول بها متَّفق عليه بين فرق المسلمين غير الخوارج فإنَّه يُنقل أنَّهم منعوا التقية مطلقاً.

قال الفخر الرازي[1] في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾[2].

المسألة الرابعة ـ إعلم أنَّ للتقية أحكاماً كثيرة ونحن نذكر بعضها:

---

(١) تفسير مفاتيح الغيب: ٢/ ٤٣٧ ط عام ١٣٠٨هـ.
(٢) آل عمران: ٢٨.

(الحكم الأول) إنَّ التقية إنَّما تكون إذا كان الرجل في قوم كفار ويخاف منهم على نفسه و ماله فيداريهم باللسان، وذلك بأنَّ لا يظهر العداوة باللسان، بل يجوز أيضاً أن يظهر الكلام الموهم للمعية والموالاة، لكن بشرط أن يضمر خلافه، وأن يعرض في كل ما يقول فإنَّ التقية تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلوب.

(الحكم الثاني للتقية) هو أنَّه لو أفصح بالإيمان والحق حيث يجوز له التقية كان ذلك أفضل، ودليله ما ذكرنا قي قصة مسيلمة.

(الحكم الثالث للتقية) أنَّها إنَّما تجوز فيما يتعلق بإظهار الموالاة والمعاداة. وقد تجوز أيضاً فيما يتعلق بإظهار الدين فأما ما يرجع ضرره إلى الغير كالقتل والزنا وغصب الأموال والشهادة بالزور، وقذف المحصنات وإطلاع الكفار على عورات المسلمين، فذلك غير جائز ألبتَّة.

(الحكم الرابع) ظاهر الآية يدل على أنَّ التقية إنَّما تحل مع الكفار الغالبين إلاَّ أنَّ مذهب الشافعي (رض) أنَّ الحالة بين المسلمين إذا شاكلت

الحالة بين المسلمين والمشركين، حلت التقية محاماة على النفس.

(الحكم الخامس) التقية جايزة لصون النفس، وهل هي جايزة لصون المال؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقوله ﷺ حرمة مال المسلم كحرمة دمه، ولقوله ﷺ من قتل دون ماله فهو شهيد، ولأنَّ الحاجة إلى المال شديدة، والماء إذا بيع بالغبن سقط فرض الوضوء، وجاز الاقتصار على التيمم دفعاً لذلك القدر من نقصان المال فكيف لا يجوز ههنا والله اعلم.

(الحكم السادس) قال مجاهد هذا الحكم كان ثابتاً في أول الاسلام لأجل ضعف المؤمنين فأما بعد قوة دولة الاسلام فلا. روى عوف عن الحسن أنه قال: التقية جائزة للمؤمنين إلى يوم القيمة، وهذا القول أولى لأنَّ دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان (انتهى كلامه).

وقال الشيخ الطوسي في التفسير المسمّى بالتبيان في تفسير الآية المذكورة: والتقيَّة عندنا واجبة عند الخوف على النفس، وقد روى رخصة في جواز الافصاح بالحق عندها.

ثم ذكر ما روى الحسن في قصة مسيلمة وقال: فعلى هذا، التقية رخصة، والافصاح بالحق فضيلة، وظاهر أخبارنا يدل على أنَّها واجبة وخلافها خطأ[1].

وقال الطبرسي في مجمع البيان. وفي هذه الآية دلالة على أنَّ التقيَّة جائزة في الدين عند الخوف على النفس، وقال أصحابنا: إنَّها جائزة في الأحوال كلها عند الضرورة، وربما وجبت فيها لضرب من اللطف والإستصلاح، وليس تجوز من الأفعال في قتل المؤمن، ولا فيما يعلم أو يغلب على الظن أنَّه استفساد في الدين. قال المفيد: إنَّها قد تجب أحياناً وتكون فرضاً وتجوز أحياناً من غير وجوب. وتكون في وقت أفضل من تركها، وقد يكون تركها أفضل، وإن كان فاعلها معذوراً ومعفوّاً عنه، ومتفضلاً عليه بترك اللَّوم عليها.

فهذه جملة من كلمات علماء الفريقين مفصحة بجواز التقية في الجملة، معلنة بتقارب آرائهم فيها، وإنَّ الكل معتمدون في القول بها على الكتاب والسنَّة.

إذاً فما ذنب الشيعة في القول بها؟ وما وجه مؤاخذتهم عليها إلاَّ التعصب والجهل؟ نعم رأى الشيعة جواز التقية، وقد عملوا بها في الأجيال التي تغلبت فيها على البلاد

(١) كما في بعض كتب أهل السنَّة أيضاً.

الاسلامية أمراء الجور، وحكام جبابرة مثل معاوية، ويزيد، والوليد، والمنصور، والهادي، وهارون، وزياد، والحجّاج، والمتوكِّل، وغيرهم ممن عذبوا أئمة أهل البيت... أئمة الخير، ومثل العلم والزهد، والدين، وعذبوا أشياعهم شرَّ تعذيب، وقتلوهم أبشع قتلة[١].

وفي العصور التي كان فيها أخذ الحديث من أئمة أهل البيت وعترة النبي ﷺ، وممَّن يحبهم أو يفضلهم على غيرهم من أعظم الجرائم السياسية في العصور التي سلبت عن المسلمين الحرية التي هتف بها الاسلام، وكان سبُّ أمير المؤمنين علي عليه السلام سنَّةً جارية لا يجترىء أحد أن ينكره.

نعم عملوا بالتقية في الأزمنة التي كان فيها من بني فاطمة الزهراء بضعة الرسول ﷺ من يُخفي انتسابه إليها وإلى بعلها عليه السلام ليسلم من القتل والسجن والسوط، وأنواع التعذيب الجارية على المتشرفين بهذه النسبة الشريفة الطاهرة الزكية، وفي الأجيال التي لا يعدُّ الرجل فيها من أهل السنَّة إلاَّ إذا كان في نفسه من أمير المؤمنين، وفاطمة، وسائر أهل البيت شيء من البغض أو يتظاهر بذلك، ويترك أحاديث فضائلهم.

هذا الخطيب البغدادي يذكر:[٢] ان نصر بن على الجهضمي المحدَّث الكبير لمَّا حدث بهذا الحديث عن

---

(١) راجع مقاتل الطالبين لأبي الفرج الاصبهاني المرواني حتى تعرف فظاعة ما جرى على أهل البيت من المصائب والمحن من عبدة الرياسة، وأرباب السياسة.

(٢) تاريخ بغداد: ١٣/ ٢٨٨ ـ رقم ٧٢٥٥.

رسول الله ﷺ: «من أحبَّني وأحبَّ هذين (وأشار إلى الحسن والحسين عليهما السلام) وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»[1] أمر المتوكل بضربه ألف سوط.

وكلمه جعفر بن عبد الواحد، وجعل يقول: هذا الرجل من أهل السنَّة، ولم يزل به حتى تركه.

فهل تجد في مثل هذا العصر بُدّاً من التقية؟ فتأمل في مغزى هذه القصة وأمثالها، وقد عمل بالتقية في هذه العصور كثير من المحدَّثين والعلماء من أهل السنَّة أمثال أبي حنيفة، والنسائي، ولم تكن للمحدَّثين، وأرباب الصحاح والمسانيد كأحمد وغيره حرية في تخريج ما يخالف سياسة الحكومة، وأهواء الأمراء، ولم يكن للمصنفين في تأليف الكتب ونقل الروايات بُدٌّ من التقية لكونهم تحت اضطهاد شديد ومراقبة عيون الحكومة التي بثَّت جواسيسها في البلاد للفحص عمَّن يرى أو يروي لأهل البيت منقبة وفضيلة. ولقد أجاد إمام الحنفية في الأشعار المنسوبة إليه:

حب اليهود لآل موسى ظاهر
ووِلاهم لبني أخيه بادي
وإمامهم من نسل هرون الأولى
بهم اقتدوا ولكلِّ قوم هادي

---

(١) وأخرجه القاضي في الشفاء ٢/ ٤٢ طبعة عام ١٣٢٤ هـ، وابن حجر في تهذيب التهذيب بترجمة نصر بن علي.

وكـذا الـنـصـارى يـكـرمـون مـحـبـة
لمسـيـحـهـم نـجـراً مـن الأعـواد
فـمـتـى يـوالِ آلَ أحـمـد مـسـلـم
قـتـلـوه أو سـمَّـوه بـالإلحـاد

هـذا هـو الـداء الـعـيـاء لـمـثـلـه
ضـلـت حـلـوم حـواضـر وبـوادي
لـم يـحـفـظـوا حـق الـنـبـي مـحـمـد
فـي آلـه والله بـالمرصـاد[1]

هكذا كان حال المسلمين وعلمائهم في تلك القرون المظلمة، وأمَّا في هذا العصر فالعلماء والباحثون أحرار في إظهار آرائهم حول المباحث الإسلامية، وليس بين الشيعي والسنّي ذلك التنافر الذي أوجدته السياسة في تلك العصور، فلا خوف ولا قتل ولا سجن لبيان الرأي، ولا يقاس هذا الزمان بعصر الأمويِّين والعباسيِّين وعصر الحجّاج والمتوكل، ذلك زمان وهذا زمان[2]، ولكن الخطيب لما

(١) راجع الفاتحة السابعة ص ١١٥ من شرح الديوان للعلاّمة الشيخ حسين بن معين الدين الميبدي من اعلام أهل السنّة في القرنين التاسع والعاشر.

(٢) نعم: يوجد في بعض الأحيان بعض العصبيّات في بعض الممالك الإسلامية الذي لا يملك قطانه من الحرية ما ملك غيرهم من المسلمين فيأخذون الإقرار من المتهمين بأنواع التعذيب فراجع كتاب «جزيرة العرب تتهم حكامها» ففي ظروف وأحوال يؤخذ الإقرار من المتهم بالسياط، وتعليق أظافره بالكلبتين في السجن. وكيه بالسفافيد المحماة بالنار لا عجب أن يحكم القاضي بقتل مسلم شيعي =

رأى أنَّ تصريحات علماء الشيعة في رسالة الاسلام، وفي كتبهم في العقايد وغيرها بدأت تدفع عنهم ما افترت عليهم السياسة والتعصب والجهل، وتذهب بالتنافر الذي بقي بين المسلمين أكثر من ١٣ قرناً، لم يتمكن من أن يقول شيئاً غير مقاله إنَّ الشيعة يتظاهرون بغير ما يبطنون.

وسواء أراد الخطيب وناشر كتابه أم لم يردا فقد حسن التجاوب بين الفريقين والتفاهم في ما بينهم إلى حد أن صدرت عن شيخ الأزهر فتواه التاريخية بجواز التعبُّد بمذهب الإمامية، كما صدرت عن علماء الشيعة مثل السيد شرف الدين والسيد محسن الأمين، والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، وغيرهم مقالات، وكتب قضت على الافتراءات قضاءً حاسماً[1].

= يحترم المسجد الحرام أكثر من احترام القاضي بتهمة إرادته تلويث المسجد «ألعياذ بالله». ولا يستغرب فتوى القاضي بقتل شاب مسلم مخلص بما أبدى من اجتهاده في إسلام أبي طالب عمِّ النبي ﷺ والذاب عنه وعن الاسلام في كتابه: «شيخ الأبطح».

(١) فراجع كتاب «نقض الوشيعة» و«أصل الشيعة وأصولها» و«الدعوة الإسلامية» و«الفصول المهمة في تأليف الأمة»و«أجوبة مسائل جار الله» وكتاب «المراجعات» التي جرت بين الإمام شرف الدين الموسوي، وبين الاستاذ الأكر الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر ـ يوم ذاك ـ وهذا الكتاب كما قال الاستاذ محمود أبورية في كتابه: (أضواء على السنَّة المحمدية) ص ٣٤٦: «نفيس جدا يجب على كل مسلم أن يقرأه لأنَّه حمل من البحوث الدينية والفوايد العلمية ما لم يحمله كتاب آخر».

تأويل آيات الكتاب، وتفسيرها عند الشيعة

قال الخطيب في ص ٨: «وحتى القرآن الذي كان ينبغي أن يكون المرجع الجامع لنا ولهم على التقارب نحو الوحدة فانَّ أصول الدين عندهم قائمة من جذورها على تأويل آياته وصرف معانيها إلى غير ما فهمه منها الصحابة عن النبي ﷺ، وإلى غير ما فهمه منها أئمة الاسلام عن الجيل الذي نزل عليه القرآن».

عقائد الشيعة مأخوذة من الكتاب والسنة القطعية، ومن الأدلة العقلية القاطعة، وتمام الملاك، والمناط الفذّ والمرجع الوحيد في تمييز العقيدة الصحيحة عن السقيمة عندهم هو العقل وظواهر القرآن والسنَّة. فالشيعي لا يعتقد بما خالف ظواهر الكتاب أو السنَّة. نعم إذا صادم الظاهر ما قام عليه البرهان القطعي العقلي، أو صادم ما دلَّ عليه نصٌّ صريح من الكتاب أو السنَّة لا يعتمدون عليه كما برهنوا عليه في الأصول، ويؤولون هذا الظاهر بتأويل صحيح مقبول لدى العقل والشرع، ومع ذلك لا يستندون إلى هذا التأويل، ولا يؤسِّسون الأمور الاعتقادية بل والمسائل

العملية الفرعية على تلك التأويلات.

وعند الشيعة روايات بطرقهم عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أسناد بعضها صحيحة، وبعضها سقيمة في تفسير الآيات، وبيان مصاديقها، وشأن نزولها وتقييد بعض مطلقاتها، وتخصيص بعض عموماتها، وبيان خاصها وعامها، وغير ذلك، وأفرد بعضهم في هذا القسم من التفسير، وجمع فيه هذه الروايات وليس كلها مقبولة عند الشيعة، وهو بينهم كتفسير السيوطي المسمى: «بالدرالمنثور في التفسير بالمأثور» عند الجمهور.

والعجب من الخطيب أنَّه يرمي الشيعة بتأويل الآيات، ويغمض النظر عن تأويلات أكابر أهل السنَّة، وأقطابهم من المتصوَّفة وغيرهم مما لا يقبله الطبع السليم والذهن المستقيم، ومما تضحك به الثكلى، فاقرأ يا أخي قليلاً من هذه التأويلات الخيالية الباطلة في تفسير النيشابوري «غرائب القرآن». وراجع التفاسير المشهورة المعتمدة عند الشيعة كالتبيان للشيخ الطوسي، ومجمع البيان لأمين الاسلام الطبرسي، حتى تعرف نزاهة الشيعة عن هذه التأويلات الوهمية الشعرية وعدم اعتدادهم بها.

صيانة الكتاب من التحريف

قال الخطيب في ص ٨: إنَّ أحد كبار علماء النجف وهو الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي الذي بلغ من إجلالهم له عند وفاته سنة ١٣٢٠هـ أنهم دفنوه في بناء المشهد المرتضوي بالنجف في ايوان حجرة بانو العظمى بنت السلطان الناصر لدين الله، وهو ايوان الحجرة القلبية عن يمين الداخل إلى الصحن المرتضوي من باب القبلة في النجف الأشرف بأقدس البقاع عندهم. هذا العالم النجفي ألفً في سنة ١٢٩١ وهو في النجف عند القبر المنسوب[1] إلى الإمام عليٍّ كتاباً سماه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» جمع فيه مئات النصوص عن علماء الشيعة ومجتهديهم في مختلف العصور بأنَّ القرآن قد زيد فيه، ونقص منه، وقد طبع كتاب الطبرسي هذا في إيران سنة ١٢٩٨، وعند طبعه قامت حوله

---

(١) راجع ما كتبنا في دفع هذا التشكيك الخبيث من الحقايق التاريخية تحت عنوان «المشهد العلوي المقدس».

ضجة لأنَّهم كانوا يريدون أن يبقى التشكيك في صحة القرآن محصوراً بين خاصتهم ومتفرقاً في مئات الكتب المعتبرة عندهم، وأنَّ لا يجمع ذلك في كتاب واحد تطبع منه ألوف من النسخ، ويطلع عليه خصومهم فيكون حجة عليهم ماثلة أمام أنظار الجميع، ولما أبدى عقلاؤهم هذه الملاحظات خالفهم فيها مؤلفه، وألف كتاباً آخر سماه «ردّ بعض الشبهات عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب ربِّ الأرباب»، وقد كتب هذا الدفاع في آخر حياته قبل موته بنحو سنتين، وقد كافؤوه على هذا المجهود في إثبات أنَّ القرآن محرفٌ بأن دفنون في ذلك المكان الممتاز من بناء المشهد العلوي في النجف». الخ.

القرآن معجزة نبينا محمد ﷺ الخالدة، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وقد عجز الفصحاء عن الإتيان بمثله، وبمثل سورة وآية منه، وحيَّر عقول البلغاء، وفطاحل الأدباء، بيَّن الله تعالى فيه أرقى المباني، وأسمى المبادي، وأنزله على نبيه دليلاً على رسالته، ونوراً للناس، وشفاءً لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين.

قال سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «واعلموا أنَّ هذا القرآن[1] هو الناصح الذي لا يغش،

---

(١) هذا القرآن الذي يشير إليه أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام ويحثون شيعتهم =

والهادي الذي لا يضل، والمحدِّث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحدٌ إلاَّ قام عنه بزيادة أو نقصان زيادة في هدى، ونقصان من عمى، واعلموا أنَّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم»[1].

ولا ينحصر إعجاز القرآن في كونه في الدرجة العليا من الفصاحة والبلاغة، وسلاسة التركيب، والتأليف العجيب، والأسلوب البكر فحسب.

بل هو معجزة أيضاً لأنه حوى أصول الدين والدنيا، وسعادة النشأتين.

ومعجزة لأنَّه أنبأ بأخبار حوادث كثيرة تحقَّقت بعده.

كما أنَّه معجزة من وجهة التاريخ وبما فيه من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة التي لم يكن لها تاريخ في عصر الرسول ﷺ مما أثبتت الكشوف الأثرية صحتها.

ومعجزة لأنَّ فيه أصول علم الحياة، والصحة، والوراثة، وما وراء الطبيعة. والاقتصاد، والهندسة، والزراعة.

= على الرجوع إليه والاستشفاء به، هو ما بين الدفتين، وهو الكتاب المجيد الذي يعرفه المسلمون ويتلونه جميعاً في الليل والنهار.

(١) نهج البلاغة ج٢ الخطبة ١٧١، ط. مطبعة الاستقامة بمصر.

ومعجزة من وجهة الاحتجاج.

وإعجاز من وجهة الأخلاق ووو.

وقد مر عليه أربعة عشر قرناً ولم يقدر في طول هذه القرون أحد من البلغاء أن يأتي بمثله، ولن يقدر على ذلك أحد في القرون الآتية والأعصار المستقبلة، ويظهر كل يوم صدق ما أخبر الله تعالى به «**فان لم تفعلوا ولن تفعلوا**».

هذا هو القرآن، وهو روح الأمة الإسلامية، وحياتها، ووجودها، وقوامها، ولولا القرآن لما كان لنا كيان.

هذا القرآن هو كلُّ ما بين الدفتين، وليس فيه شيء من كلام البشر، وكل سورة من سوره، وكل آية من آياته متواتر مقطوع به، ولا ريب فيه، دلَّ عليه الضرورة والعقل والنقل القطعي المتواتر.

هذا هو القرآن عند الشيعة الإمامية ليس إلى القول فيه بالنقيصة فضلاً عن الزيادة سبيل، ولا يرتاب في ذلك إلاَّ الجاهل أو المبتلى بالشذوذ.

وإليك بعض تصريحات أعلام الإمامية، ورجالاتهم في العلم والدين الذين لا يجترىء شيعيٌ على رد آرائهم سيَّما في أصول الدين، وفي أمثال هذا المسائل، لجلالتهم في العلم والتتبع، وكثرة إحاطتهم، وقوة حذاقتهم في الفنون الاسلامية.

قال شيخ المحدثين محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الملقب بالصدوق (ت ٣٨١هـ) ومؤلف كتاب من لا يحضره الفقيه، وعشرات من الكتب القيمة في رسالته المعروفة بـ «اعتقادات الصدوق»: «اعتقادنا في القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك» ـإلى أن قال: «ومن نسب إلينا أنّا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب»، ثم شرع في إقامة البرهان على ذلك، فراجع تمام كلامه.

وقال الشيخ المفيد: «واما النقصان! وقد قال جماعة من أهل الإمامة إنَّه لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة، ولكن حذف ما كان ثبتاً في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله، وذلك كان ثابتاً منزلاً، وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى الذي هو القرآن المعجز، وقد يسمى تأويل القرآن قرآناً قال تعالى: «**ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه وقل ربِّ زدني علماً**» فسمى تأويل القرآن قرآناً وهذا ما ليس فيه بين أهل التفسير اختلاف. وعندي أنَّ هذا القول أشبه بمقال من أدعى نقصان كلم من نفس القرآن على الحقيقة دون التأويل، وإليه أميل والله اسأل توفيقه للصواب.

وأمَّا الزيادة فيه فمقطوع بفسادها»[١].

(١) أوائل المقالات للمفيد ص ٥٥.

وقال الشيخ الجليل أبو علي أمين الإسلام الطبرسي أحد أعلام الشيعة في علوم القرآن، في تفسيره القيِّم المسمى بمجمع البيان[1]:

«فأمَّا الزيادة فيه فمجمع على بطلانها، وأمَّا النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقومٌ من حشوية أهل السنَّة أنَّ في القرآن تغييراً ونقصاناً، والصحيح من مذهب اصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى قدَّس الله روحه، واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب مسائل الطرابلسيات، وذكر في مواضع: أنَّ العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان، والحوادث الكبار والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب، فإنَّ العناية اشتدت، والدواعي توفرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم تبلغه فيما ذكرناه لأنَّ القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية، والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه، وقراءته وحروفه، وآياته. فكيف يجوز أن يكون مغيراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد».

قال: «وقال أيضاً: إنَّ العلم بتفصيل القرآن، وأبعاضه في صحة نقله كالعلم بجملته، وجرى ذلك مجرى ما علم

---

(١) راجع مقدمة تفسير البيان، الفن الخامس منها.

ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيبويه، والمزني فإنَّ أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من جملتهما ما يعلمون من تفصيلهما حتى لو أنَّ مدخلاً أدخل باباً من النحو في كتاب سيبويه أو من غيره في كتاب المزني لعرف وميز وعلم أنَّه ملحق ليس من أصل الكتاب، ومعلوم أن العناية بنقل القرآن وضبطه، أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه، ودواوين الشعراء».

قال: «وذكر أيضاً: أنَّ القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن، واستدل على ذلك بأنَّ القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عيَّن على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنَّه كان يعرض على النبي ﷺ، ويتلى عليه، وأنَّ جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدة ختمات، كل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنَّه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور، ولا مبثوث، وذكر أنَّ من خالف ذلك من الإمامية، والحشوية من أهل السنَّة لا يعتد بخلافهم فإنَّ الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من اصحاب الحديث، نقلوا اخباراً ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على بصحته».

وقال شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفي ٤٦٠هـ) ومؤلف كتاب: الخلاف، والمبسوط

والتهذيب، والاستبصار وغيرها في تفسيره[1].

«اما الكلام في زيادته ونقصانه فممَّا لا يليق به أيضاً، لأنَّ الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى (ره)، وهو الظاهر في الروايات «الى ان قال» ورواياتنا متناصرة بالحث على قراءته، والتمسك بما فيه، وردًّ ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع إليه، وعرضها عليه فما وافقه عمل به، وما خالفه تجنب، ولم يتلفت إليه وقد روي عن النبي ﷺ رواية لا يدفعها أحد أنَّه قال: (إني مخلفٌ فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتى يراد عليَّ الحوض) وهذا يدل على أنَّه موجود في كل عصر لأنَّه لا يجوز أن يأمرنا بالتمسك بما لا يقدر على التمسك به، كما أنَّ أهل البيت، ومن يجب اتباع قوله حاصل في كل وقت، وإذا كان الموجود بيننا مجمعاً على صحته فينبغي أن نتشاغل بتفسيره وبيان معانيه، وترك ما سواه».

وقال العالم الجليل الشيخ جعفر كاشف الغطاء في كتابه المسمى بـ «كشف الغطاء»:

«والسابع في زيادته» لا زيادة فيه من سورة ولا آية من

---

(١) التبيان: ١/٣، ط النجف الأشرف.

بسملة، وغيرها لا كلمة، ولا حرف، وجميع ما بين الدفتين مما يتلى كلام الله تعالى بالضرورة من المذهب بل الدين وإجماع المسلمين واخبار النبي والأئمة الطاهرين عليهم السلام وقال:

«الثامن في نقصه» لا ريب في أنَّه محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديان كما دلَّ عليه صريح القرآن، وإجماع العلماء في جميع الأزمان، ولا عبرة بالنادر، وما ورد من أخبار النقيصة تمنع البديهة من العمل بظاهرها «الى آخر كلامه المتين».

وقال الشيخ الأكبر العالم الشهير نابغة الزمان الشيخ محمد بهاء الدين العاملي على ما حكي عنه في آلاء الرحمن ص ٢٦ :

«الصحيح أنَّ القرآن العظيم محفوظ عن ذلك زيادة كان أو نقصاناً، ويدل عليه قوله تعالى: «وإنَّا له لحافظون» وقال في كتاب الزبدة: القرآن متواتر لتوافر الدواعي على نقله».

وممن صنف في نفي النقيصة بعد الإجماع على عدم الزيادة، الشيخ العلامة الجليل علي بن عبد العالي الكركي المعروف المحقق الثاني.

وقال العلامة الكبير المولى محمد إبراهيم الكلباسي في كتاب «الاشارات» بعد استقراء كلمات علماء الاسلام بأصنافهم في كتبهم الكلامية والأصولية، والتفسيرية، وما اشتمل على الخطابات والقصص، وما يتعلق بعلم القرآن

بأصنافه، ومنه علم القراءة والتواريخ وغيرها مع كمال اهتمامهم في ضبط ما يتعلق بكل واحد منها، يتبين أنَّ النقصان في الكتاب ممَّا لا أصل له، وإلاَّ لاشتهر وتواتر، نظراً إلى العادة في الحوادث العظيمة، وهذا منها بل من اعظهما.

وقال العلامة المغفور له المجاهد المعاصر الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في «اصل الشيعة وأصولها»: إنَّ الكتاب الموجود بين المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه للإعجاز والتحدّي، وأنَّه لا نقص ولا تحريف ولا زيادة فيه، وعلى هذا إجماعهم.

وممن فنَّد القول بالتحريف زيادةً ونقيصة، وردَّ كلَّ شبهة في ذلك بأتمَّ بيان وأوضح برهان، العالم الجليل المفسِّر المتكلم المجاهد الشيخ محمد جواد البلاغي صاحب الكتب الممتعة، والتصانيف القيِّمة، في مقدمة تفسيره المعروف والمسمّى بـ «آلاء الرحمن» فإنَّه قد أدّى حقَّ المقام، ودافع عن قداسة القرآن، واظهر الحق وأبطل الباطل، فراجعه حتى تعرف قيمة خدمات الشيعة للاسلام والقرآن، وغيرتهم على الدين والكتاب.

وقال الشريف المصلح السيد عبد الحسين شرف الدين في فصوله:[1]

---

(١) الفصول المهمة في تأليف الأمة: ١٦٣.

«والقرآن الحكيم لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، إنَّما هو ما بين الدفَّتين، وهو ما في أيدي الناس لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً ولا تبديل فيه لكلمة بكلمة، ولا لحرف بحرف، وكل حرف من حروفه متواتر في كلٍّ جيل تواتراً قطعياً إلى عهد الوحي والنُّبوَّة، وكان مجموعاً ذلك العهد الأقدس، ومؤلفاً على ما هو عليه الآن، وكان جبرئيل عليه السلام يعارض رسول الله صلى الله عليه وآله مراراً عديدة، وهذا كله من الأمور المعلومة لدى المحققين من علماء الإمامية، ولا عبرة بالحشوية فإنَّهم لا يفقهون».

وقال العالم المتتبع، والرجالي الكبير السيد محسن الأمين الحسيني العاملي في الأعيان:[1]

«لا يقول أحد من الإمامية لا قديماً ولا حديثاً، أنَّ القرآن مزيد فيه قليل أو كثير فضلاً عن كلهم، بل كلهم متفقون على عدم الزيادة، ومن يعتد بقوله من محققيهم متفقون على أنَّه لم ينقص منه».

وقال العالم المفسر الشيخ محمد النهاوندي في مقدمة تفسيره «نفحات الرحمن».

«قد ثبت أنَّ القرآن كان مجموعاً في زمان النبي صلى الله عليه وآله وكان شدَّة اهتمام المسلمين في حفظ ذلك المجموع بعد

(١) أعيان الشيعة ١/١٠٨.

النبي ﷺ وفي زمان احتمل بعض وقوع التحريف فيه كاهتمامهم في حفظ أنفسهم وأعراضهم (الى آخر كلامه التام)».

وممن صنّف من الإمامية في رد شبهة التحريف، العالم الرئيس السيد محمد حسين الشهرستاني، فإنَّه صنف في ذلك كتاباً أسماه «رسالة في حفظ الكتاب الشريف عن شبهة القول بالتحريف» وقال فيه على ما حكي عنه بعد رد ما في فصل الخطاب من الشبهات: «لا شبهة في أنَّ هذا القرآن الموجود بين الدفتين منزل على رسول الله ﷺ للإعجاز للتسالم على نفي زيادة الآية والسورة فيه والشك إنَّما هو في نزول ما عداه إعجازاً، والأصل عدمه».

وممن أدى حق الكلام في بطلان القول بالتحريف العالم الجليل والمرجع الديني السيد أبو القاسم الخوئي في تفسيره المسمى بـ «البيان»[١] فقد أثبت بما لا مزيد عليه أنَّ مسألة نقصان الكتاب ممَّا لا أصل له، وقال في آخر كلامه:

«وقد تبيَّن للقارىء ممَّا ذكرناه أنَّ حديث تحريف القرآن حديث خيالي لا يقول به إلاَّ من ضعف عقله، أو من لم يتأمَّل في أطرافه حقَّ التأمل، أو من الجأه إليه حب

---

(١) راجع ما أفاده في ص ١٩٥ ـ ٢٣٦ ط. ٨/طبع دار الزهراء عام ١٤٠١هـ.

القول به، والحب يعمي، ويصمُّ. أمَّا العاقل المنصف المتدبر فلا يشك في بطلانه». انتهى كلامه.

ولنعم ما أفاده العلاّمة الفقية، والمرجع الديني السيد محمد رضا الكلبايكاني بعد التصريح بأنَّ ما بين الدفتين هو القرآن المجيد. ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه، والمجموع المرتب في عصر الرسالة بأمر الرسول ﷺ بلا تحريف ولا تغيير، ولا زيادة، ولا نقصان، وإقامة البرهان عليه.

«إنَّ احتمال التغيير زيادة ونقيصة في القرآن كاحتمال تغيير المرسل به، واحتمال كون القبلة غير الكعبة في غاية السقوط لا يقبله العقل وهو مستقل بامتناعه عادة».

ولو رمنا استقصاء كلمات علمائنا الأعاظم في كل جيل لطال بنا الكلام، ولا يسع ذلك كتاب كبير ضخم، ويكفي في ذلك تصريح أستاذنا الإمام راوية أحاديث أهل البيت، وحامل علومهم، نابغة العصر، ومجدِّد العلم والمذهب في القرن الرابع عشر السيد الحاج آقا حسين الطباطبائي البروجردي حشره الله مع جده النبي الكريم ﷺ فإنَّه أفاد في بعض أبحاثه في الأصول ـ كما كتبنا عنه في تقريرات بحثه ـ بطلان القول بالتحريف، وقداسة القرآن عن وقوع الزيادة فيه، وأنَّ الضرورة قائمة على خلافه، وضعف أخبار النقيصة غاية التضعيف سنداً ودلالة وقال:

«ان بعض هذه الروايات مشتمل على ما يخالف القطع

والضرورة، وما يخالف مصلحة النبوة». وقال في آخر كلامه الشريف:

«ثم العجب كل العجب من قوم يزعمون أنَّ الأخبار محفوظة في الألسن والكتب في مدة تزيد على ألف وثلاث مئة، وأنَّه لو حدث فيها نقص لظهر، ومع ذلك يحتملون تطرق النقيصة، إلى القرآن المجيد.

الواجب على المسلم

إنَّ الواجب يملي على كل مسلم غيور على الدين والقرآن أن يدفع عن الكتاب الكريم هذه الشبهة، وأن يحتاط في نسبة القول بالتحريف أو التشكيك في القرآن إلى أحد من المسلمين، ويعلم أنَّه مسؤول عند الله تعالى عمَّا يقول ويكتب.

وكان الأولى بالخطيب أن يتمسك بأقوال العلماء ذوي الاختصاص والمهارة من الشيعيِّين والسنيِّين في صيانة القرآن من النقصان والزيادة، لا أن يركض وراء القول بالتحريف، ويسجل ذلك على طائفة كبيرة من المسلمين.

وقد أراد الخطيب بذلك تشويه سمعة التشيّع، ولم يعلم أنَّه شوَّه سمعة الدين، وضرب الكتاب المبين، وخدم أعداء الدين، وفتح السبل أمام شبهات المبشرين، وقد نسي هذا الكاتب أنَّه يهدم بهذه الفرية على الشيعة أساس

الإسلام، والشيعة الذين هم أشدُّ الناس غيرةً على كتاب الله تعالى وأدفعهم عن جلالة القرآن وقداسته، ينكرون القول بالزيادة والنقيصة اشد الانكار، وكتبهم مشحونة بالدلائل العقلية والنقلية على تنزه القرآن عن الريب والشبهات.

فاقرأ أيُّها الخطيب كتبهم في التفسير والعقائد والحديث، واقرأ فيها الأحاديث المتواترة القطعية الدالة على أنَّ القرآن هو هذا الذي في أيدي المسلمين، وانظر إلى الأخبار المأثورة عن طرقهم في ثواب قراءة القرآن وقراءة سوره وآياته وكلماته، وفي وجوب الرجوع إليه، والتمسك به يقرأون القرآن في صلاتهم، ويتلونه في ليلهم ونهارهم، يعظمونه كمال التعظيم، ليس عندهم كتاب أعظم من القرآن، فارجع إلى كتبهم في الفقه الحديث، والدعاء إنَّ كنت أهلاً للأنصاف.

ولا يسؤونا والله نسبة هذه الفرية إلى الشيعة كما يسؤونا ما يمس منها كرامة الدين الحنيف والقرآن المجيد.

أيها الخطيب لو قال لك بعض المبشرين أو غيرهم إن من مذهب الشيعة ـ وهم طائفة كبيرة من المسلمين ـ وقوع التحريف في الكتاب كما تسجل عليهم، وفيهم من العلماء والمحققين. وأساتذة فن التاريخ والحديث والعلوم الاسلامية رجال لا يستهان بشأنهم وجلالتهم، وهم يسندون عقائدهم وعلومهم إلى أهل بيت النبي ﷺ أعدال الكتاب

بدلالة حديث الثقلين فيما تقول في جوابه؟.

أتقول إنَّهم كفّار؟

أم تقول إنَّهم يسبون الصحابة؟

أم تقول إنَّهم يقرؤون دعاء صنمي قريش؟

قل ما تقول في جوابه أيّها الكاتب الاسلامي؟

لو تعلم أنك وامثالك كم توقعون بالإسلام والمسلمين من الضرر والضعف والفشل بهذيانكم وافتراءتكم على الشيعة، لتركتم هذه المخاصمات الباردة، والمناقشات التي لا طائل تحتها، ولمحوتم من كتبكم هذه المهازل والمخاريق.

وكم من فرق بين الخطيب وبين العلاّمة الشيخ رحمة الله الهندي! فالخطيب يسند إلى الشيعة فريةً يتبرأ منها كل شيعي، ولا يلتفت إلى أنَّ تلك النسبة إنَّما تجعل القرآن معرضاً للشك، والعلامة الشيخ رحمة الله ـ الذي يعدُّ من أكبر علماء أهل السنَّة، ومن أحوطهم على الاسلام ـ أدرك أنَّ هذه النسبة هي منتهى أمل المبشِّرين وغاية مناهم، وأنَّ الواجب على السنِّي كالشيعي أن يدفعها عن الشيعة، فأثبت في كتابه «إظهار الحق» الذي هو من نفائس

كتب المسلمين في الرد على المسيحيين، بل قيل لم يكتب مثله في رد المبشرين، بطلان هذه النسبة، وأدى ما عليه من إظهار الحق وازهاق الباطل واماتة الشبهة، وقد دفع عن حريم القرآن هذه التهمة حيث قال في الفصل الرابع من الجزء الثاني ص ٨٩:

«القرآن المجيد عند جمهور علماء الشيعة الإمامية الإثني عشرية محفوظ عن التغيير والتبديل، ومن قال منهم بوقوع النقصان فيه فقوله مردود غير مقبول عندهم».

ثم نقل كلمات جماعة من اعلام الشيعة كالصدوق، والسيد المرتضى، والطبرسي، والقاضي نور الله، والمولى صالح القزويني شارح الكافي، والشيخ محمد الحر العاملي، وقال:

«فظهر أنَّ المذهب المحقق عند علماء الفرقة الإمامية الاثني عشرية أنَّ القرآن الذي أنزله الله على نبيه هو ما بين الدفتين وهو المتداول في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك، وأنَّه كان مجموعاً مؤلفاً في عهد رسول الله ﷺ، وحفظه، ونقله ألوف من الصحابة كعبد الله بن مسعود، وأبيّ بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي عدة ختمات، ويظهر القرآن، ويشهر بهذا الترتيب عند ظهور الإمام الثاني عشر

رضي الله عنه(إلى أن قال): وقد قال الله تعال: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**﴾ (قال) في تفسير «الصراط المستقيم» الذي هو تفسير معتبر عند علماء الشيعة أي إنّا لحافظون من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان (انتهى كلامه).

فصل الخطاب في فصل الخطاب

قبل إبداء الرأي حول كتاب فصل الخطاب نلفت نظر من يحتج على الشيعة بهذا الكتاب، ويزعم تفردهم بهذا التأليف، إلى كتاب اسمه «الفرقان» جمع فيه مؤلفه ـ وهو من إخواننا أهل السنَّة ـ من أمثال ما في فصل الخطاب من الأحاديث الضعيفة المروية عن طرق أهل السنَّة، وإليك نص الاستاذ الشيخ محمد محمد المدني عميد كلية الشريعة بالجامعة الأزهرية قال:

وأمَّا أنَّ الإمامية يعتقدون نقص القرآن فمعاذ الله، وإنَّما هي روايات رويت في كتبهم كما روي مثلها في كتبنا، وأهل التحقيق من الفريقين قد زيَّفوها وبيَّنوا بطلانها، وليس في الشيعة الإمامية أو الزيدية من يعتقد ذلك، كما أنَّه ليس في السنَّة من يعتقده.

ويستطيع من شاء أن يرجع إلى مثل كتاب الإتقان للسيوطي[1] ليرى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾

(١) ٢/ ٣٠.

(قال) في تفسير «الصراط المستقيم» في سنة ١٤٩٨ كتاباً اسمه «الفرقان» حشاه بكثير من امثال هذه الروايات السقيمة المدخولة المرفوضة، ناقلاً لها عن الكتب المصادر عند أهل السنَّة، وقد طلب الأزهر من الحكومة مصادرة هذا الكتاب بعد أن بيَّن بالدليل والبحث العلمي أوجه البطلان والفساد فيه، فاستجابت الحكومة لهذا الطلب، وصادرت الكتاب فرفع صاحبه دعوى يطلب فيها تعويضاً فحكم القضاء الاداري في مجلس الدولة برفضها.

أفيقال إنَّ أهل السنَّة ينكرون قداسة القرآن؟ أو يعتقدون نقص القرآن لرواية رواها فلان؟ أو لكتاب ألفه فلان؟ فكذلك الشيعة الإمامية، إنَّما هي روايات في بعض كتبهم كالروايات التي في بعض كتبنا، وفي ذلك يقول الإمام العلاّمة السعيد أبو الفضل بن الحسن الطبرسي من كبار علماء الإمامية في القرن السادس الهجري في كتاب «مجمع البيان لعلوم القرآن»[١] ثم نقل كلام صاحب المجمع الذي سبق ذكره.

وبعد هذا كله نقول: لم نر في علماء الامامية ومشايخهم من يعتني بكتاب «فصل الخطاب» ويستند إليه، وليس بينهم من يعظِّم المحدث النوري لهذا التأليف، ولو

---

(١) أنظر رسالة الاسلام العدد الرابع من السنة الحادية عشرة ص ٣٨٢ و٣٨٣.

لم يصنف هذا الكتاب لكان تقدير العلماء لجهوده في تأليف غيره من المآثر الرائعة كالمستدرك وكشف الاستار وغيرهما أكثر من ذلك بكثير، ولنال من التقدير والإكبار أكثر ممَّا حازه من العلماء وأهل الفضل، ودفنه في المكان المشرف ليس لأجل تأليفه هذا الكتاب إنَّما المقام مقدس يدفن فيه من حالفه التوفيق، وقد دفن فيه من العلماء وغيرهم من ذوي الثروة والسلطة والعوام جمع كثير.

وليست جلالة قدر الرجل في العلم والتتبع والاحاطة بالحديث مما يقبل الانكار، ولكن خطأه بسبب تأليف هذا الكتاب أصبح هدفاً لسهام التوبيخ والاعتراض، فنبذ كتابه هذا، وقوبل بالطعن والإنكار الشديد[1]، بل صنف بعضهم في رده، وفي اثبات عدم التحريف كتباً مفردة كالعلامة الشهير السيد محمد حسين الشهرستاني مؤلف «رسالة حفظ الكتاب الشريف عن شبهة القول بالتحريف»، والعالم المحقق الشيخ محمود الطهراني حيث ردَّه بكتاب «كشف الأرتياب»[2].

---

(١) قال الشيخ الجليل والعلامة الخبير الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي في مقدمة تفسيره «آلاء الرحمن» ص ٢٥: وان صاحب فصل الخطاب من المحدثين المكثرين المجدين في التتبع للشواذ.

(٢) هذا غير كتاب «كشف الارتياب في اتباع محمد بن عبد الوهاب» للسيد محسن الأمين (تغمَّده الله برحمته الواسعة) فتأمل (المصحح).

ومع ذلك كله نقول: من أمعن النظر في كتاب «فصل الخطاب» رأى أنَّ المحدث النوري لم ينكر ما قام عليه الاجماع واتفاق المسلمين من عدم الزيادة، ولم يقل إنَّ القرآن قد زيد فيه، بل قد صرح في ص ٢٣ بامتناع زيادة السورة أو تبديلها فقال: هما منتفيان بالإجماع، وليس في الأخبار ما يدل على وقوعها بل فيها ما ينفيها كما يأتي. وقد اعترف المحدث المذكور بخطئه في تسمية هذا الكتاب كما حكى عنه تلميذه الشهير وخريج مدرسته العالم الثقة الثبت الشيخ آقا بزرك الطهراني مؤلف «الذريعة» و«اعلام الشيعة» وغيرهما من الكتب القيمة فقال في «ذيل ص ٥٥٠ من الجزء الأول من القسم الثاني من كتابه أعلام الشيعة».

«ذكرنا في حرف الفاء من «الذريعة» عند ذكرنا لهذا الكتاب مرام شيخنا النوري في تأليفه فصل الخطاب، وذلك ما شافهنا به، وسمعناه من لسانه في أواخر أيامه فإنَّه كان يقول: أخطأت في تسمية الكتاب، وكان الأجدر أن يسمى بفصل الخطاب في عدم تحريف الكتاب لأني أثبتُّ فيه أنَّ كتاب الاسلام «القرآن الشريف» الموجود بين الدفتين المنتشر في أقطار العالم وحي إلهي بجميع سوره وآياته وجمله، ولم يطرأ عليه تغيير أو تبديل، ولا زيادة ولا نقصان من لدن جمعه حتى اليوم، وقد وصل إلينا بمجموعه هذا بالتوتار القطعي ولا شك لأحد من الإمامية فيه. فبعد

ذا أمن الإنصاف أن يقاس الموصوف بهذه الأوصاف بالعهدين أو الأناجيل المعلومة أحوالها لدى كل خبير، كما أني اهملت التصريح بمرامي في مواضع متعددة من الكتاب حتى لا تسدَّد نحوي سهام العتاب والملامة، بل صرحت غفلة بخلافه، وإنَّما اكتفيت بالتلميح إلى مرامي في ص (٢٢) إذ المهم حصول اليقين بعدم وجود بقية للمجموع بين الدفتين كما نقلنا هذا العنوان عن الشيخ المفيد في ص ٢٦ (الى ان قال) هذا ما سمعناه من قول شيخنا نفسه، وأمَّا عمله فقد رأيناه وهو لا يقيم لما ورد في مضامين الأخبار وزناً، بل يراها أخبار آحاد لا يثبت بها القرآنية، بل تضرب بخصوصياتها عرض الجدار سيرة السلف الصالح من أكابر الإمامية كالسيد المرتضى والشيخ الطوسي وأمين الاسلام الطبرسي وغيرهم، ولم يكن ـ العياذ بالله ـ يلصق شيئاً منها بكرامة القرآن، وإن ألصق ذلك بكرامة شيخنا قدس سرّه من لم يطلع على مرامه، وقد كان باعتراف جميع معاصريه رجالي عصره، والوحيد في فنه، ولم يكن جاهلاً بأحوال تلك الأحاديث.

ولمزيد التوضيح ننقل كلاماً آخر من الشيخ المذكور في ذيل ص ٣١١ من الجزء الثالث من الذريعة قال: إنَّ من الضروريات الأولية عند الأمم كافة أنَّ الكتاب المقدس في الاسلام هو المسمى بالقرآن الشريف، وأنَّه ليس للمسلمين

كتابٌ مقدس إلهيٌ سواه. وهو هذا الموجود بين الدفتين المنتشر مطبوعه في الآفاق، كما أنَّ من الضروريات الدينية عند المعتنقين للاسلام أنَّ جميع ما يوجد فيما بين هاتين الدفتين من السور والآيات وأجزائها كلها وحي إلهي نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين على قلب سيد المرسلين ﷺ وقد بلغ بالتواتر عنه إلى أفراد المسلمين، وأنَّه ليس بين هاتين الدفتين شيء، غير الوحي الإلهي لا سورة ولا آية، ولا جملة ذات إعجاز، وبذلك صار مقدَّساً محترماً بجميع أجزائه، وموضوعاً كذلك للاحكام من تحريم مس كتابته بغير طهارة، وتحريم تنجيسه، ووجوب إزالة النجاسة عنه، وغيرها من الأحكام الثابتة... (إلى أن قال).

وقال كتبنا في إثبات تنزيه القرآن عمَّا الصقة الحشوية بكرامته واعتقدت فيه من التحريف مؤلفاً سميناه بـ «النقد اللطيف في نفي التحريف عن القرآن الشريف» وأثبتنا فيه أنَّ هذا القرآن المجيد الذي هو بأيدينا ليس موضوعاً لأي خلاف يذكر، ولا سيما البحث المشهور (المعنون مسامحة) بـ التحريف» الخ.

وقال نحواً من هذا الكلام أيضاً في الجزء العاشر من الذريعة ص ٧٨ ـ ٧٩ من جملته:

«إن كتاب الاسلام المشهور في الآفاق هو الموسوم بالقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،

وليس هو إلاَّ هذا الموجود بين الدفتين، الواصل إلينا بالتواتر عن النبي ﷺ، وأثبتنا أنَّه بجميع سوره وآياته وجملاته وحي إلهيٌ (إلى أن قال) فهو منزه عن كل ما يشينه من التغيير والتبديل، والتصحيف والتحريف، وغيرها باتفاق جميع المسلمين، وليس لأحدٍ منهم خلاف أو شبهة أو اعتراض فيه، واختلاف القراءات إنَّما هو اختلاف في لهجات الطوائف» (إلى آخر ما افاده).

هذا كتاب فصل الخطاب، وهذا قدره عند علماء الشيعة، وهذا كلام مؤلفه فيه، وهذا ما يقوله عنه أكبر تلامذة مؤلفه، وهذه عقيدة مؤلفه، وتلامذته فيه.

سورة الولاية، وكتاب «دبستان مذاهب»

قال الخطيب: «ومما اشتهد به هذا العالم النجفي على وقوع النقص من القرآن ايراده في الصفحة ١٨٠ من كتابه، سورة تسميها الشيعة سورة الولاية مذكور فيها ولاية علي «يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالنبي والولي اللذين. بعثناهما يهديانكم الى الصراط المستقيم» الخ، وقد اطلع الثقة المأمون الاستاذ محمد علي سعودي الذي كان كبير خبراء وزارة العدل بمصر، ومن خواص تلاميذ الشيخ محمد عبده على مصحف إيراني مخطوط عند المستشرق «براين» فنقل منه هذه السورة بالفطغراف، وفوق سطورها العربية ترجمتها باللغة الإيرانية، وكما اثبتها الطبرسي في كتاب «فصل الخطاب في اثبات تحريف كتاب رب الارباب» فانها ثابتة أيضاً في كتابهم «دبستان مذاهب» باللغة الإيرانية لمؤلفه محسن فاني الكشميري. وهو مطبوع في إيران طبعات متعددة ونقل عنه هذه السورة المكذوبة على الله العلامة المستشرق «فولدكن» في كتابه «تاريخ المصاحف» ج٢ ص ١٠٢، ونشرتها الجريدة

الآسيوية الفرنسية سنة ١٨٤٢ ص ٤٣١ ـ ٤٣٩ الخ».

السور القرآنية كانت مؤلفة مشهورة في عصر الرسالة بأمر النبي ﷺ، وكان المسلمون يعرفونها بحدودها، وآياتها، وتدل على ذلك الروايات الكثيرة المتواترة الواردة في فضل السور وثواب قراءتها، وان من قرأ سورة يس أو سورة البقرة فله كذا وكذا من الأجر والثواب، وما ورد من أنَّ الرسول ﷺ قرأ سورة البقرة وسورة آل عمران في صلاة الآيات، وما ورد في نزول بعض السور جملة، وغيرها من الروايات الدالة على كون سور القرآن مؤلفة معينة بآياتها في عهد الرسول ﷺ ولا خلاف بين الشيعة في أنَّ سور القرآن ليست أكثر من هذه السور المعروفة مئة وأربع عشرة سورة، واتفق فقهاؤهم بعد الاتفاق على وجوب قراءة سور القرآن في الصلاة عدا سورتي الضحى، وألم نشرح فإنَّهما سورة واحدة، وسورة الفيل ولإيلاف قريش فهما أيضاً واحدة، ولا تجد في أصل من أصولهم ولا في أحاديثهم ورواياتهم سورة أخرى غير هذه السور الموجودة بين الدفتين.

ولا خلاف معتدًّا به بين أهل السنَّة أيضاً في ذلك أي كون القرآن مئة وأربع عشرة سورة، نعم قال بعضهم: بأنها مئة وثلاث عشرة فعدَّ الأنفال والبراءة سورة واحدة كما قد حكي عن بعضهم موافقتهم مع الشيعة في كون الضحى وألم نشرح سورة واحدة، والفيل ولإيلاف أيضاً سورة واحدة[1] ولكن

---

(١) راجع الاتقان للسيوطي ١/ ٦٧.

أخرج أهل السنَّة في كتبهم روايات دلت على زيادة سور القرآن على ما بين الدفتين كسورتي القنوت «الحفد والخلع» وأنَّ مصحف أبي كان عدد سوره مئة وست عشرة لأنَّه كتب في آخره سورتي الحفد والخلع[1].

وقد قال ابن حجر في شرح البخاري: وقد صح عن إبن مسعود إنكار ذلك (يعني: إنكار كون المعوذتين من القرآن).

فأخرج أحمد وابن حبان عنه أن لا يكتب المعوذتين[2].

وقال هبة الله بن سلامة: (المتوفى ٤١٠هـ) في «الناسخ والمنسوخ»[3] فيما نسخ خطه وحكمه:

وأمَّا ما نسخ حكمه وخطه فمثل ما روي عن أنس بن مالك «رض» أنَّه قال: كنَّا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ سورة تعدلها سورة التوبة ما أحفظ منها غير آية واحدة:

«ولو ان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً ولو أنَّ له ثالثاً لابتغى إليها رابعاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلاَّ التراب ويتوب الله على من تاب».

---

(١) المصدر السابق ١/ ٤٧.

(٢) المصدر السابق ١/ ٨١.

(٣) طبع بهامش أسباب النزول للواحدي، بمصر.

وهذه الاخبار وإن كانت مطروحة لا يجوز الاتكال عليها وقامت الضرورة والإجماع من الفريقين على خلافها، ولا يشك م له معرفة بكلام العرب وفنون الأدب أن هذه الجمل لا تشبه بلاغة القرآن مضافاً الى ما في بعضها من الأغلاط اللفظية أو المعنوية التي أشار إليها المفسر الشيعي الشهير البلاغي في مقدمة تفسيره[1]، إلاَّ أنَّ المنصف يعرف منها أنَّه لو جاز نسبة القول بوقوع نقص السورة في القرآن إلى الشيعة أو أهل السنَّة «ولا يجوز ذلك البتة» لكان أهل السنَّة أولى بها، فإنَّهم نقلوا في كتبهم المعتبرة وتفاسيرهم ذلك، وإنَّ سمى بعضهم بعض هذه بمنسوخ التلاوة والحكم، أو منسوخ التلاوة فقط فإنَّ ذلك لا يدفع الإشكال، لأنَّ وقوع النسخ محتاج إلى الاثبات واتفقت كلمة العلماء على عدم جواز نسخ القرآن بخبر الواحد مضافاً الى بعض هذه الأخبار آبَ عن هذا التأويل، وقد تردد الاصوليون من السنيين في جواز تلاوة الجنب ما نسخت تلاوته، وفي جواز مسِّ المحدث كتابته، واختار بعضهم عدم الجواز.

وأمَّا الشيعة فلم يقل أحد منهم بنقص سورة من

---

(١) آلاء الرحمن في تفسير القرآن طبع في صيدا ـ لبنان واعيد طبعه بالاوفست ونشرنا مقدمته بمصر مع تفسير شبر المطبوع بالمطبعة اليوسفية بـ ٢ شارع محمد علي.

القرآن، ولا بزيادة سورة أو آية أو كلمة عليه، وليس في رواياتهم ما يدل على نقص سورة أو زيادتها.

والسورة التي نسب اختلافها إلى الشيعة، وسماها سورة الولاية، لا ترى في اصول الشيعة وكتبهم منها عيناً ولا أثراً، والشيعة وفيهم ألوف من زعماء فن البلاغة والأدب المشهورين أرفع وأجلُّ من أن يلصقوا بكرامة القرآن هذه الجمل التي يظهر فيها أثر الوضع ويعرف ضعف تأليفها، وخروجها عن أسلوب القرآن من كان له أنسٌ بكلام الفصحاء والبلغاء.

ولا عجب من نسبة محب الدين هذا الافتراء إلى الشيعة فإنَّه جعل هذا دأبه في كتابه، ولا يضر الشيعة ذلك بعد كون كتبهم ومصنفاتهم في معرض مطالعة العلماء، ولكن العجب منه أنَّه قال ولم يخف من ظهور كذبه عند الناس كالشمس في رابعة النهار: (وممَّا استشهد به هذا العالم النجفي على وقوع النقص من القرآن ايراده في ص ١٨٠ من كتابه سورة تسميها الشيعة «سورة الولاية» مذكور فيها ولاية علي «إلى ان قال» فكما أثبتها الطبرسي في كتابه فإنَّها ثابتة أيضاً في كتابهم «دبستان مذاهب» باللغة الإيرانية لمؤلفه محسن فاني كشميري، وهو مطبوع في إيران طبعات متعددة).

فانظر ما في كلامه هذا من الكب الفاحش والافتراء البيِّن:

١ ـ ليس في «فصل الخطاب» لا في ص ١٨٠ ولا في غيرها في أول الكتاب إلى آخره ذكرةٌ لهذه السورة المكذوبة على الله تعالى التي يقول الخطيب:

«إنَّ الشيعة تسميها سورة الولاية مذكورة فيها ولاية عليٍّ «يا أيُّها الذين آمنوا آمنوا بالنبي والوليِّ اللَّذين بعثناهما يهديانكم إلى الصِّراط المستقيم الخ».

٢ ـ ما معنى المصحف الإيراني أيُّها الخطيب؟ ألا تستحي من الله تعالى؟

ما هذا المصحف الذي لم يعرفه الإيرانيون، ولم يوجد بعد عند خاصتهم وعامتهم، ولم يطلع عليه أحد إلاً محمد علي سعودي المصري عند «براين» المسيحي؟

أيها العلماء، أيها المنصفون، أيها المصلحون.

ما هذه الافتراءات وما عذر الخطيب وناشر كتابه محمد نصيف... من أهالي جدة ـ الحجاز وأمثالهما عند الله تعالى؟

وما يريدون بانتشار هذه الأكاذيب؟

وما يطلبون من شيعة أهل البيت؟

وما عذر من يتغافل من زعماء السنيين وعلمائهم وحكوماتهم عمَّا يرد من هذه الأقلام على الاسلام

والمسلمين من الضرر والفشل؟

أليس في اخواننا أهل السنَّة والجماعة من يرشدهما إلى ما فيه مصلحة نفسهيما، ومصلحة امتهما، ومصلحة المسلمين؟

أيُّها المسلمون إسألوا من إخوانكم السنيِّين من أهالي إيران ومن ألوفٍ من الذين زاروا إيران ويزورونها في كلٍّ شهر ويوم هل سمعتم في إيران بمصحف غير هذا المصحف المطبوع المشهور في جميع الأقطار؟

أم هل وجدتم عند إيرانيٍّ كتاباً يعتقد أنَّه وحي إلهيٌّ يقرأ آناء الليل وأطراف النهار غير القرآن ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه ويؤمن به جميع المسلمين؟

ولكن: إذا قلَّ دين المرء قلَّ حياؤه، ولا يستحيي من الكذب من اعتاده، ولا يخاف من تشويه سمعة الدين، وإيراد الطعن على الكتاب المبين من لا يعقل ما يقول أو باع دينه بدنياه، واعتنق خدمة أعداء المسلمين.

الإيرانيون أشدُّ الناس احتراماً للقرآن المجيد ولآياته وكلماته وحروفه، أسواقهم ومجالسهم وإذاعاتهم وبيوتهم، ومدارسهم وكلياتهم عامرة بقراءته، لهم في كل قرية وبلد مجالس ومدارس لتعليم التجويد وقراءة القرآن والتفسير، يهتمون بتعلم القرآن كمال الاهتمام،

ويشجعون أولادهم على قراءته، لم يسمع أحد منهم لا قديماً ولا حديثاً بهذا المصحف الذي يقول به ولم يطلع عليه أحد من علمائهم ولا أدعى رؤيته من كان فيم من أهل البحث والتنقيب.

نعم يوجد عندهم وفي مكتباتهم الكبيرة مثل مكتبة «آستان قدس» في المشهد الرضوي وغيرها أقدم النسخ المخطوطة من القرآن وأنفسها يرجع تاريخ كتابتها إلى صدر الاسلام، وتنسب كتابة بعضها إلى سيدنا الإمام أمير المؤمنين، وبعضها إلى الامام السبط الحسن المجتبى، وبعضها إلى الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام لا تجد في هذه النسخ اختلافاً ما حتى في حرف واحد مع هذه المصاحف المطبوعة إلاً في رسم الخط.

٣ ـ وكذبه الآخر قوله: بثبوت هذه السورة في «دبستان مذاهب» مع أنَّه ليس لهذه السورة ذكر في هذا الكتاب أيضاً.

«دبستان مذاهب»

ليس من كتب الشيعة

٤ ـ ومن افتراءاته على الشيعة اسناده كتاب: «دبستان مذاهب» اليهم، وهو كتاب في «الملل والنحل» جمع

مؤلفه بين الغثِّ والسَّمين، والحق والباطل، وفيه حكايات يأبى العقل احتمال صحتها، واستند في نقل أكثر ما فيه عن مجاهيل، ويظهر من أسمائهم أنهم كانوا من دراويش الهند ولم يعلم مذهب مؤلّفه ولا اسمه على التحقيق، فقد اخفى مؤلفه اسمه ومذهبه فلا يوجد في أصل الكتاب اسمه ولا اسم مذهبه كما هو الشأن في غير هذا الكتاب من ذكر اسم المؤلف ومذهبه.؟

واختلف في اسمه فحكي عن سرجام ملكم أن اسم مؤلفه محسن الكشميري المتخلص في شعره بالفاني، وتوجد ترجمته في كتاب «صبح كلشن» من غير ان يذكر له هذا التأليف.

وحكي عن مؤلف «مآثر الأمراء» أن اسمه كان ذو الفقار، وقيل: إنَّه لسياح عاش في أواسط القرن الحادي عشر.

وعن بعض المستشرقين أنَّ في مكتبة بروكسل نسخة منه مذكور فيها أنَّ اسم مؤلفه كان «محمد فاني»، وفي «كشف الظنون» أنَّه تأليف موبد شاه المهتدي، صنَّفه لأكبر شاه، وعن مقدمة قزارستان أنَّه تأليف مؤبد افراسياب.

وقيل إنَّ اسم مؤلفه كان كيخسرو ابن آذر كيوان، ولم

أجد لهذه الأقوال شاهداً قوياً لا في نفس الكتاب ولا في غيره.

وأمَّا مذهب مؤلفه فيلوح في بعض ما ذكر فيه عدم اعتقاده بالنبوات وبعث الأنبياء، فراجع ما ذكره في بحث الأديان، وما حكى فيه من المباحث الواقعة بين النصرانيين والمسلمين وبين أهل السنَّة والشيعة، وما ذكر فيه من اختلاف الفرق، ويوجد فيه من نقل اعاجيب الأكاذيب ما ليس في غيره، وذكر فيه مذاهب أهل السنَّة ثم تعرض لمذهب الشيعة، ويظهر من بعض مواضيعه أنَّه كان إلى مذاهب أهل السنَّة أميل، ونسبه بعض علماء الشيعة المتتبعين إلى الزندقة والإلحاد، والله العالم بحقيقة حاله وهو عليم بما في الصدور.

ومع ذلك كله كيف يقول الخطيب: إنَّه كان من الشيعة الإيرانيين؟ ثم يقول على سبيل الجزم إنَّه تأليف محسن الفاني الكشميري؟!

ومن الأعاجيب التي تضحك الثكلى ما نقل في «دبستان مذاهب» عن الشيعة من إسقاط سورة من القرآن (غير السورة التي نقلها الخطيب عنه كذباً) ولم يستند في ذلك إلى كتاب أو نقل عن مجهول، [ونقلها في «فصل الخطاب» في ما نقل عن كتب أهل

السنَّة]، وهذه السورة المختلقة مشتملة على الأغلاط اللفظية والمعنوية، وركاكة الاسلوب، يعرف من تدبَّر فيها أنَّها من اختلافات اعداء الاسلام، ولا يرتاب من له معرفة بكلام العرب أنَّها دون كلام سوقتهم فضلاً عن فصحائهم، وفضلاً عن كلام الله تعالى.

وقد أوضح ذلك غاية الإيضاح العالم الشيعي الجليل الشيخ البلاغي في مقدمة تفسيره فراجع. واقض العجب عن من يستند إلى هذه الكتب أو ينقل مثل هذه المهزلة في كتابه.

والحاصل أنَّ نسبة القول إلى نقص سورة من القرآن إلى الشيعة كذب محض لم يقل به أحد من الشيعة، وليس في رواياتهم منها عين ولا أثر، كما أنَّ نسبة تأليف كتاب «دبستان مذاهب» اليهم كذب محض أيضاً لا شاهد له في نفس الكتاب ولا في غيره، لم يعتمد أحد من الشيعة على هذا الكتاب.

٥ ـ الكذبة الخامسة في كلامه هنا. قوله بطبع «دبستان مذاهب» في إيران طبعات متعددة، وليت شعري: من أين عرف ذلك؟ وأيُّ نسخة من هذا الكتاب طبعت في إيران؟ وما اسم المطابع التي طبع فيها هذا الكتاب طبعات متعددة؟ ولم لم ينقل تاريخ طبعه في إيران وسائر خصوصياته؟ وما فائدة هذه الأكاذيب؟

نعم: قد عثرنا بعد بحث كثير وجهد جهيد في عدة مكتبات كبيرة على ثلاث نسخ مطبوعة.

الأولى: طبعت في بمبي الهند سنة ١٢٦٢.

والثانية: في سنة ١٢٦٧ غير أنَّه لم يذكر فيها مكان الطبع.

والثالثة: طبعت أيضاً في بمبي سنة ١٢٧٧.

وظني أنَّ النسخة الثانية مطبوعة في الهند أيضاً. ومع هذا كيف يقول: إنَّه مطبوع في إيران طبعات متعددة؟!!

المستشرقون دعاة الاستعمار[1]

من أعظم البلاء على المسلمين بل عامة الأمم الشرقية افتتان بعض شبّانهم ومثقفيهم بمقالات الغربيين سيما المتسمِّين منهم بالمستشرقين، واعتمادهم على ثقافتهم وآرائهم في المسائل الراجعة إلى الشرق وإلى الاسلام، مع أنَّ كثيراً منهم لا يريدون بالاستشراق إلاَّ الوقيعة بالمسلمين، وتتبع عوراتهم، وتفريق كلمتهم، وبعضهم يروجون الحضارات التي كانت قبل الاسلام، ويضعفون العلائق الدينية، يريدون بذلك إرجاعهم إلى الجاهلية، وإحياء شعائر الأمم الكافرة التي قضى عليها الاسلام قضاءً حاسماً.

---

(١) لا يخفى على الباحثين أنَّ لبعض المستشرقين خدمات مشكورة في إحياء تراثنا الاسلامي، فقد أدّوا الأمانة في مقالاتهم، وفي التأليف والنقل، واجتنبوا التحريف والتصرف في النقل، وليس قصدهم من البحث والتأليف إلاّ خدمة العلم ونشدان الحقيقة، فقلما يرى أولاً يرى في كلماتهم التعصب لدينهم، أو لأمتهم، فان صدر عن بعضهم خطأ ليس إلاّ لعدم انتهائه إلى نهاية البحث، أو لابتلائه بقلة المصادر فلا يتهم مثله بالتعمد في قلب الحقائق، والخيانة في البحث.

ففي إيران يروِّجون أساطير كورش وداريوش، وعادات المجوس وأيامهم، وأعيادهم كالسِّده ومهرجان.

وفي مصر يبعثون جمعيات للتحقيق في تاريخ الفراعنة وما يوصل مصر الحديثة بالقديمة.

وهذا ما يسمونه «بالفولكلور» أي ترويج الدراسات الشعبية والبحث عن عادات الشعب، وعقائد أبنائه، ومدنيتهم وآثارهم وقصصهم في الأجيال الماضية، وكشف آثار الأقدمين، فيدعون الأدباء والكتاب إلى البحث عن العقائد التي نسيها الزمان، والعادات والبرامج المتروكة، ويشوقون بعض الشبان وضعفاء العقول، ويصرفون الدراهم والدنانير والدولارات لتأليف الكتب وطبعها، ويستأجرون أقلام الصحف والمجلات والجرايد لترويج أهدافهم (وهذا من أضر ألاعيب الاستعمار على المسلمين) لم يقصدوا بذلك إلاَّ إحياء الحضارات السابقة على الاسلام، وتكثير العصبيات القومية، وتفرق الكلمة، وترى آثار هذه السياسات الغاشمة في مصر والشام والعراق وإيران وتركيا وشمال افريقية والهند وأندونيسيا. ولبعض المستشرقين قدم راسخة في تحقيق اهداف الاستعمار، واضعاف علائق الإتحاد الإسلامي، وإنشاء روح العصبية القبيلية، والنخوة الجاهلية التي حاربها الاسلام.

ومن أعظم البلية أنَّ بعض من لا خبرة له بالتاريخ،

ومصادر التشريع الاسلامي وأهداف الدين القويم يحسب آراء المستشرقين من أصح الآراء ويستشهد بها مبتهجاً بذلك.

ولبعضهم حول البحوث الاسلامية، وتاريخ رجال الدين، وزعماء الشرق كتب ومقالات ربما لا تجد فيه خلافاً مع ما عليه المسلمون إلاً في نقطة واحدة ولكنه لم يقصد بتأليف كتاب ضخم إلاَّ إبداء الشبهة في هذه النقطة وانكار حقيقة واحدة.

وللاستاذ عبد الوهاب حمودة مقال تحت عنوان «من زلاّت المستشرقين»[1] ذكر فيه زلاّت المستشرقين المتكررة، وهفواتهم الشايعة وتصيُّدهم للروايات الضعيفة، ونقد كتاب «العقيدة والشريعة» لجولد تسهير وكتاب «الاسلام» لجيوم وغيرهما.

وربّما لم يكن لعناية البعض ـ ممن لا إحاطة له بالمسائل التاريخية والمباحث الاسلامية ـ بأقوال المستشرقين إلاّ انخداعهم بالأسماء التي يحسبون أنَّ لها شأناً كبيراً أمثال: «براون» و«نولدكه» و«هنري لامنسون» و«إميل در منغم». فيحسب المسكين أنَّ وراء هذه الأسماء حقائق عالية، وآراء ثاقبة، وليس ذلك إلاً لضعف الشرق،

---

(١) رسالة الاسلام: س ١٠، ع٣ و٤.

واستيلاء الغرب عليه. حتى أنَّ بعض أبناء الشرق يعتقد صعوبة المناقشة في آراء المستشرقين. ونظرات الغربيين، والردِّ عليهم لأنَّه يحسبهم من رجالات العلم والإطلاع في جميع العلوم، وظن أنَّ تقدمهم في الصناعات والطب والبيطرة مستلزم لتقدُّمهم في سائر العلوم، وأن يكونوا أخبر بحال الشرق وطباع أبنائه وتاريخ الاسلام، وأصول التشريع، وعقايد الفرق الاسلامية من علماء المسلمين، ولم يعقل أنَّ ما حصل للمستشرقين من العلوم الاسلامية والبحوث التاريخية لم يحصل إلاَّ لأجل الغور في علوم المسلمين، ومطالعة كتب علمائهم[1].

هذا مضافاً إلى أنَّهم لا يريدون باستشراقهم إلاَّ خدمة أمتهم وحكوماتهم وليست آراؤهم العلمية خالية من النزعات السياسية، ومع ذلك أليس من أبشع ما في كتاب الخطيب إستشهاده بنقل ما وجد عند «براين» وحكاية (فولد كن) والجريدة الآسيوية الفرنسية.

أليس هذا (لو كان الخطيب صادقاً في نقله) شاهدا لما

---

(١) لا شك عند جميع المحققين من المسلمين وغيرهم أنَّ تأخر المسلمين ليس لضعف الفلسفة، والآداب، والتاريخ، ونقصان قوانينهم، فإنَّ الاسلام أحسن كافل لهم في ذلك، ولكنهم غلبوا لأنَّهم تركوا الاشتغال بالعلوم التجربية المادية كالكيميائية والطبيعية، والميكانيكية التطبيقية والنظرية وغيرها، وغلبوا لأنَّهم لم يملكوا من المصانع وأدوات الحرب ما يضاهون به عدوهم، وقد قال الله تعالى: «وأعُدوا لهم ما استطعتم من قوة. . . الآية.

قلنا من أنَّ كثيراً من المستشرقين لايخدمون باستشراقهم إلاً سياسات حكوماتهم ولا يطلبون إلاً بقاء سيادة الغرب على الشرق، واستعباد الأمم الشرقية سيما الاسلامية منها بالإلقاء الخصومات والخلافات بينهم. وإلاً فأيُّ مستشرق بصير عارف بلسان العرب وتاريخ الاسلام ومقالات الشيعة وكتبهم، لا يعلم اختلاق هذه النسبة على الشيعة، ولا يعلم أنَّ هذه الألفاظ تمس كرامة القرآن وليس للشيعة علم واطلاع على هذه السورة المكذوبة على الله تعالى. فكأن الخطيب لم يقرأ قوله تعالى: «**إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيَّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**».

الكلام حول أحاديث المسألة

لا نريد أن نعارض الخطيب بالمثل، ولا نحب نقل هذه الأخبار المطروحة السقيمة سواء أكان من طرق الشيعة أم من طرق أهل السنَّة حذراً من أن يتوهم جاهل لصوق بعض ما في هذه الأخبار بكرامة الكتاب، أو يتمسك بها بعض المستشرقين والمبشرين عند من ليس له تضلّع في التاريخ والحديث. ولكن ما ذنبنا بعدما يرمي الخطيب واقرانه الشيعة بهذه البهتانات، ولذا فإننا سوف لا نأتي بمتون هذه الروايات بل نكتفي بالإشارة إلى مواضعها في كتب القوم على سبيل الاختصار، ونبين الجواب عنها بحول الله وقوته فنقول:

إن نقل الروايات حول هذا الموضوع لم يكن من مختصات بعض كتب الشيعة كما أسلفنا مراراً، ولا يمنع من التقريب، ولا يجوز الطعن على الشيعة بذلك، فإن الروايات عن طريق أهل السنَّة في هذه المسألة كثيرة جداً أيضاً، وقد ذكرنا بعض ما ورد عن طرقهم ممَّا يدل على نقص سورة تامة، بل في احاديثهم ما يدل على نقص سورة

كسورة البراءة في الطول والشدة، وبعضها يدل على نقص آية أو أكثر، والتغيير والتبديل، بل وبعضها يدل على وقوع الزيادة. فراجع الاتقان[1]، ومسند أحمد[2]، وصحيح البخاري باب رجم الحبلى من الزنا إذا احصنت[3]، وتاريخ دمشق لابن عساكر[4] ترجمة أبي بن كعب، وكتاب الاحكام للآمدي[5]، وتفسير الطبري في تفسير آية: «**فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن**»[6]، وراجع تفسير الفخر أيضاً في ذلك، وراجع صحيح البخاري في باب «**والنهار إذا تجلّى**» من كتاب التفسير[7] وفي باب «**وما خلق الذكر والانثى**»، وراجع أيضاً ما في كتاب «الاحكام»[8] من أن ابن مسعود أنكركون المعوذتين والفاتحة من القرآن. وقد صرح باختلافهم في كون البسملة في مئة وثلاثة عشر

---

(١) للسيوطي ج١، ص ٦٧ و٨١، وج٢ ص ٢٥ و٢٦.

(٢) ج٥ ص ١٣٢.

(٣)ج٤ ص ١٢٥ طبع مصر، عام ١٣٠٤ و١٣٠٥هـ.

(٤) ج٢ ص ٢٨٨.

(٥) ج١ ص ٢٢٩.

(٦) أخرج بالإسناد إلى كل من أبي بن كعب، وابن عباس، وسعيد بن جبير، والسدي، أنّهم كانوا يقرأون.
«فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن اجورهن».
وارسل الزمخشري أيضاً في الكشاف هذه القراءة عن ابن عباس إرسال المسلّمات.

(٧) ٣/ ١٥٢ ط ١٣٠٤هـ.

(٨) الاحكام في اصول الاحكام ١/ ٢٣٠، ٢٣٣.

موضعاً، وراجع أيضاً صحيح مسلم باب «لوكان لابن آدم». من كتاب الزكوة[1]، وذكر في «فصل الخطاب» أكثر من تسعين حديثاً في هذا الباب من كتب العامة، وروي عن عمر في آية الرجم أنَّه قال: لولا أن تقول الناس «زاد عمر في كتاب الله لكتبتها (يعني آية الرّجم) فراجع الاتقان[2].

وذكر اليعقوبي المورِّخ الشيعي أنَّ عمر قال: هذا حين حضرته الوفاة.

وفي هذه الروايات (على ما حقَّقه وبيَّنه بعض علماء الشيعة) من الاضطراب والتدافع والتناقض في مضامينها، ومعارضتها بغيرها من الأخبار الكثيرة الصحيحة، وركاكة الأسلوب، وضعف المعاني، وانحطاط الفقرات وعدم مشابهتها لآيات القرآن ما لا يكاد يخفى على من له أدنى معرفة بأساليب الكلام وقواعد البلاغة[3].

وأمَّا الروايات المأثورة عن طرق الشيعة فليست إلاَّ نزراً قليلاً، وهي لعدم الاعتناء بها ولكونها غير مخرجة في اصولهم المعتبرة كالكتب الأربعة، ومطعون فيها بضعف السند أو الدلالة أو بهما معاً، يمكن حمل أكثرها على التفسير وبيان بعض المصاديق الظاهرة، وغير ذلك من

---

(١) ١/ ٣٨٦.

(٢) للسيوطي ٢/ ٢٦.

(٣) راجع مقدمة تفسير «إلاءِ الرحمن» للعلاّمة المغفور له الشيخ البلاغي النجفي.

المحامل الصحيحة التي يقبلها العقل والعرف.

أضف إلى ذلك أنك لا تجد في أحاديثهم رواية تدل على نقص سورة أو زيادتها كما يوجد في روايات أهل السنَّة، وقد عرفت أقوال أكابر الشيعة وحال هذه الروايات عندهم وأنَّها مضافاً إلى كونها مطروحة متناقضة ومعارضة بالأخبار المتواترة القطعية.

هذا مختصر الكلام حول الأحاديث، وغرضنا من ذلك هنا أنَّ اعتراض الخطيب وبعض من لا خبرة له بالمسائل الاسلامية على الشيعة مع وجود مثلها بل أكثر منها صراحة في كتب أهل السنَّة وصحاحهم ليس في محله، والاعتذار عن ذلك بأنَّها من منسوخ التلاوة ومنسوخ الحكم أو منسوخ التلاوة فقط عين الاعتراف بأنَّ ما نزل قرآنا كان أكثر من هذا الموجود بين الدفتين، ومع أنَّ إثبات النسخ بخبر الواحد ممنوع، بل قطع الشافعي وأكثر أصحابه وأكثر أهل الظاهر (كما حكي عنهم) بامتناع نسخ القرآن بالسنَّة المتواترة، ولو تمَّ لهم هذا الاعتذار فلا اختصاص لهم به لأنَّهم والشيعة فيه سواء.

ولكن التحقيق في الجواب إنكار أصل نزول أكثر من هذا الموجود بين الدفتين (كما حقَّقه محقِّقو الشيعة وبرهنوا عليه) لا الاعتراف بالنزول ثم التمسك بنسخ التلاوة، وعلى كل حال فهذه النقول لا تمس كرامة القرآن المجيد، ولا تقاوم الضرورة وإجماع الفريقين والأخبار المتواترة القطعية.

الشيعة تؤيِّد كلَّ حكومة اسلامية

قال في ص ١٤: «والحقيقة الخطيرة التي نلفت إليها أنظار حكوماتنا الإسلامية أن أصل مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية التي تسمى أيضاً بالجعفرية قائم على اعتبار جميع الحكومات من يوم وفاة النبي ﷺ إلى هذه الساعة عدا سنوات حكم علي بن أبي طالب حكومات غير شرعية، ولا يجوز للشيعي أن يدين لها بالولاء والاخلاص من صميم قلبه (الخ)».

زاد في الطنبور نغمة أخرى ليزيد الفتنة تأججاً، ويثير بها أولياء الحكومات على الشيعة فقال: ان اصل مذهب الشيعة قائم على اعتبار جميع الحكومات غير شرعية.

والجواب، هل يعتبر أهل السنَّة (والخطيب إن كان منهم) هذه الحكومات التي تأسست في بلاد المسلمين كلَّها شرعية؟ وهل يعتبر الحكومات التي أسَّسها المستعمرون، والحكومات التي لا عناية لها بشعائر الاسلام، والحكومات التي قامت بتفكيك الأمور السياسية ونظام الحكومة عن الاسلام حكومات شرعية؟ تلك الحكومات التي ألغت

أصول الإسلام ومناهجه السياسية والاجتماعية، والنظامية والعمرانية، ومنعت الاسلام من التدخل في شؤون الحكومة، وخضعت لأعداء المسلمين، واعتنقت نير المذلة حتى بدَّل بعضها التاريخ الهجري الإسلامي بالتاريخ الميلادي المسيحي.

هل يعتبر السنيُّ حكومةً يقول زعيمها «جمال كورسل» على ما في بعض الجرائد[1]: «يجب على الاسلام والمسلمين التحرر من استعمار اللسان العربي في صلواتهم واذانهم ودعائهم» حكومة شرعية؟

وهل يعتقد شرعية حكومة ألغت نظام الاسلام في الميراث والطلاق وغيرهما؟

أمَّا نحن معاشر الشيعة فنؤيِّد كلَّ حكومة إسلامية تخدم الإسلام وتقوم بحفظ مصالح المسلمين وتدافع عن شرفهم وكيانهم وحقوقهم، ونرى اضعافها والخروج عليها من الموبقات العظيمة، والشيعة تراعي مع كل حكومة مصلحة الإسلام، لم يخرج منهم من خرج في الأعصار الماضية على بعض الحكومات لكون أوليائه من أهل السنَّة، ولم يتركوا نصيحة الخلفاء والأمراء سيَّما في ما يرجع إلى قوة الإسلام وظهور المسلمين على غيرهم.

---

(١) جريدة «آرزو» الإيرانية العدد الخامس عشر (شهر يور ١٣٤٠ الشمسية).

وكان الإمام عليّ عليه السلام في خلافة أبي بكر وعمر ناصحاً لهما، يشير عليهما بآرائه السديدة في معضلات الأمور، ودخل في الأعمال الحكومية آنذاك جمع من الصحابة من شيعة الإمام، كسلمان وأبي ذرّ والمقداد وعمّار وغيرهم، وكان عليّ عليه السلام في خلافة عثمان أيضاً من أخلص نصحائه، وأحوطهم عليه، ولو قبل عثمان نصيحته لكان تاريخ الاسلام غير هذا.

نعم إنَّ الشيعة لا تعتبر الحكومات اليزيدية حكومات شرعية، كما لا تعتبر حكومة الطواغيت الظالمين المستحلّين لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما حرَّم الله ورسوله، ومبغضيهم وأعدائهم من أهل النفاق حكومة شرعية، ولا تعتبر حكومة معاوية التي حاربت أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ان عليّاً مني وأنا من علي وهو وليُّ كلِّ مؤمن بعدي»[1].

وقال: **«من كنت مولاه فعليٌّ مولاه أللّهمَّ والِ من والاه**

---

(١) راجع في ذلك أسد الغابة ٤/ ٢٧ و٥/ ٩٤ ومسند أحمد ٤/ ٤٣٧ و٥/ ٣٥٦، وسنن الترمذي ٢/ ٢٩٧، ومسند الطيالسي ٣/ ١١١ وص ٣٦٠، وحلية الأولياء ٦/ ٢٩٤، ومجمع الزوائد ٩/ ١٠٩ و١١٩ و١٢٧ و١٢٨، وكنز العمال ٦/ ١٥٤ و١٥٥ و١٥٩، و٣٩٦ و٤٠١، وتاريخ بغداد ٤/ ٣٣٩ والخصائص للنسائي ص ١٩ و٢٣، والرياض النضرة ٢/ ١٧١ و٢٠٣، والاصابة ٦ق ١/ ٣٢٥، والمستدرك ٣/ ١١١ و١٣٤.

وعادِ من عاداه»[1].

وقال: **«أنت مني بمنزلة هرون من موسى إلاَّ أنَّه لا نبِيَّ بعدي»**[2].

وقال له ولفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام **«أناحربٌ لمن حاربتم وسلمٌ لمن سالمتم»**[3] ـ حكومة شرعية، تلك

---

(١) راجع سنن الترمذي ٢/ ٢٩٨، وابن ماجة ١/ ٥٦ و٥٨ ومسند أحمد ١/ ٨٤ و٨٨ و١١٨ و١١٩ و١٥٢ و٣٣٠ و٤، ٢٨١ و٣٦٨ و٣٧٠ و٣٧٢ و٥/ ٣٠٧ و٣٥٨و٣٤٧ و٣٦١، ٣٦٦، ٤١٩، والمستدرك: ٢/ ١٢٩ و٣/ ١٠٩ و١١٠ و١١٦ و٣٧١ و٥٣٣، ومجمع الزوائد ٩/ ١٠٤ و١٠٦ و١٠٧ و١٠٨ و١٠٩.
اقول: إستقصاء جوامع الحديث والكتب التي جاء فيها هذا الحديث وغيره من أحاديث الولاية صعب جداً، وإن شئت الزيادة فراجع كنز العمال، والرياض النضرة، والإصابة، وفيض القدير، وحلية الأولياء، والمرقاة، والخصائص، والدر المنثور، وتفسير الفخر، وتاريخ بغداد، والصواعق، وأسد الغابة، ومشكل الآثار، وكنوز الحقايق، والجامع الصغير، وقد أفرد كل من ابن عقدة، والذهبي، وأبي سعيد السنجري، وأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، وابن الحداد الحسكاني وغيرهم لهذا الحديث كتاباً خاصاً به فراجع مقدمة الكتاب القيم الموسوم بـ «فتح الملك العليّ بصحة حديث باب مدينة العلم علي» ـ وخطبته ص ١٤ و١٥ و٢١ ـ من الطبعة الثانية.

(٢) راجع صحيح مسلم «كتاب فضائل الصحابة» ٧/ ١٢٠ والبخاري «كتاب بدء الخلق» في باب مناقب علي ٢/ ١٨٥، وفي باب غزوة تبوك ٣/ ٥٤، وسنن ابن ماجة ١/ ١٥٥، ومسند أحمد ١/ ١٧٠ و١٧٣ و١٧٤ و١٧٥ و١٧٧ و١٧٩ و١٨٢ و١٨٤ و١٨٥ و٣٣٠ و٢/ ٣٠٩، و٣/ ٣٣٨، و٦/ ٣٦٩ و٤٣٨، ومسند الطيالسي ١/ ٢٨ و٢٩ والحلية، والخصائص، ومشكل الآثار، وتاريخ بغداد، وأسد الغابة، وسنن الترمذي، والمستدرك، والطبقات، ومجمع الزوائد، وكنز العمال، والرياض، وذخائر العقبي، وتاريخ الطبري، وسيرة ابن هشام وغيرها من كتب السيرة وجوامع الحديث.

(٣) سنن الترمذي ٢/ ٣١٩، وابن ماجة ص ١٤، والمستدرك ٣/ ١٤٩، وأسد الغابة ٥/ ٥٢٣، ومسند أحمد ٢/ ٤٤٢ وغيرها.

الحكومة التي أعلنت سبَّ عليٍّ على المنابر، ودسَّت السمَّ الى الحسن عليه السلام سيد شباب أهل الجنة[1]، ولا تؤيد حكومة يزيد الفاسق المعلن للمنكرات والكفر وقاتل الحسين عليه السلام والمتمثل بأشعار ابن الزبعري المعروفة فرحاً بحمل رأس ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي أباح بأمره مسلم بن عقبة المدينة ثلاثاً فقتل خلقاً من الصحابة ونهبت بأمره المدينة، وافتُضَّت في هذا الواقعة التي سودت صحائف التاريخ ألفُ عذراء حتى ولدت الابكار لا يعرف من أولدهن، وهو الذي أمر بغزو الكعبة[2].

الشيعة لا تقول بشرعية هذه الحكومة ولا بشرعية حكومة عبد الملك الغادر الناهي عن الأمر بالمعروف الذي قال السيوطي في حقه: لو لم يكن من مساويه إلاّ الحجّاج وتوليته إيّاه على المسلمين وعلى الصحابة يهينهم ويذلُّهم قتلاً وضرباً وشتماً وحبساً، وقد قتل من الصحابة والتابعين ما لا يخفي، فضلاً عن غيرهم، وختم في عنق أنس وغيره من الصحابة ختماً يريد بذلك ذلَّهم (لكفى)، فلا رحمه الله، ولا عفا عنه[3].

نحن لا نقول بشرعية حكومة الوليد بن يزيد الفاسق الشريب للخمر والهاتك لحرمات الله تعالى الذي أراد الحج

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٧٣، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤/ ١٧ ط المطبعة الميمنية، ومروج المذهب ٢/ ٣٠٣، والنصائح الكافية ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) راجع في ذلك «تاريخ الخلفاء» و«تاريخ اليعقوبي»، والطبري، وابن الاثير، وابن كثير ومروج الذهب وتذكرة الخواص.

(٣) تاريخ الخلفاء: ١٤٧.

ليشرب الخمر فوق ظهر الكعبة فمقته الناس لفسقه، وهو الذي فتح المصحف فخرج «**واستفتحوا وخاب كلُّ جبَّار عنيد**» فألقاه ورماه بالسهم وقال ما قال، وحكي عنه من قبائح الأعمال(١) ما بقي عاره على من يعتبر تلك الحكومات شرعية إسلامية.

نحن لا نفتي بشرعية حكومة هؤلاء، ولا حكومة أكثر الخلفاء العباسيين والجبابرة الذين خانوا الاسلام واظهروا الفسق وارتكبوا الفجور كما لم يعتبر ابو حنيفة حكومة المنصور العباسي حكومة شرعية وأفتى بجواز الخروج عليها، وكما لم تعتبر الأمة المصرية حكومة الفاروق حكومة شرعية فخلعته عن الحكم.

ولا تؤيد الشيعة حكومة تعمل على إثارة الفتن بين المسلمين، وتسعى سعيها لتجديد ذكر الأمويين، وخدمة الاستعمار، وتتَّبع سبيل «هنري لا منس» المسيحي المستشرق الخبيث عدو الاسلام والمسلمين.

وعليك أيها القارىء العزيز بالتأمل في هذا الحديث، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة: «**أعيذك بالله من إمارة السفهاء**»؟

قال وما ذاك يا رسول الله قال:

---

(١) راجع مروج الذهب: ٣/ ١٤٩، وتاريخ الخلفاء: ١٦٦.

«أمراء سيكونون من بعدي من دخل عليهم فصدَّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليسوا مني ولست منهم، ولم يردوا عليَّ الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدِّقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني وأنا منهم، وأولئك يردون عليّ الحوض»[1].

وأخرج في أسد الغابة[2] عن أبي سلامة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ.

«سيكون عليكم أئمة يملكون أرزاقكم وإنَّهم يحدِّثونكم فيكذبونكم ويعملون فيسيؤن ولا يرضون منكم حتى تحسنوا قبيحهم وتصدِّقوا كذبهم فأعطوهم الحق ما رضوا به، فإذا تجوروا، فقاتلوهم فمن قتل على ذلك فإنَّه مني وأنا منه» اخرجه الثلاثة.

وفي حديث آخر وصف فيه حال الفقهاء والقرّاء الذين يأتون الأمراء الظالمين.

«إنَّ ناساً من أمتي سيتفقَّهون في الدين ويقرأون القرآن ويقولون نأتي الأمراء فنصيب من دنياهم ونعتزل بديننا ولا يكون ذلك كما لا يجتني من القتاد إلاَّ الشوك كذلك لا يجتني من قربهم إلاَّ. . . .» قال الراوي: كأنه يعني الخطايا.

---

(١) مصابيح السنّة ٢/ ٧٠ طبع محمد على صبيح بمصر.
(٢) ٥/ ٢١٧.

ونعم ما وصف به فيلسوف المعرَّة حال الأمة مع هؤلاء الأمراء قال:

قلّ المقام فكم أعاشر أمة
أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها
فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

والاساس المتين الذي يجب أن تقوم عليه كل حكومة إسلامية لتكون شرعية يجب على الناس تأييدها أن تكون صالحة، عادلة، مصدر تحقيق رسالة الاسلام، ومظهر نظامه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، مجتهدة في رفع ألوية العلم والدين، تضع أزمَّة الأمور في أنظف الأيدي، وتعترف للجميع بحقوقهم، وتحترم الحريات التي منحها الاسلام، ويكون رجالها خُدّاماً للاسلام، حراساً لحقوق المسلمين.

هذا وقد أيَّد الشيعة الأقطار الاسلامية، ودافعوا عن حقوق كافة المسلمين، كما دافعوا عنهم ضد الاستعمار العالمي وفي شتى المؤتمرات العالمية وغيرها. فالعالم الاسلامي لا ينسى مساعي الشيعة في سبيل استقلال الجزائر المسلمة والباكستان واندونيسيا وحمايتهم لحكومة الجمهورية العربية في واقعة قناة السويس، ولم يكن فرح أبناء الشيعة بهذه الفتوح أقل من فرح إخوانهم أبناء الجماعة إن لم يكن أكثر.

معنى الناصب

نقل الخطيب في ص ١٥ «بواسطة بعض الكتب عن كتاب مسائل الرجال مكاتبة محمد بن علي بن عيسى إلى الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم عليه السلام، ثم فسر ما فيها من السؤال عن الناصب، والجواب عن ذلك واستخرج من تفسيره تحامل الشيعة على الشيخين، وأنَّه يكفي لأن يعدَّ أيُّ إنسان ناصباً وعدواً لآل البيت إذا قدَّمهما واعتقد إمامتهما».

إن ما افترى على الشيعة وملأ به مجموعته، إمَّا أن يكون له مصدر، وإمَّا أن ليس له مصدر سوى كتاب مجهول. أو شخص مجهول، أو متن شاذ، أو ما لا يؤيد دعواه إلاَّ إذا فسره بما يوافق هواه أو ما فيه كل هذه العلل، ومن جملة ذلك هذه المكاتبة. فمصدرها كتاب مسائل الرجال... كتاب مجهول لم نظفر بعد البحث الكثير باسم جامعه ومؤلفه، ومحمد بن علي بن عيسى أيضاً مجهول، ولم يفسرها الخطيب بما فسر إلاَّ ليهيِّج به أهل السنَّة على الشيعة، ويوقد نار النزاع، ويفرِّق بين المسلمين، ويوقظ

الفتن الراقدة التي ترجع تمام فائدتها إلى اعداء الدين، فماذا تستفيد الأمة من ذكر هذه الأمور التي أبلاها الدهر، وأنساها الزمان؟ وما فائدة استعراض هذه المباحث إلاّ التفرق المنهي عنه في الاسلام؟ وما لنا والدخول في هذه المناقشات؟ وماذا نخسر لو حملناها على المحامل الصحيحة؟ وما الذي حمل الخطيب على أن يفسر مثل هذه المكاتبة التي عرفت علّتها بهذا التفسير الشائك؟ وما فائدة الاهتمام في تكثير الفوارق بين المسلمين؟ ولم لم يكتب بعد كاتب مصلح كتاباً في مشتركاتهم الأساسية وما اتفقت عليه كلمة الكل من العقائد الاسلامية التي هي الملاك الفذّ للحكم بالاسلام؟ وما يمنع الخطيب من مراجعة كتب الشيعة المعتمدة واحاديثهم الصحيحة، وفتاوى فقهائهم، حتى يعرف أن الناصب عندهم وفي اصطلاحهم ـ كما صرح به اكابر علمائهم ـ من ينصب العداوة لأهل البيت، ويسبُّهم، ويبغضهم[1]؟

قال شيخ المحدثين محمد بن علي بن الحسين الملقب بالصدوق (المتوفى ٣٨١هـ) في «موسوعته الفقهية من لا يحضره الفقيه» وهو أحد الجوامع الأربعة التي يدور عليها فقه الشيعة الإمامية في جُلِّ أبوابه، بل كلَّها:

---

(١) راجع كتاب «المعتبر» و«تذكرة الفقهاء» و«المنتهي» وغيرها.

والجُهّال يتوهَّمون أن كلَّ مخالف ناصبٌ وليس كذلك[1].

وبعد ذلك كله نسير في هذا البحث على نحو عام، بحيث يظهر منه أن مجرد تخريج خبر في كتاب لا يصح الاحتجاج به حتى على مؤلفه فضلاً عن أهل مذهبه. فتخريج الأحاديث وجمعها وحفظها، شيء، وملاحظة أسنادها ومتونها ودلالة ألفاظها وعامها وخاصها ومطلقها ومقيدها والنظر في متابعاتها أو معارضاتها، شيء آخر.

فنقول:

أولاً ـ لو كان إخراج كل راوية في كتاب من كتب أهل السنَّة أو الشيعة حجَّة عليهم ـ وإن لم تكن الرواية معتبرة عندهم حتى عند مخرجيها حسبما ذكروه في كتب الحديث والدراية والرجال ـ لكانت حجة الشيعة على أهل السنَّة أقوى، إذ يستندون إلى روايات عن طرقهم في الأصول والفروع وفي صفات الله تعالى مما خالف ضرورة العقل والكتاب والسنَّة، ويحتجون على أهل السنّة بعقائد بعض مشايخهم من المتصوفة وغيرهم مما لا نحب ذكره.

وثانياً ـ إنَّ الشيعة لا يعملون بالأحاديث إلاَّ بعد الفحص والتنقيب عن حال رواتها ومخرجيها، وبعد حصول

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٣/ ٢٨٥.

الاطمئنان إلى كون رواة الحديث في جميع الطبقات من الثقات الأثبات، أو حصول الوثوق بصدور الحديث من الإمارات المذكورة في محلها، ولو كان حديثاً معارضاً بحديث آخر يأخذون بما وافق منهما الكتاب والسنَّة القطعية، ولهم في ذلك أصول تكشف عن كمال تدقيقهم في تمييز الأحاديث الصحاح والحسان من الضعاف، ويعتبرون في حجية الحديث أن يكون معمولاً به بين رؤساء المذهب وقدماء الشيعة المعاصرين لأئمة أهل البيت أو من قارب عصرهم، فلو كان حديثاً متروكاً لم يعمل به الفقهاء أو لم يعمل به إلاَّ الشاذ منهم وأعرض عن الفتوى والعمل به المشهور، لا يعتمدون عليه، ولا يفتون بظاهره. فلا يحتج على طائفة هذا مسلكهم في العمل بالأحاديث والأخبار بكل حديث خرَّجوه في كتب الحديث فضلاً عن غيره، فلا ينبغي معاتبة الشيعة وغيرهم، والحكم عليهم بمحض تخريج خبر في بعض كتبهم قبل الفحص عن حال الكتاب، وقبل النظر في سند الخبر وفي متنه، وأنَّه وقع مورد القبول عند علمائهم، وحكموا له بالصحة والاعتبار ام لا.

وثالثاً ـ الحديث الذي تحمَّله الرواي مشافهة قراءة أو سماعاً أقرب إلى الصحة والاعتبار عند الشيعة من الحديث

الذي تحمَّله بالمكاتبة، لأنَّ الحديث يسقط عن الاعتبار في كثير من الموارد بسبب وقوع الاشتباه في تشخيص خط المروي عنه، وعدم حصول الوثوق بذلك، ودخالة اجتهاد الراوي وحدسه في تشخيص الخط. نعم لو كانت هناك قرائن معتبرة تدل على وقوع المكاتبة وكون الكتاب بخط المرويِّ عنه فلا كلام في اعتباره.

ورابعاً ـ هبْ أنَّ في الشيعة من يتحامل على بعض الصحابة ولا يرى في ذلك بأساً ـ بحسب اجتهاده ـ أيكون هذا مانعاً من التقريب والتجاوب؟ أو يوجب خروجه عن الايمان؟ أترى أن الله تعالى يقبل عذر بعض الصحابة في مشاتمات وسباب وقعت بينهم بحضرة النبي ﷺ أو بعد ارتحاله إلى الرفيق الأعلى وفي محاربات وقعت بينهم وشهادة بعضهم على بعض بالزنا وشرب الخمر وقتل النفس والسرقة والكفر[1]، ولا يقبل عذر من يتحامل على بعضهم اجتهاداً ونزولاً على حكم الأدلَّة الشرعية وليس هذا معذوراً مأجوراً؟ أليس هذا اولى بقبول عذره من الأول؟

---

(١) راجع: أسباب النزول للواحدي ـ ص ١١٨، ومسند أحمد ٢/٤٣٦، والباب الأول من القسم الرابع من كتاب الشفاء، وراجع ترجمة قدامة بن مظعون في الاستيعاب والإصابة وطبقات ابن سعد في ترجمة أبي هريرة، وكتب التواريخ في قتل خالد مالك بن نويرة وهما صحابيان ونكاحه زوجة مالك من ليلته.

قال ابن حزم: من سبَّ احداً من الصحابة رضي الله عنهم فإنَّ كان جاهلاً، فمعذور، وإن قامت عليه الحجة فتمادى غير معاند، فهو فاسق كمن زنى وسرق، وإن عاند الله تعالى في ذلك، ورسوله ﷺ، فهو كافر، وقد قال عمر (رض) بحضرة النبي ﷺ عن حاطب (وحاطب مهاجري بدري) دعني أضرب عنق هذا المنافق. فما كان عمر بتكفيره حاطباً كافراً، بل كان مخطئاً متأولاً[1]، وقال من كان على غير الاسلام وقد بلغه أمر الاسلام فهو كافر، ومن تأوَّل من أهل الاسلام فأخطأ فان كان لم تقم عليه الحجَّة، ولا تبيَّن له الحق، فهو معذور مأجور اجراً واحداً لطلبه الحق وقصده إليه، مغفور له خطأه الخ[2]. وقال أيضاً أمَّا الشيعة فعمدة كلامهم في الإمامة، والمفاضلة بين أصحاب النبي ﷺ، واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم[3].

ولا ريب في أن الشيعة لم يقولوا في الإمامة والمفاضلة ما قالوا إلاَّ بالحجج التي عندهم من الكتاب والسنَّة، ولو كانوا بزعم غيرهم مخطئين متأوَّلين فهم معذورون مأجورون على كل حال، ويأتي مزيد إيضا لذلك إن شاء الله تعالى في بعض المباحث الآتية والله الهادي إلى الصواب.

---

(١) «الفصل» لابن حزم ٣/٢٥٧، الطبعة الأولى.

(٢) المصدر السابق ٣/٢٥٨.

(٣) المصر السابق ٢/٢١٣.

الدعاء الذي نقله عن مفتاح الجنان

وفي ص ١٥ نقل عن مفتاح الجنان دعاءً ثم فسَّره بما يهين بعض الصحابة، وقال هو يعني كتاب مفتاح الجنان بمنزلة دلائل الخيرات(٤) في بلاد العالم الاسلامي الخ.

لم أجد هذا الدعاء في أصل من أصول الشيعة، ولم أسمع بواحد من مشايخي، ولا بأحد من الشيعة يقرأ هذا الدعاء، ولم أعثر بعد عليه إلاَّ في كتاب الخطيب، والكتاب الذي ذكره ليس من الكتب المعتمدة، وليس له هذا الشأن والاعتبار والاشتهار فقد بحثت عنه في عدة من المكتبات فلم اجد فيها وفي فهارسها منه عيناً ولا أثراً.

نعم يوجد عند الشيعة كتاب دعاء اسماه مولفه المحدث الشيخ عباس القمي «مفاتيح الجنان» ليس فيه هذا

(١) كتاب دلائل الخيرات رائج بين العامة. وفيه أشياء تخالف السنّة كما نبه عليه بعضهم في ذيل ص ١٧ من الخطوط العريضة في الطبعة السادسة، ومع ذلك لم ينكر عليه الخطيب كما أنكر على الجنان.

الدعاء، ويوجد فيه طعن شديد على الكتاب الموسوم بمفتاح الجنان ولعله هو الكتاب الذي ذكره الخطيب، وهذا الكتاب لو كان أصله من تأليف بعض الشيعة فلا شك في وقوع التصرف والدسّ فيه، وذكر المحدث القمّي أنَّ فيه زيادات ليست في كتب الأدعية المعتبرة قد دسَّها فيه الوضَّاعون. والمحدث المذكور صنَّف المفاتيح لتخليص المفتاح من هذه الزوائد، وما لا مأخذ له في كتب الدعاء، وعلى كل حال فلم أر لهذا الدعاء فيما بأيدينا من كتب الشيعة رواية، والأدعية التي يداوم الشيعة على قراءته هي الأدعية المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام.

ومن أراد أن يرى الشيعة في مرآة ادعيتهم ينبغي له الرجوع إلى الكتب التي صنَّفها علماؤهم الأجلاء كالشيخ الطوسي، والسيد ابن طاوس، وغيرهما في الدعاء.

وقد أفردوا في جوامعهم في الحديث أيضاً كتباً في الدعاء لا ترى لهذا الدعاء فيها إسماً ولا أثراً، وهذه الأدعية مشتملة على المطالب العالية في المعارف والأخلاق الإسلامية، والآداب الاجتماعية بأفصح الألفاظ وأبلغ العبارات التي تهذب الأخلاق، وتصفي الأرواح وتكمل النفوس، وتطهرها من الأوساخ المادية، وتزيد في الوعي الاسلامي. فاقرأ الدعاء الذي علمه الإمام زين العابدين علي ابن الحسين عليه السلام أبا حمزة الثمالي، والدُّعاء الذي علّمه

سيّدنا أمير المؤمنين عليه السلام كميل بن زياد، ودعاء الحسين عليه السلام في يوم عرفة، واقرأ الصحيفة السجَّادية وسائر الأدعية حتى تعرف مبلغ ثروة الشيعة العلمية والروحية في الدعاء، وتعرف أنَّ الخطيب وزملاءه ممَّن يعيب الشيعة بدعاء صنمي قريش الذي عرفت حاله، ويتركون هذه الأدعية لا يريدون إلاَّ إثارة الضغائن المدفونة بالافتراء وتتبع عورات المسلمين.

افتراؤه على الشيعة بالتعصب للمجوسية

قال في ص ١٦ : «وقد بلغ من حنقهم على مطفىء نار المجوسية في إيران، والسبب في دخول أسلاف أهلها في الاسلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن سمَّوا قاتله أبا لؤلؤة المجوسي «بابا شجاع الدين» روى عليُّ بن مظاهر من رجالهم عن أحمد بن إسحق القميِّ الأحوص شيخ الشيعة ووافدهم أنَّ يوم قتل عمر بن الخطاب هو يوم العيد الأكبر، ويوم المفاخرة، ويوم التبجيل، ويوم الزكاة العظمى، ويوم البركة، ويوم التسلية الخ».

الشيعة طائفة كبيرة من المسلمين منتشرون في الممالك الإسلامية وغيرها كسوريا، ولبنان، وإمارات الخليج، والمملكة العربية، والأفغان، وهند، وباكستان، وإيران، والعراق، واليمن، وتركيا، وتايلاند، وأندونيسيا، واوقيانيا، وبورما، وسائر بلاد آسيا وأوروبا وامريكا واكثر قدمائهم كانوا من عظماء المهاجرين والأنصار والتابعين، وليس جميعهم إيرانيين حتى يقال عنهم انهم سمَّوا أبا لؤلؤة «بأبا

شجاع الدين» تعصُّباً للمجوسية، وحنقاً على الخليفة.

ومطفىء نار المجوسية في إيران هو مطفىء نار الكفر والشرك وعبادة الأوثان في البلاد العربية، وسائر الممالك الاسلامية.

والسبب في دخول أسلاف أهلها في الاسلام هو السبب في دخول جميع المسلمين من الصحابة وغيرهم في الاسلام، وليس هو إلاَّ الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ المبعوث إلى كافة الناس، والذي أرسله الله رحمة للعالمين، وبالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وهو أكرم خلق الله وأعزُّهم وأحبهم إلى الشيعة، ومن كان في قلبه حنق عليه مثقال ذرة أو أقلَّ من ذلك فهو كافر عندهم خارج عن الاسلام.

والقسط الأكبر، والسهم الأوفر في نصرة الرسول ﷺ لإطفاء نار الوثنية والمجوسية وسائر أنواع الكفر، والشرك إنما هو لاصحابه المجاهدين الأولين السابقين، الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس من المهاجرين والأنصار الذين بذلوا أنفسهم دونه، وجاهدوا في سبيل الله وقاتلو وقتلوا.

كأبي دجانة الأنصاري، وسيد الشهداء حمزة، وجعفر الطيار، وبطل الإسلام ومجاهده الأكبر... رجل الحق والتضحية... فارس الغزوات وقاتل صناديد الشرك علي بن أبي طالب عليه السلام.

وكلٌّ باحث في التاريخ يعلم أن سبب فتوحات المسلمين بعد ارتحال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى هو إيمان المجاهدين بحقيقة الرسالة، وخلوص عقائدهم، وصدق نياتهم، وقوة عزائمهم، وثباتهم وصبرهم عند لقاء العدو، وحبُّهم للتضحية والشهادة، والجهاد في سبيل الله.

فهذه الفتوحات فتوحات الدين... فتوحات الإيمان والعقيدة.. فتوحات التربية المحمدية، فتوحات الأمة الاسلامية لا تنسب إلى شخص واحد أو قوم بعينهم لأنها ليست كغيرها من فتوحات الجبابرة مثل اسكندر ونابليون التي ليس من ورائها قصد إلاَّ استبعاد الناس، وبسط السلطة والملك، واغتصاب الأراضي، وليست الغلبة فيها بالسلاح وكثرة العدة والعدد بل كانت بقوة الإيمان والثقة بالله، وان النصر منه، والأرض له يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

وأما دخول أسلاف أهل إيران في الاسلام فإنه لم يكن بالإكراه والإجبار حتى يوجب الحنق على من أدخلهم فيه بل كان عن كمال الاشتياق والاختيار.

فقد فتحت حقيقة دعوة الاسلام وخلوصها من الشرك وسماحة تشريعاته واحكامه، وجامعية تعاليمه واكمليته قلوب الإيرانيين إلى الاسلام، وثباتهم على العقيدة الاسلامية، وشدة تمسكهم بمبادئه الى اليوم، وخدماتهم

للإسلام كما تأتي الإشارة إليها سجِّلت في التاريخ الاسلامي.

والخطيب يفتري عليهم، ويرميهم بالتعصب للمجوس، وينسى حنق المنافقين على علي بن أبي طالب لأنه قتل آباءهم وأبناءهم وأقاربهم في سبيل الله.

وحنق الأمويِّين وغيرهم من مبغضي أهل البيت على الاسلام وعلى الإمام علي عليه السلام، فلم يسند ما ظهر من الفتن الدامية بين المسلمين الى حنق هؤلاء الذين لم تذب بالاسلام عصبياتهم الجاهلية، وبقيت قلوبهم مملوءة بالحقد والحنق على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته، وعلى المجاهدين الأبطال الذين جعل الله بسيوفهم ومجاهداتهم كلمة الاسلام هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

فراجع ما ذكره المسعودي في حوادث سنة اثنتي عشرة ومئتين من سبب أمر المأمون بلعن معاوية على المنابر حتى تعرف حق هؤلاء على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أهل بيته[١].

وعلى كل حال فالمؤمنون كلهم أخوة، لا فرق بين إيرانيهم وعربيهم، وأبيضهم وأسودهم إلاَّ بالتقوى.

قال الله تعالى: «**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**».

وأما ما ذكره من رواية علي بن مظاهر فهي راوية

---

(١) مروج الذهب: ١/٣٦١، ٣٦٢.

ضعيفة المتن وضعيفة السند لم نجدها لا في الجوامع ولا في الأصول المعتبرة عند الإمامية، كما نجد ترجمة علي بن مظاهر الذي عدَّه الخطيب من رجال الشيعة لا في كتب الرجال ولا في غيرها. ولا يستغرب وجود مثل هذا النقل عن مجهول في بعض المجاميع الكبيرة المبسوطة التي اعتاد مؤلفوها جمع الأخبار من غير أن يكترثوا الاعتبار أسانيدها وتحقيق متونها. وتجد أمثالها في كتب أهل السنَّة أيضاً.

فلا ينبغي مؤاخذة السني أو الشيعي بهذه الأخبار، بل يجب الرجوع إلى مَهَرَةِ علم الحديث من علماء الفريقين العارفين. وما ذكره من أن أبا لؤلؤة كان مجوسياً لم يثبت بل قيل ـ كما حكي عن الذهبي والطبري ـ أنَّه كان نصرانياً حبشياً.

وروي أنَّه كان مجوسياً، وهو عمُّ أبي الزناد الذي كان عالم أهل السنَّة في المدينة، وإمامهم في الحساب والفرائض والفقه والحديث والشعر، وكان عبداً للمغيرة بن شعبة، وهل كان معتنقاً للاسلام حين ما كان في المدينة المنوَّرة أم لم يكن قد أسلم بعد؟

الظاهر أنَّه اعتنق الاسلام، لأنَّ رسول الله ﷺ أمر بإخراج الكفار من المدينة المنورة ومكة المكرمة، فلو كان كافراً لم يكن مأذوناً له من الخليفة بالمقام بالمدينة والدخول

الى مسجد النبي ﷺ، والوقوف في صف المصلين[١]، وعلى كلٍّ لو كان فيمن يتولى حبيبة الرسول فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ويبالغ في ولايتها من سمع بمقالة النظام[٢] أو قرأ كتاب ابن قتيبة[٣] وغيره فسمَّى ـ بزعم الخطيب ـ أبا لؤلؤة (باب شجاع الدين) لا يخرجه ذلك من الإيمان، ولا يجوز تفسيقه إذا كان عن اجتهاد، بل لا يجوز

---

(١) كان عمر لا يترك أحداً من العجم يدخل المدينة، كما انه لم يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة. فكتب إليه المغيرة وهو على الكوفة يذكر له غلاماً عنده جملة صنائع، ويستأذنه أن يدخل المدينة، ويرغبه في ذلك ويقول: إنَّ عنده أعمالاً كثيرةً فيها منافع للناس فهو حداد، ونقّاش، ونجار فأذن له في دخول المدينة (راجع تاريخ الخلفاء، ومروج الذهب).

فليسمح لي القارىء أن اقول: إنَّ هذه القصة ليست بسيطة، فما أراد المغيرة من استيذانه الخليفة أن يدخل غلامه المدينة وترغيبه في ذلك مع علمه بأنه لا يأذن ذلك لمثله ولا تقبل النفس أن يكون ما ذكره المغيرة هو السبب لاستئذانه، فإن مثل هذا الغلام العارف بهذه الصنائع لم يكن بقليل في ذلك الزمان، أليس هذا شاهداً على أن بعث الغلام كان من أفاعيل السياسة وعلى تدخل المغيرة فيها وهو أمر يحتاج الى البحث والتنقيب.

وذهب بعض الباحثين الى أن وراء قتل عمر بن الخطاب وغيره من الخلفاء كانت مؤامرات يهودية، وان كعب الأحبار الذي كان من أشد المنحرفين عن أهل البيت كان صديق معاوية ومقوي سلطانه وله اليد الطولى في تدبير المؤامرة لقتل عمر، وليس ذلك ببعيد فإن اليهود لا يزالون وراء أكثر الفتن التي أصابت المسلمين الى عصرنا هذا قاتلهم الله أنى يؤفكون.

(٢) نقل الشهر ستاني في الجزء الأول من «الملل والنحل» المطبوع بهامش «الفصل» ص ٧٣، أنه قال: إنَّ عمر ضرب بطن فاطمة عليها السلام يوم البيعة حتى ألقت المحسن من بطنها وكان يصيح أحرقوها بمن فيها وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين. (انتهى كلامه).

(٣) الإمامة والسياسة: ١/ ١١ ـ ١٤ الطبعة الأولى.

تكفير قاتله إن ثبت إسلامه ولم تقم قرينة على معاندته للحق وخصومته للاسلام، بل كان ذلك منه تشفَّياً لغيظه وغضبه على عمر لأنَّه لم يكثر خراجه، ولم ينتصف له بزعمه من المغيرة.

فالمسلمون لم يكفِّروا من نقم على عثمان من الصحابة وغيرهم، ولم يكفِّروا قتلته، وفي أهل السنة من لا يكفر عمران بن حطان الناصبي الذي مدح أشقى الأولين والآخرين، وشقيق عاقر ناقة صالح عبد الرحمن بن ملجم المرادي بأبياته المشهورة الخبيثة، بل أخذوا عنه الحديث، بل أجترأ بعضهم وعد ابن ملجم من الصحابة مع قولهم بأنَّ الصحابة كلُّهم عدول[1].

---

(١) إذا كان الصحابة كلهم عدولاً فما معنى الحديث الذي اخرجه البخاري ٣/ ١٣٦ طبع المطبعة الميمنية عام ١٣٢٠هـ، وهو الحديث الثاني من كتاب الفتن باسناده عن النبي ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إليَّ رجال منكم حتى إذا هويت لأناولهم اختلجوا دوني فاقول: أي رب أصحابي فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك».

وفي صحيح مسلم ٨/ ١٥٧ ط المطبعة العامرة عام ١٣٣٣هـ بإسناده عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله خطيبا بموعظة. . . الى ان قال ـ ألا إنَّه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: كما قال العبد الصالح، وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك، وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم. قال: فيقال لي: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. وفي حديث معاذ: «انك لا تدري ما أحدثوا بعدك» وان شئت زيادة على ذلك فراجع أيضاً صحيح مسلم «باب إثبات الحوض ٧/ ٦٥ الى ٧١» حتى تعرف كثرة هذه الأحاديث =

فمن لم يكفر أمثال عمران بن حطان، وحريز بن عثمان الرجي الذي قال عنه يحيى بن صالح: صلَّيت معه سبع سنين فكان لا يخرج من المسجد حتى يلعن علياً عليه الصلاة والسلام سبعين مرة[1]، وغيرهما من مبغضي علي بن ابي طالب عليه السلام[2]، ويأخذ منهم ومن شمر بن ذي الجوشن وعمر بن سعد الحديث، ويذكر ابن ملجم في عداد الصحابة، كيف يعاتب الشيعة بزعم أن فيهم من يمدح أبا لؤلؤة، ويسميه (بابا شجاع الدين) ويعدُّ ذلك مانعاً من التقريب واتحاد كلمة المسلمين.

فأمُّ المؤمنين عائشة سجدت لقتل الإمام عليٍّ شكراً وقالت ما قالت حتى عابها الناس[3].

= الصحيحة. رواها خلق من الصحابة منها ما أخرجه باسناده عن أنس أنه صلى الله عليه وآله قال: ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رأيتهم ورفعوا إليَّ اختلجوا دوني فلا قولن: أي رب اصحابي اصحابي، فليقالن لي: انك لا تدري ما احدثوا بعدك. فإذا كان الصحابة كلهم عدولاً فلا يوجد إذن مصداق لهذه الأحاديث والآيات النازلة في المنافقين.

(١) تهذيب التهذيب: ٣/ ٢٤٠.

(٢) أخرج في أسد الغابة: ٥/ ١٠١ بإسناده عن يحيى بن عبد الرحمن الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من أحبَّ علياً محياه ومماته كتب الله تعالى له الأمن والإيمان ما طلعت الشمس وما غربت، ومن أبغض علياً محياه ومماته فميتته جاهلية وحوسب بما أحدث في الاسلام». أخرجه أبو موسى.

أقول: الأخبار بهذا المضمون ونحوه كثيرة متواترة.

(٣) هذا الطبري وابن الأثير وغيرهما من المؤرخين ذكروا: لما انتهى إلى عائشة قتل علي (رض) قالت:

فألقت عصاها واستقرَّ بها النَّوى ... كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر =

وهذا معاوية أظهر السرور بقتل أمير المؤمنين والحسن عليه السلام وسبَّه وأمر بسبه على رؤوس المنابر. ألم يظهر العثمانيون، والمروانيون السرور بقتل الحسين عليه السلام، واتخذوا يوم عاشوراء عيداً، ووضعوا في فضيلته الأحاديث؟.

فإذا كان إظهار الفرح بقتل عمر بن الخطاب سبباً للفسق أو الكفر أو العتاب فلم لا تعاتبون ولا تكفرون هؤلاء الذين اظهروا سرورهم بقتل أهل بيت النبي والوصي عليهم السلام واتخذوا يوم قتلهم عيداً؟!!

كانت مآتم بالعراق تعدُّها
أموية بالشام من أعيادها

فإذاً ما ذكره الخطيب لا يمنع من التقريب، والتجاوب والتفاهم، واتحاد الكلمة بعد الاتفاق على الأسس التي قام عليها الاسلام، وعلى المسلمين أن لا يتركوا الاعتصام بحبل الله لهذه الآراء التي أحدثتها سياسة الأمراء الجبارين، وان يتمسَّكوا بالدعوة المحمدية، وهدى القرآن والسنَّة، ويأخذوا بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

= فمن قتلته؟ فقيل رجل من مراد فقالت:

فإن يك نائياً فلقد نعاه غلامٌ ليس في فيه الترابُ

فقالت زينب بنت أبي سلمة؟ ألِعَليّ تقولين هذا؟ فقالت: إنّي أنسى فإذا نسيت فذكُروني.

(١) البقرة: ١٣٤.

فلا يجدِّدوا هذه المناقشات، ولا يخوضوا في هذه المباحث، فإنّه ليس عليهم حساب الأموات، ولا ينبغي أن يكون لهم غرض إلاّ نشدان الحقيقة فإن اللّه عليهم بما في صدور العالمين.

خدمات الفرس للاسلام والمسلمين

يجب على كل مسلم في شرق الأرض وغربها أن يقدِّر خدمات الفرس للاسلام وعلومه، وأن يفتخر بهم وبمساعيهم الجميلة في سبيل إعلاء كلمة الإسلام ومعارفه وآدابه، قوم مدحهم الله في كتابه فقال سبحانه وتعالى: **«ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنَّما يبخلُ عن نفسه والله الغنيُّ وأنتم الفقراءُ وإن تتولَّوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم»** (محمد ﷺ: ٣٨).

أخرج البغوي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية **«وإن تتولَّوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم»** قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا، فضرب على فخذ سلمان الفارسي ثم قال: **«هذا وقومه، ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس»**[١].

---

(١) مصابيح السنة: ٢/ ٢٨٩.

وأخرج أيضاً عن أبي هريرة قال: ذكرت الأعاجم عند رسول الله ﷺ فقال: النبي ﷺ: **«لأنَا بِهِمُ أو ببعضهم أوثق منّي لكم أو ببعضكم»**[1].

وأخرج أيضاً عن أبي هريرة قال: كنا عند النبي ﷺ إذ نزلت سورة الجمعة فلما نزلت هذه الآية: **«وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم»** قالوا: من هؤلاء يا رسول الله ﷺ؟ قال وفينا سلمان الفارسي ثم قال فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ثم قال: **«لو كان الإيمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء»**[2].

وأخرج ابن الاثير عن قيس بن سعد: «لو كان العلم متعلقاً بالثريا لناله ناس من فارس»[3].

واخرج السيوطي في «مفحمات الأقران في تفسير مبهمات القرآن»[4] (سورة الجمعة) **«وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم»** أخرج البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً أَنَّهم قوم سلمان.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: هم الاعاجم.

واخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة قال: كنا جلوساً

---

(١) المصدر نفسه: ٢/ ٣٠٠.

(٢) مصابيح السنة: ٢/ ٢٨٥.

(٣) أسد الغاب: ٤/ ٢١٦.

(٤) ص ٤٦.

عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة «**وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم**» قال: قلت: من هم يا رسول الله ﷺ؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثاً، وفينا سلمان الفارسي وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: «**لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء**»[1].

وأخرج مسلم نحوه في كتاب الفضائل باب فضل سلمان.

وأخرج الحافظ ابو نعيم[2] بإسناده احاديث رويت عن النبي ﷺ في فضل الإيرانيين وأنَّهم المبشرون بمنال الايمان والتحقق به وإن كان عند الثريا ولفظ بعضها «**لو كان الدين عند الثريا لذهب رجل أو قال: رجال من أبناء فارس حتى يتناولوه**».

وفي بعضها: أنَّه قال ﷺ: «**أعظم الناس نصيباً في الاسلام أهل فارس لو كان الاسلام في الثريا لتناوله رجال من أهل فارس**».

وفي بعضها: «**لو كان الدين معلَّقاً**» وفي بعضها «**لو كان هذا العلم بالثريا لناله قوم من أهل فارس**».

وفي بعضها: «**لو كان الخير منوطاً بالثريا لتناوله منكم رجال....**»(الخ).

---

(١) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن ص ١٢٥.

(٢) اخبار إصبهان: ١/ ١٢ ـ ١٤، ط. ليدن ١٩٣١.

قوم نشأ فيهم من رجالات العلم والفقه والحديث والتاريخ والفلاسفة والمتكلمين، واساتذة البلاغة والأدب من يفتخر بهم الملأ الاسلامي كالبخاري، والنسائي، وأبي داوود السجستاني، والترمذي وابن ماجة ومسلم من ارباب السنن، والطبري وابن ماكولا الجرفاذقاني «الكلبايكاني» والحاكم والنيشابوري، والفخر الرازي، والبيضاوي، والفيروز آبادي وغيرهم من أعلام السنيِّين.

وكالصدوق، والكليني، والشيخ الطوسي، وأمين الاسلام الطبرسي والطبري الشيعي، وابن شهر آشوب، والأردبيلى، والسيد عليخان الشيرازي وقطب الدين الرازي، والشيخ الرضي مؤلف كتاب «شرح الرضي»، والعلامة المجلسي، والفيلسوف أبي نصر الفارابي، وأبي على بن سينا البلخي، والخواجه نصير الدين الطوسي، وابن مسكويه، والحكيم الإلهي السيد الداماد، وصدر المتألهين الشيرازي، والفاضل الآوي، وسالار الديلمي، والشيخ بهاء الدين محمد العاملي، والوحيد البهبهاني، والفاضل النراقي، والشيخ الأنصاري والميرزا الشيرازي، وفي هذا العصر ترجمان العلوم الاسلامية أستاذنا السيد الزعيم الحاج آغا حسين الطباطبائي البروجردي المتوفي ١٣٨٠[١] وغيرهم

---

(١) وقد كان أكبر همه إعلاء كلمة الإسلام، وبسط تعاليمه في العالم، وكان من الزعماء المصلحين الداعين الى الاتحاد والاتفاق، والأخوة الاسلامية =

من اعلام الشيعة.

فحق للإيراني بل لكل مسلم أن يفتخر بألوف من أمثال هؤلاء الجهابذة والنوابع الذين لا ينسى التاريخ مساعيهم المشكورة في خدمة الاسلام، وجهودهم في الاحتفاظ بشعائر الدين الحنيف. وهذه كتبهم ومدارسهم ومساجدهم تنبىء عن قدمهم الراسخة في الغيرة على الاسلام وكتابه وأمته، وعن خلوص نيّاتهم في سبيل إعلاء كلمة التوحيد.

وان نسب اليهم الخطيب التعصب للمجوس فالله تعالى يقول.

«وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم»[1].

ويقول عز شأنه:

«ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين»[2].

= والاعتصام بحبل الله تعالى، وله في التقريب خطوات واسعة وجهود مشكورة لا تنسى فرحمه الله تعالى وأرضاه.

(١) محمد : ٣٨.

(٢) الشعراء: ١٩٨.

الإيمان بظهور المهدي (عج) فكرة إسلامية

ممّا اتفق عليه المسلمون خلفاً عن سلف، وتواترت فيه الأخبار عن النبيّ ﷺ: أنَّه لا بدَّ من إمام يخرج في آخر الزمان من نسل عليّ وفاطمة يُسمَّى باسم الرسول، ويلقب بالمهدي، يستولي على الأرض، ويملك الشرق والغرب، ويتبعه المسلمون، ويهزم جنود الكفر، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وينزل عيسى من السماء ويُصلِّي خلفه. . .

وأخرج جمع من اعلام أهل السنَّة والجماعة روايات كثيرة في أنه من عترة رسول الله ﷺ ومن ولد فاطمة، ومن ولد الحسين، وأنَّه يملأ الأرض عدلاً، وأنَّ له غيبتين إحداهما تطول، وأنَّه الخليفة الثاني عشر من الخلفاء الذين أخبر النبي ﷺ بأنَّهم يملكون أمر هذه الأمة، وأنَّه لا يزال هذا الدين منيعاً الى اثني عشر، وفي شمائله، وخلقه وخلقه، وسيرته بين الناس وشدته على العمال، وجوده بالمال، ورحمته بالمساكين، وفي اسم صاحب رايته، وما كتب فيها، وكيفية مبايعته بين الركن والمقام، وما يقع قبل ظهوره من الفتن، وذهاب ثلثي الناس بالقتل والموت، وخروج

السفياني، واليماني، والدَّجّال، ووقوع الخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكية، وفي علائم ظهوره وأنَّه ينادي مالك فوق رأسه: «هذا المهدي خليفة الله فاتَّبعوه» وأنَّ شيعته يسيرون إليه من أطراف الأرض، وتطوى لهم طيّاً حتى يبايعوه، وأنَّه يستولي على البلدان، وأنَّ الأمة ينعمون في زمنه نعمة لم ينعموا مثلها، وغيرها من العلائم والأوصاف التي اقتطفناها من روايات أهل السنَّة، فراجع كتبهم المفردة في ذلك كأربعين الحافظ أبي نعيم الأصبهاني، و«البيان في أخبار صاحب الزمان» لأبي عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي (المتوفى ٦٥٨هـ) و«البرهان في علامات مهدي آخر الزمان» للعلامة المتقي صاحب منتخب كنز العمال (المتوفى ١٩٧٥هـ)، و«العرف الوردي في أخبار المهدي» للسيوطي (المتوفى ٩١١هـ)، و«القول المختصر في علامات المهدي المنتظر» لابن حجر (متوفى ٩٧٤هـ)، و«عقد الدرر في أخبار المنتظر» للشيخ جمال الدين يوسف الدمشقي من أعلام القرن السابع، و«التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر، والدجّال، والمسيح» للشوكاني (المتوفى ١٢٥٠هـ).

أضف إلى ذلك روايات أخرجها أكابر المحدَّثين منهم في كتبهم وصحاحهم، ومسانيدهم، كأحمد، وأبي داود، وابن ماجة، والترمذي، ومسلم، والبخاري، والنسائي، والبيهقي، والماوردي والطبراني، والسمعاني، والروياني، والعبدري، وابن عساكر، والدارقطني وأبي عمرو الداني، وابن حبان، والبغوي، وابن الأثير، وابن الديبع، والحاكم

النيشابوري والسهيلي، وابن عبد البر، والشبلنجي، والصبان، والشيخ منصور علي ناصف، وغيرهم ممن يطول الكلام بذكر اسمائهم.

وأضف اليها تصريحات جماعة من علمائهم بتواتر الأحاديث الواردة في المهدي (عج)[1].

فلا خلاف بين المسلمين في ظهور المهدي (عج) الذي يملأ الأرض عدلاً وإنَّما وقع الخلاف بينهم في أنَّه ولد أم سيولد.

فالشيعة الإمامية يقولون بولادته، وبوجوده، وحياته، وغيبته، وأنَّه سيظهر بإذن الله تعالى، وأنَّه الإمام الثاني عشر، وهو: ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب عليه السلام.

ورواياتهم في ذلك تجاوزت حد التواتر، معتبرة في غاية الاعتبار، مؤيدة بعضها ببعض، وكثير منها من

(١) راجع في ذلك غاية المأمول ٥/ ٣٦٢ و٣٨١ و٣٨٢، والصواعق ص ٩٩ ط المطبعة الميمنية بمصر، وحاشية الترمذي ص ٤٦ ط دهلي عام ١٣٤٢، واسعاف الراغبين ب ٢ ص ١٤٠ ط مصر عام ١٣١٢، ونور الأبصار ص ١٥٥ ط مصر عام ١٣١٢، والفتوحات الاسلامية ٢/ ٢٠٠ ط ١٣٢٣، وسبائك الذهب ص ٧٨، والبرهان في علامات مهدي آخر الزمان ب١٣، ومقاليد الكنوز المطبوع بذيل مسند أحمد ٥/ح ٣٥٧١، والاذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، والاشاعة لاشراط الساعة، وابراز الوهم المكنون وغيرها.

الصحاح بل مقطوع الصدور... رواها في جميع الطبقات الأثبات الثقات من الأجّلاء الذين لا طريق للغمز فيهم.

وإن شئت أن تعرف مقدار ذلك فارجع إلى ما ألّفه الحافظ الجليل الثقة أبو عبد الله النعماني باسناده العالية، وما ألّفه الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي[1] الإمام في جميع العلوم الاسلامية، وكتاب «كمال الدين وتمام النعمة» تأليف الشيخ المحدث الكبير محمد بن علي ابن الحسين الصدوق (المتوفى ـ ٣٨١هـ) وكتابنا «منتخب الأثر»، ومئات من الكتب المصنّفة في ذلك.

وهذه الروايات مخرجة في أصول الشيعة وكتبهم المؤلّفة قبل ولادة الإمام الحجّة بن الحسن العسكري عليه السلام، بل قبل ولادة أبيه وجده.

منها كتاب «المشيخة» لامام أهل الحديث الشيخ الثقة الثبت الحسن بن محبوب السراد الذي يُعَدُّ كتابه هذا في كتب الشيعة اشهر من كتاب المزني ونظرائه، وكان قد صنفه قبل ولادة المهدي بأكثر من مئة سنة، وذكر فيه أخبار الغيبة فوافق الخبر المخبر، وحصل كلما تضمنه الخبر بلا اختلاف.

---

(١) هو شيخ الطائفة ومن مؤلفاته كتاب: «تهذيب الاحكام» صدر في عشر مجلدات «الرضوي».

وأمَّا ولادته عليه السلام فقد ثبتت بأوكد ما تثبت به أنساب الجمهور من الناس، إذ كان النسب يثبت بقول القابلة ومثلها من النساء اللاتي جرت عادتهن بحضور ولادة النساء وتولي معونتهن عليه، وباعتراف صاحب الفراش وحده بذلك دون من سواه، وبشهادة رجلين من المسلمين على إقرار الأب بنسب الإبن منه.

وقد ثبتت أخبار عن جماعة من أهل الديانة والفضل، والورع، والزهد، والعبادة والفقه، عن الحسن بن علي أنَّه اعترف بولادة المهدي (عج)، وآذنهم بوجوده، ونصَّ لهم على إمامته من بعده، وبمشاهدة بعضهم له طفلاً، وبعضهم له يافعاً، وشاباً كاملاً[1].

وهذا فضل بن شاذان العالم المحدث المتوفى قبل وفاة الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام، روى عنه في كتابه: «الغيبة» خبر ولادة ابنه المهدي، وكيفيتها، وتاريخها. وكانت ولادته عليه السلام بين الشيعة وخواص أبيه من الأمور المعلومة المعروفة، وقد أمر أبوه عليه السلام أن يعقَّ عنه ثلاثمئة شاة، وعرضه على أصحابه يوم الثالث من ولادته. والأخبار الصحيحة الواردة باسناد موثقة جداً في ذلك كثيرة متواترة.

وقد أحصى بعض العلماء أسماء جماعة ممَّن فازوا بلقائه في حياة أبيه وبعدها، كما قد نقل عن بعض أهل

---

(١) راجع: الفصول العشرة في الغيبة للمفيد.

السنَّة الاجتماع به عليه السلام، بل أخرج بعض حفاظهم مثل حافظ زمامه أحمد بن محمد بن هاشم البلاذري الحديث عنه عليه السلام.

نعم كان أبوه وشيعته يسترون ولادته عن أعدائه من بني العباس وغيرهم. وكان السر في ذلك أنَّ بني العباس لمَّا علموا من الأخبار المروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، ان المهدي هو الثاني عشر من الأئمة، وهو الذي يملأ الأرض عدلاً، ويفتح حصون الضلالة، ويزيل دولة الجبابرة، أرادوا إطفاء نوره بقتله، فلذا عينوا العيون والجواسيس للتفتيش في بيت أبيه، ولكن أبى الله أن يجري في حجته المهدي سنَّة نبيه موسى عليه السلام، وقد ورد في الروايات الكثيرة عن آبائه عليهم السلام خفاء ولادته، ومشابهته في ذلك لموسى عليه السلام. فراجع الباب الثاني والثلاثين من الفصل الثاني من كتابنا «منتخب الأثر».

فعلى هذا لم ينبعث الإيمان بظهور المهدي (عج)، إلاّ من الإيمان بنبوَّة جدِّه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وليس في الخصوصيات المذكورة أمر غير مألوف ممَّا لم تجد مثله في هذه الأمة أو الأمم السالفة، فلا بد لمن يؤمن بالله، وبالنبي الصادق المصدق بعد العلم بهذه الأخبار الكثيرة، من الإيمان بظهور المهدي المنتظر صاحب هذا النسب المعلوم، والسمات والنعوت المشهورة، ولا يجوز مؤاخذة الشيعي بانتظار هذا الظهور، ولا يصحُّ دفع ذلك لمحض الاستبعاد.

فالمسلم الذي يؤمن بحياة عيسى، بل وحياة الدجال الكافر وخروجه في آخر الزمان، وبحياة خضر وإدريس، ويروي عن نبيه في أصح كتبه في الحديث[1] أنَّه احتمل كون ابن صياد هو الدجال، ويروي عن تميم الداري ما هو صريح في أن الدجال كان حيّاً في عصر النبي ﷺ وأنَّه يخرج في آخر الزمان، ويؤمن بطول عمر نوح ويقرأ في القرآن قوله تعالى: «**فلبث فيهم ألف سنة إلاً خمسين عاماً**» وقوله تعالى: «**فلو لا أنَّه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون**» وامثال هذه الأمور مما تستغربه بعض الأذهان لقلة الأنس به، كيف يعيب الشيعة على قولهم ببقاء الإمام المنتظر، وينسبهم الى الجهل وعدم العقل؟ ومفاسد هذه الاستبعادات في المسائل الدينية كثيرة، ولو فتح هذا الباب لأمكن إنكار كثير من المسائل الاعتقادية وغيرها ممَّا دل عليه صحيح النقل بالاستبعاد، ويلزم من ذلك طرح ظواهر الأخبار، والآيات بل وصريحها، ولا أظن بمسلم أن يرضى بذلك، وإن كان الخطيب ربَّما لا يأبى ذلك ويراه نوعاً من الثقافة.

ووافق الامامية من اعلام أهل السنَّة في أن المهدي هو ابن الحسن العسكري عليه السلام جمع كثير كصاحب روضة

---

(١) راجع: صحيح مسلم ـ القسم الثاني من الجزء الثاني ـ باب ذكر ابن صياد، وباب خروج الدجال، وسنن الترمذي ج٢ وأبي داود ـ باب خبر ابن صياد من كتاب الملاجم، وابن ماجة ج٢ ـ وأبواب الفتن ـ باب فتنة الدجال، وخروج عيسى.

الأحباب، وابن الصباغ مؤلف «الفصول المهمة»، وسبط ابن الجوزي مؤلف «تذكرة الخواص»، والشيخ نور الدين عبد الرحمن الجامي الحنفي في كتاب «شواهد النبوَّة»، والحافظ محمد بن يوسف الكنجي الشافعي مؤلف «البيان في أخبار صاحب الزمان»، والحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الفقيه في «شعب الإيمان»، فانه يظهر منه على ما حكي عنه الميل إلى موافقة الشيعة بل اختيار قولهم، وذلك لأنَّه نقل عقيدة الشيعة ولم ينكرها، وكمال الدين محمد بن طلحة الشافعي صاحب «العقد الفريد» صرح بذلك في كتابه «الدر المنتظم» و«مطالب السؤول» وله في مدحه عليه السلام أبيات، والقاضي فضل بن روزيهان شارح «الشمائل» للترمذي، ومؤلف «ابطال نهج الباطل»، وابن الخشاب والشيخ محيي الدين، والشعراني، والخواجه محمد بارسا، وملك العلماء القاضي شهاب الدين دولة آبادي في «هداية السعادة»، والشيخ سليمان المعروف بخواجه كلان البلخي القندوزي في «ينابيع المودة»، والشيخ عامر بن عامر البصري صاحب القصيدة التائية المسماة بذات الأنوار، وغيرهم من العلماء ممن يطول بذكرهم الكلام.

وقد صرح بولادته جماعة من علماء أهل السنَّة وهم أساتذة في النسب والتاريخ والحديث كابن خلكان في «الوفيات»، وابن الأزرق في «تاريخ ميافارقين» على ما حكى عنه ابن خلكان، وابن طولون في «الشذرات الذهبية»، وابن الوردي على ما نقل عنه في «نور الابصار»،

والسويدي مؤلف «سبائك الذهب»، وابن الأثير في «الكامل» وأبي الفداء في «المختصر»، وحمد الله المستوفي، في «تاريخ كزيدة»، والشبراوي الشافعي شيخ الأزهر في عصره في «الاتحاف»، والشبلنجي في «نور الابصار»، بل يظهر منه اعتقاده بإمامته، وأنَّه المهدي المبشر بظهوره، وإن شئت أن تقف على أكثر من ذلك فراجع كتابنا «منتخب الأثر» الباب الأول من الفصل الثالث منه.

ومع هذا أليس من عجيب جرأة الخطيب وعناده وتحامله على الشيعة، انكاره في ص ١٦ و٢٩ ولادة المهدي (عج) لأنَّها لم تسجل بزعمه في سجل مواليد العلويين وقد خرج هنا عن حدود الأدب، وبالغ في الفحش والافتراء، واظهر سجيته ـ وكل اناء بالذي فيه ينضح ـ ولم يستند فيما ذكره من الأراجيف والأضاليل إلى برهان، وادعى أنَّ ولادته لم تسجل في مواليد العلويين كأنَّهم جعلوا سجل مواليدهم عنده وكان هو النقيب القائم على سجل ولاداتهم، وعلم أنساب أهل البيت مذخور عنده دون غيره من العلويين وشيعتهم، ودون أرباب التواريخ وعلماء الأنساب فمن لم يعرفه الخطيب فليس منهم!!

أيُّها الخطيب!

ما هذا السجل الذي سجلت فيه ولادات العلويين في عصر الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام؟ ومن أين

يطلب؟ ومن أخبرك به؟ ومن أطلعك على مواليد جميع العلويين؟ ومن كان النقيب في تلك الأعصار؟

ومن أين تقول: إنَّ العلويين لا يعرفون ولداً للحسن العسكري عليه السلام أنَّ كثيراً منهم من أخلص الناس ولاءً له؟ وهل يوجد طريق لإثبات ولادة المولود أوثق من إخبار والده وقابلته، وخواص أهل بيته؟

أيشك عاقل في ولادة من رآه مئات من الناس[1]، والأخيار الأثبات، وظهرت منه الكرامات الكثيرة؟

إذا كان هذا ومثله معرضاً للشك فلا يبقى أعتماد على ما نقله التاريخ من حوادث الأعصار، ووقايع الأمصار.

نعم قد خفيت ولادته من أعدائهم لأنَّهم كانوا ساعين في إطفاء نوره والاستيلاء عليه، لما وصل إليهم

---

(١) ذكرنا في «منتخب الأثر» اسماء جماعة ممن شاهدوه في حياة أبيه، وأما أسماء الذين شاهدوه من ابتداء زمان غيبته إلى هذا الزمان، فليس في وسع الكاتب إحصاؤها وضبطها.
وقد صنف في أسمائهم وحكاياتهم كتباً مفردة ككتاب «تذكرة الطالب فيمن رأى الامام الغائب» و«تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي» (عج) و«دار السلام فيمن فاز برؤية الإمام» و«بدايع الكلام فيمن فاز بلقاء الإمام» و«بهجة الأولياء فيمن فاز بلقاء الحجة (عج)»، وكذ ذكرنا فيه أخبار ولادته وعلَّة غيبته وشباهته في ولادته بموسى على نبينا وآله وعليه السلام، فعليك بالرجوع إليه فإنا قد استقصينا فيه الكلام حول وجوده وشخصيته الكريمة.

من الأخبار المبشرة بظهوره، وأنَّه هو الشخص الذي يزيل دولة الجبابرة. فهذا المعتضد الخليفة العباسي يرسل الجواسيس إلى بيت الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام لأخذ ابنه!

ومن الأغلاط الفاحشة التي اسندها هذا الرجل «تبعاً لأسلافه» إلى الشيعة هو: أن الامام المنتظر مخبوء في سرداب بيت أبيه، وأسند اختراع هذه الفكرة إلى محمد بن الحسن النميري المعروف بين الشيعة بالكفر والزندقة والإلحاد، والملعون على لسان الإمام أبي الحسن علي الهادي عليه السلام ، وأعجب ذلك عدُّه النواب، ووكلاء الإمام باباً للسرداب إلى آخر ما قال من الهذيان والافتراء.

أقول: هذه كتب الشيعة المؤلفة قبل ولادة المهدي(عج)، وولادة أبيه وجده عليه السلام إلى هذا الزمان ليس فيها لهذا البهتان أثر في كتاب واحد من أصاغر علماء الشيعة فضلاً عن أكابرهم كالكليني والصدوق والنعماني والمفيد، والشيخ، والسيدين المرتضى والرضي وغيرهم، فراجع كتب الشيعة حتى تقف على مبلغ عصبية الخطيب ونظرائه وعنادهم، وتعرف ميزان ثقافتهم وعلمهم بآراء الفرق والمذاهب.

نعم لو قرأ هو واسلافه كتب الشيعة لوجدوها مشحونة بأحاديث تكذب هذه النسبة، ولكنهم لم يعتادوا الفحص

والتتبع والتحقيق سيما في الفرق والمذاهب فيقولون فيهم ما يشاؤون، ويتبعون مالا يعلمون، وما لهم بذلك من علم إن هم إلاَّ يظنون.

الشيعة والعقيدة بالرجعة

دار البحث بين الشيعة وغيرهم في مسألة الرجعة منذ عهد قديم ممَّا يرجع تاريخه إلى المئة الأولى من الهجرة، وكانت لهم فيها مقالات، وبحوث، واحتجاجات يجدها المتتبع في كتب الفريقين، والقول بالرجعة هو رأي العترة الطاهرة، وكان البحث فيها رائجاً بينهم وبين غيرهم، ومستندهم في ذلك آيات من القرآن المجيد وروايات رووها بأسانيدهم الذهبية المروية عن جدهم رسول الله ﷺ.

فالحقيقة التي لا يمكن إنكارها لدى الباحثين في المسائل الاسلامية هي أن المصدر في العقيدة بالرجعة هم أئمة أهل البيت الذين ثبت وجوب التمسك بهم بحديث الثقلين وغيره.

فالشيعة تقول بالرجعة على نحو الإجمال لاستلزم إنكارها ردَّ القرآن والروايات المتواترة المخرجة في كتبهم المعتبرة، ولعدم مانع عقلي أو شرعي من القول بها.

واستشهدوا لأصل إمكان الرجعة ووقوعها وعدم استحالتها بوقوعها في الأمم السالفة. فقد اخبر الله تعالى عنه في آيات منها قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾[1] وقوله تعالى:

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ ﴾[2].

ويمكن الاستشهاد له أيضاً بقوله تعالى:

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾[3].

واستدلوا بأنها ستقع في هذه الأمة لا محالة بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[4].

فان هذا اليوم ليس يوم القيامة لان فيها يحشر الله تعالى جميع الناس، لقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[5].

---

(١) البقرة: ٢٤٣.
(٢) البقرة: ٢٥٩.
(٣) الانبياء: ٨٤.
(٤) النمل: ٨٣.
(٥) الكهف: ٤٧.

فأخبر الله تعالى في الآيتين بأنَّ الحشر حشران، حشرٌ عام، وحشرٌ خاص، فاليوم الذي يحشر فيه من كل أمة فوجاً لا بدَّ أن يكون غير يوم القيامة وهو يوم الرجعة. واعتمدوا أيضاً فيها على روايات كثيرة، منها الخبر المعروف بين الفريقين **«لتتبعنَّ سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم»**[1].

فيجب أن يكون من هذه الأمة قومٌ يرجعون الى الدنيا بعد موتهم كما وقع ذلك في الملأ الذين خرجوا من ديارهم، وفي غيرهم.

فلا وجه لأن يستبعد الرجعة من يؤمن الله تعالى، وبقدرته بعد دلالة العقل والنقل على إمكانها، وبعد وقوعها في الأمم السابقة وإخبار النبي ﷺ وأهل بيته بوقوعها في هذه الأمة، ولا قيمة للاستبعاد في انكارها، وإلاَّ لجاز أن يرد به كثير من معجزات الأنبياء، وإحياء الموتى يوم القيامة، وعذاب القبر، وغيرها من الأمور الثابتة بالنقل.

وأمَّا ما ذكره الخطيب في ص ١٦ و١٧ وغيرهما حول تفاصيل الرجعة وكيفيتها فليس أكثره مما دلت عليه آية، أو وردت فيه رواية معتمدة صحيحة، بل لا يلزم الاعتقاد ببعض هذه التفاصيل وإن وردت فيه رواية لعدم حجية أخبار

---

(١) مصابيح السنة: ٢/ ١٨٢.

الآحاد في المسائل الاعتقادية. هذا مضافاً إلى ضعف كثير من هذه الأخبار الدالة على التفاصيل إمَّا من جهة الدلالة أو من جهة السند، ومع هذا كيف أسند هذا المفتري على الشيعة ما ذكره في ص ٢٠ من الاعتقاد برجعة الشيخين، وصلبهما على شجرة في زمان المهدي عليه السلام.

واعجب من ذلك إسناده هذه العقيدة إلى السيد الشريف المرتضى الذي اشتهر عنه عدم جواز الاحتجاج بأخبار الآحاد في الفروع الفقهية، فضلاً عن مثل هذه المسألة، وهذا كتاب: «مسائل الناصرية» موجود عندنا، لم نجد فيه بحثاً عن الرجعة.

ومما ينبغي التنبيه إليه: أن القول بالرجعة ليس مورد اتفاق جميع الشيعة[١] وليس التشيُّع منوطاً به، ولا من لم يتحصله خارجاً عنه، ولم يؤمن بها من آمن بها إلاَّ تسليماً بما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتصديقاً لما أنبأ عن المغيبات، ولكن القوم ينكرون ذلك على الشيعة ويوؤاخذونهم به كأنَّهم عبدوا حجراً أو صنماً.

---

(١) سئل الشريف المرتضى في المسائل التي وردت عليه من الريِّ عن حقيقة الرجعة فأجاب:

«أن الذي تذهب إليه الشيعة الإمامية أن الله تعالى يعيد عند ظهور المهدي (عج) قوماً ممَّن كان تقدم موته من شيعته، وقوماً من أعدائه وإنَّ قوماً من الشيعة تأوَّلوا الرجعة على أن معناها رجوع الدولة والأمر والنهي من دون رجوع الأشخاص، وإحياء الأموات، راجع (اعيان الشيعة ١/ ١٧٣ ـ ١٧٤).

فعلى ما ذكر ليس في العقيدة بالرجعة ـ سيَّما على وجه الإجمال ـ ما يمنع من التفاهم والتقريب، ولا منافاة بين هذه العقيدة وبين جميع ما يجب أن يلتزم به المسلم من أركان الدين وما بني عليه الاسلام.

من سوء أدب الخطيب نسبة التزوير إلى السيدين

نسب الخطيب الى الشريف المرتضى. وأخيه الشريف الرضي الاشتراك في تزوير الزيادات على نهج البلاغة فقال فيما ذكر أخيراً في الرجعة [السيد المرتضى مؤلف كتاب امالي المرتضى وهو أخو الشريف الرضي الشاعر وشريكه في تزوير الزيادات على نهج البلاغة. ولعلّها اكثر من ثلث ذلك الكتاب، وهي التي فيها تعريض للصحابة وتحامل عليهم] الخ[1].

إذا وصف الطائيَّ بالبخل مادر
وعيرقساً بالفهاهة باقل

وقال السهى للشمس أنت خفية
وقال الدجى للصبح لونك حائل

وطاولت الأرض السماء ترفعاً
وفاخرت الشهب الحصى والجنادل

(١) الخطوط العريضة ص ٢٠.

فيا موت زر إن الحياة ذميمة
ويا نفس جدى إن هرك هازل

من هوان الدنيا ان من ملأ كتاباً بأبشع الأكاذيب، وخان الاسلام بقلمه وتزويراته، ينسب التزوير الى من بلغ في الصدق والأمانة والتثبت درجة قلَّما يوجد نظيره في العلماء الاثبات الثقات.

وإني أرى أن الإعراض والصفح الجميل عن سوء أدبه بالسيدين أولى فإن تحامل مثله عليهما لا يمس بما هما عليه من الجلالة وقداسة النفس، والشخصية والعبقرية، وعلو المقام. ويضرب بها المثل الأعلى في العلم، والأدب والبلاغة، وإباء النفس، وعلو الطبع والتقوى، وكرائم الاخلاق ومحامد الأوصاف.

وقد شهد بعظمة قدرهما، ونبوغهما في العلم والأدب والورع والدين عظماء الفريقين، وترجمهما علماء التاريخ والرجال ومؤلفو المعاجم، واثنوا عليهما بكل الثناء.

وهذه عشرات من تصانيفهما تنبىء عن شموخ مقامهما. وخدماتهما للعلوم الاسلامية، والأدب العربي، فجدير بكل مسلم في شرق الأرض وغربها ان يعتز بهما.

وقد تخرج من مدرستهما جماعة من العلماء الفطاحل الافذاذ، وشدت اليهما الرحال، ووفد اليهما الناس من كل

الاصقاع. ليس فيهما موضع غمز، ومكان عيب.

والحق انهما معجزتان من معجزات الاسلام، ومفخرتان لأهل بيت سيد الأنام، وآيتان ظاهرتان من آيات الله البينات.

وشأن من هذه مكانته في الجلالة والتقوى أعلى وانبل من التزوير والكذب، ولو كان مثل السيدين معرضاً لتهمة الكذب والتزوير لما بقي في العلماء، ونقلة الاحاديث من يعتمد على اقواله ورواياته.

ولو كان جميع ما في نهج البلاغة مما يوافق هوى الخطيب لكان الشريف الرضي عنده من اوثق الرواة، وكان كتابه عنده في المرتبة العليا من الاعتبار.

نهـج البلاغـة

أمَّا كتاب نهج البلاغة فهو: [الكتاب الذي أقامه الله حجة واضحة على أن علياً رضي الله عنه قد كان أحسن مثال حي لنور القرآن وحكمته، وعلمه وهدايته، وإعجازه وفصاحته.

إجتمع لعلي في هذا الكتاب ما لم يجتمع لكبار الحكماء وأفذاذ الفلاسفة ونوابغ الربانيين، من آيات الحكمة السامية، وقواعد السياسة المستقيمة، ومن كل موعظة باهرة وحجة بالغة تشهد له بالفضل وحسن الأثر.

خاض عليٌّ في هذا الكتاب لجَّة العلم والسياسة والدين، فكان في كل هذه المسائل نابغة مبرَّزاً، ولئن سألت عن مكان كتابه من العلم فليس في وسع الكاتب المسترسل، والخطيب المصقع، والشاعر المفلَّق أن يبلغ الغاية من وصفه والنهاية من تقريظه وحسبنا أن نقول:

إنه «الملتقي الفذ الذي التقى فيه جمال الحضارة وجزالة البداوة، والمنزل الفرد الذي اختارته الحقيقة لنفسها

منزلاً تطمئن فيه، وتأوي إليه بعد أن زلَّت به المنازل في كل لغة»[١].

وهو كتاب يتجلى فيه روح شريفة يكسب القارىء في هذا الكتاب منها العصبية للحق، والشدَّة في الدين، والقصد في الحكمة والسياسة. وعندنا أنَّ الذين يسعون إلى الإصلاح في هذه البلاد يجب عليهم أن يتخذوا هذا الكتاب إماماً في إصلاحهم من جهاته اللغوية، والعلمية، والدينية، وإنَّ الناشئين لو تأثروا هذا الكتاب في العبارة وصدق النظر، لبلغوا من قوتي العقل واللسان تلك المنزلة التي نتمنّى لهم ونودُّ أن يصلوا إليها في وقت قريب][٢].

والذي لا يعتريه الشك هو أن الجامع لهذا الكتاب هو: الشريف الرضي، وقد ثبت ذلك بالتواتر القطعي كما صرح هو به في غيره من تصانيفه[٣]، وفي الجزء الخامس من تفسيره[٤].

والنسخة التي كتبت في عصر الشريف الرضي ووشحت بخطه الشريف موجودة ومشهورة[٥]، ولم يشترك معه أحد

---

(١) من مقدمة شارح نهج البلاغة ص ٤ ـ للاستاذ الشيخ محمد حسن نائل المرصفي مدرس البيان بكلية الفرير الكبرى طبع مصر سنة ١٣٢٨هـ.

(٢) شرح نهج البلاغة للشيخ محمد حسن نائل المرصفي المذكور.

(٣) أنظر كتاب: «مجازات الآثار النبوية» ص ٤١ و١٦١ و٢٢٣ و٢٥٢.

(٤) ص ١٦٧.

(٥) أنظر: «ما هو نهج البلاغة؟» ص ٨ للسيد هبة الدين الشهرستاني ط. النجف الأشرف.

في جمعه لا الشريف المرتضى، ولا غيره.

ولا شك أيضاً في أنَّ الشريف الرضي اختار ما فيه من الخطب والكلمات المأثورة عن أمير المؤمنين عليه السلام في الكتب المعروفة والأصول المعتمدة المعتبرة، وكانت هذه الخطب، والكتب، والكلمات، وحتى الخطبة الشقشقية أيضاً[1] من خطب أمير المؤمنين عليه السلام المعروفة بين العلماء

---

(١) قال ابن أبي الحديد: وما أحسن ما عقَّب به عبد الله بن أحمد المعروب بابن الخشاب على زعم من زعم أنَّ هذه الخطبة نحلها الشريف الرضي إياه عليه السلام بقوله:

أنَّى للرضي ولغير الرضي هذا النفس، وهذا الأسلوب، قد وقعنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور، وما يقع مع هذا الكلام في خلٍ ولا خمر.

والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صُنّفت قبل أن يخلق الرضي بمئتي سنة، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها، واعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي.

(شرح النهج: ١ ـ ٦٩ الطبعة الأولى طبعة الحلبي بمصر).

وقال الاستاذ الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو في العدد ٥ ـ ٣٠٤ من مجلة كلية اللغة العربية والعلوم التي تصدرها جامعة ابن سعود في المملكة العربية السعودية ما يلي:

«قلت وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة.

ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبة أحد متكلمي الإمامية، وهو الكتاب المشهور بكتاب «الانصاف» وكان ابو جعفر هو من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي رحمه الله تعالى، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي رحمه الله تعالى موجوداً».

(شرح نهج البلاغة ١ ـ ٢٠٥/٢٠٦). =

والمؤلفين أثبتوها في الكتب قبل ولادة الرضي والمرتضى، وولادة أبيهما.

وقد سبق الرضي «في جمع خطب أمير المؤمنين عليه السلام» أبو سليمان زيد الجهني فألّف في عصر أمير المؤمنين عليه السلام كتاب «الخطب» جمع فيه ما أملاه أمير المؤمنين عليه السلام.

كما قد شرح خطب أمير المؤمنين عليه السلام «قبل تأليف نهج البلاغة» جماعة: كأبي الحسين أحمد بن يحيى الراوندي المتوفي سنة ٢٤٥، والقاضي أبي حنيفة نعمان المغربي المتوفي سنة ٣٦٣.

= وإذا كان ابن الخشّاب قد وثق هذه الخطبة، ونفى وضع الرضي لها لأسلوبها الذي لا يستطيعه غير الإمام علي رضي الله عنه، ولعثوره عليها هو وابن ابي الحديد في مصنفات وخطوط قبل أن يخلق الرضي، فإني لا أجد مساغا للطعن فيها لما تضمنته من الكلام على صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، فان المتتبع لمشكلة الخلافة من لدن قبض رسول الله صلى الله عليه وآله في أوثق كتب أهل السنّة ومراجع التاريخ، يدرك مدى المرارة التي كان يُحسُّها علي بن أبي طالب رضي الله عنه لحرمانه من الخلافة، فقد كان يرى نفسه أحق بها وأهلها، فما الذي يمنعه من إخراج هذه الشقشقة التي هدرت ثم قرت.

وإذا كنا نسلم بأن الإمام علياً رضي الله عنه دفع الى حرب طاحنة مع طلحة والزبير وعائشة ومعاوية، ولهم قدرهم من الجلالة والصحبة، وأن دماءً كثيرة أريقت في هذه الحروب، إذا كنا نسلم بأن الخصومة وصلت الى مرحلة القتال، فلِمَ ننكر هذا التنفيس عن النفس المكلومة يصدر عن الإمام علي؟ ولِمَ نحرم عليه أن يسجل تصوره لتتابع الحوادث بعد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وهو نفسه يصرح بأنها «شقشقة هدرت ثم قرت». إنتهى ما أردناه من العدد الخامس من المجلة العربية السعودية. (الرضوي).

وكيف يقبل العقل أن يزور مثل الشريف على مثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب اطلع عليه السنيُّ والشيعيُّ في عصره، (سيمًا في مدينة بغداد الحافلة بجماهير من العلماء)، من غير أن ينكر ذلك أحد عليه أو يردَّه مع وجود الدواعي الشديدة لهم في تكذيبه، وإظهار تزويره. فاحتمال ذلك حتى بالنسبة إلى كلمة من هذا الكتاب مقطوع العدم، وإن شك الخطيب فيها فمثل العلامة الشيخ محمد عبده يصرح بأنَّ جميع ألفاظ كتاب نهج البلاغة صادرٌ عن الإمام علي عليه السلام، ويجعل ما فيه حجة على معاجم اللغة. فراجع ما كتبه الأستاذ محمد محيي الدين عميد كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر من تقديم لكتاب: «نهج البلاغة» وشرحه، وراجع أيضاً مقدمة شرح الشيخ محمد عبده، وشرح ابن أبي الحديد، وغيرها من الشروح، وكتاب «ما هو نهج البلاغة»؟ و«الذريعة ج ١٤ ص ١١١ ـ ١٦١»، وكتاب «مدارك نهج البلاغة» ودفع الشبهات عنه، حتى تعرف مبلغ مكانة هذا الكتاب، وقوة اعتباره.

بيعة الرضوان

نقل الخطيب في ص ٢١ عن بعض الشيعة أنَّه نفى نعمة الإيمان عن أبي بكر وعمر لأنَّه قال في كتابه: وإن قالوا إنَّ أبا بكر وعمر من أهل بيعة الرضوان الذين نص على الرضا عنهم في القرآن في قوله في هذه السورة (يعني الفتح) «**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**» قلنا إنَّه لو قال: لقد رضي الله عن الذين يبايعونك تحت الشجرة أو عن الذين بايعوك لكان في الآية دلالة على الرضا عن كل من بايع، ولكن لمَّا قال: «**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك**» فلا دلالة فيها إلاَّ على الرضا عمَّن محض الإيمان.

«ثم قال الخطيب»: ومعنى ذلك أنَّ أبا بكر وعمر لم يمحضا الإيمان فلا يشملهما رضا الله.

نحن نسوق الكلام أولاً فيما يستفاد من الآية، وثانياً في أن نفي الإيمان عن بعض الصحابة إذا كان النافي مجتهداً متأولاً هل يوجب الكفر أو الفسق عند أهل السنَّة أم

لا، ونبحث في كلتا الجهتين من ناحيتهما العلمية.

أمَّا الكلام في الآية الكريمة فلا شك في دلالتها على فضل بيع الرضوان، وفضل المؤمنين الذين بايعوا الرسول ﷺ تحت الشجرة، ولكن لا دلالة لها على الرضا عن كل من بايعه حتى المنافقين الذين لا دافع لاحتمال دخول بعضهم في المبايعين.

فالحكم بالرضا عن شخص معين إنَّما يصحُّ إذا كان إيمانه محقَّقاً معلوماً فلا يشمل من ليس مؤمناً (وإن كان من المبايعين) كما لا تشمل الآية المؤمن الذي لم يكن حاضراً تحت الشجرة فلم يبايع هناك، كما لا يجوز التمسك بالآية لإثبات إيمان بعض معين من المبايعين لو صار معرضاً للشك كائناً من كان فانه هو التمسك بعموم العام في الشبهة المصداقية الذي برهن في الأصول على عدم صحته. نعم لو قال لقد رضي الله عن الذين بايعوك لشملت كل من بايعه كائناً من كان وإن شك في إيمانه، ولكن لا يجوز التمسك به فيمن شككنا في أصل بيعته، كما لا يثبت إيمان من شككنا في إيمانه بقوله: «**لقد رضي الله عن المؤمنين**».

وهذا كلام متين في غاية المتانة، ولذا سكت الخطيب عن جوابه.

وأيضاً هذه الآية لا تدل على حسن خاتمة أمر جميع المبايعين المؤمنين «وإن فسق بعضهم أو نافق) لأنَّها لا تدل

على أزيد من أنَّ الله تعالى رضي عنهم ببيعتهم هذه أي قَبِلَ منهم هذه البيعة، ويثيبهم عليها، وهذا مشروط بعدم إحداث المانع من قِبَلِهِمْ. والحاصل أن اتصاف الشخص بكونه مرضيّاً لا يكون إلاَّ بواسطة عمله المرضي، والعامل لا يتصف بنفسه بهذه الصفة. فهذه صفة تعرض على الشخص بواسطة عمله، فإذا صدر عنه الفعل الحسن، والعمل المرضي، وصف العامل بهذه الصفة أيضاً، ولا دلالة للآية على أنَّ من رضي الله عنه بواسطة عمله يكون مرضياً طول عمره، وإن صدرت عنه المعاصي الموبقة بعد ذلك، ورضا الله تعالى عن أهل بيعة الحديبية ليس مستلزماً لرضاه عنهم إلى الأبد، والدليل على ذلك قوله تعالى في هذه السورة في شأن أهل هذه البيعة، وتعظيمها:

«إنَّ الذين يبايعونك إنَّما يبايعون الله يدُ الله فوق أيديهم فمن نكث فإنَّما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليهُ الله فسيؤتيه أجراً عظيماً».

فلو لم يجز أن يكون في المبايعين من ينكث بيعته وكان رضا الله عنهم مستلزماً لرضاه عنهم إلى الأبد لما كانت هناك فائدة لقوله تعالى: **«فمن نكث فإنَّما ينكث على نفسه»**.

وأيضاً قد دلت آيات من القرآن وأحاديث صحيحة على وقوع غضب الله تعال وسخطه على من يرتكب بعض

المعاصي، ومع ذلك لم يقل أحد بأنَّ هذا مانعٌ من حسن إيمانه في المستقبل، وذلك مثل قوله تعالى في سورة الانفال.

«ومن يولِّهم يومئذٍ دبره إلاً متحرِّفاً لقتال أو متحيزّاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنَّم وبئس المصير».

فإذا لم يكن بوء شخص أو قوم إلى غضب الله مانعاً من حسن حاله في المستقبل لم يكن رضاه أيضاً سبباً لعدم صدور فسق أو كفر من العبد بعد ذلك.

والقول بدلالة الآية على حسن حال المبايعين مطلقاً، وعدم تأثير صدور الفسق عنهم في ذلك، مستلزم للقول بوقوع التعارض بين هذه الآية، وآية الانفال المذكورة فيمن ولَّى دبره عن الجهاد من المبايعين، لأنَّها أيضاً تدل بإطلاقها على سوء حال من يولِّي دبره، وعدم تأثير صدور الحسنات في رفع ذلك.

هذا وقد أخرج مالك[1] عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله أنَّه بلغه أنَّ رسول الله ﷺ قال: لشهداء أحد هؤلاء أشهد عليهم فقال ابو بكر الصديق: يا رسول الله ألسنا بإخوانهم أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟ فقال

(١) في الموطأ ١٧٣ و١٧٤ كتاب الجهاد ـ باب الشهداء في سبيل الله ط ـ مطبعة الفاروقي.

رسول الله: بلى ولا أدري ما تحدثون بعدي قال: فبكى أبو بكر ثم بكى ثم قال: أئنا لكائنون بعدك؟

وهذا الحديث صريح بأنَّ حسن خاتمة مثل أبي بكر من الصحابة المبايعين المهاجرين موقوف على ما يحدث بعد الرسول ﷺ.

هذا مختصر الكلام حول مدلول الآية الكريمة، وعليه فلي المستفاد منها أنَّ أبا بكر وعمر لم يمحضا الإيمان، نعم لا يثبت بها إيمان واحد معين من المبايعين على نحو التفصيل، فلا يصحُّ التمسك بها في إثبات إيمان صحابي خاص، وعدم نفاقه أو حسن حاله إذا شك فيه. وإن كان الخطيب يرى دلالتها على أكثر من هذا فليبين لنا حتى ننظر فيه.

حكم من نفى الإيمان عن بعض الصحابة أو سبَّ بعضهم عند أهل السنَّة

لا حاجة بنا إلى الإشارة إلى ما ورد في ذم سبِّ المؤمن، فإنَّ هذا معلوم بالضرورة من الدين، وإنكار أصل حرمته موجب للكفر، ولا شك في أن المناقشات الحادثة بين المسلمين مناقشات صغروية مثل عدالة شخص أو إيمانه، أو فسقه او نفاقه. فالنزاع في هذه الأمور وأشباهها يرجع إلى إثباتها بالأدلة الشرعية وعدمه، ويذهب كل من اختار أحد الطرفين إلى ما تقتضيه الأدلة باجتهاده، ولو علموا جميعاً ثبوت شيء في الدين أو عدم ثبوته لم يختلفوا فيه، وقلَّما يوجد من حملته العصبية واللجاج على إنكار الحق، فلا ريب في أن اكثر المسلمين من الطائفة الأولى لا ينكرون ما ثبت عندهم بالأدلة الشرعية.

فمن أنكر من المسلمين أمراً يراه غيره من الدين لعدم إثباته عنده أو إثبات خلافه ليس كافراً ولا فاسقاً، وإذا كان الحال هذا فلا اعتراض على من قال الخطيب في ص ٢١ أن معنى كلامه أن أبا بكر وعمر لم يمحضا الإيمان فلا

يشملهما رضا الله، ولا يحكم بكفره وفسقه إذا كان ذلك منه عن اجتهاد وتأول، وقد قال رسول الله ﷺ في حديث أخرجه البخاري[1] ما نصه:

إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر».

وهذا ابن حزم يقول[2]:

وذهبت طائفة إلى أنَّه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أوفتيا، وإنَّ كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى أنه الحق فإنّه مأجور على كل حال، وإن أصاب فأجران وإن أخطأ فأجر واحد (قال) وهذا قول ابن أبي ليلى وأبي حنيفة، والشافعي وسفيان الثوري، وداود بن علي، وهو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة لا نعلم منهم خلافاً في ذلك أصلاً».

وقال الفاضل النبهاني في أوائل كتاب «شواهد الحق» على ما حكي عنه: «اعلم أني لا اعتقد ولا أقول بتكفير أحد من أهل القبلة لا الوهابيَّة ولا غيرهم، وكلُّهم مسلمون تجمعهم مع سائر المسلمين كلمة التوحيد والإيمان بسيدنا

(١) صحيح البخاري ٤ ـ /١٦٥، ط مصر، عام ١٣٢٠هـ باب «أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ».

(٢) الفصل في الملل والنحل ٣/ ٢٤٧.

محمد ﷺ، وما جاء من دين الاسلام».

وبالغ في ذلك الشيخ أبو طاهر القزويني «على ما حكي عنه» في كتاب «سراج العقول» فقال بإثبات الإسلام لكل فرد من أهل القبلة، وجزم بنجاة الجميع من كل فرق الاسلام.

وحكي عن شيخ السادة الحنفية ابن عابدين في باب المرتد من كتاب الجهاد ص ٣٠٢ أنَّه حكم قاطعاً بإسلام من يتأوَّل في سب الصحابة مصرحاً بأنَّ القول بتكفير المتأوِّلين في ذلك مخالف لإجماع الفقهاء.

وقد أسلفنا في بعض المباحث السابقة مقالة ابن حزم فيمن سب أحداً من الصحابة، وما قال: في تكفير عمر بحضرة النبي ﷺ حاطباً وهو صحابيٌّ مهاجريٌّ بدريٌّ.

ولا يخفي أنَّه لو كان في من ينتحل دين الاسلام من سب بعض الصحابة أو غيرهم من المسلمين عناداً لله ورسوله فلا شك في كفره، وأمَّا إذا كان السابُّ جاهلاً أو أوردته الشبهة ذلك المورد يكون ـ على ما صرح به ابن حزم ـ معذوراً.

وعن الاوزاعي أنَّه قال: «لئن نشرت لا أقول بتكفير أحدِ من أهل الشهادتين».

وعن صاحب الاختيار: «اتفق الأئمة على تضليل أهل

البدع أجمع وتخطئتهم، وسب أحد من الصحابة وبغضه لا يكون كفراً لكن يضلل».

وعن صاحب فتح القدير: إنَّه قطع بعدم كفر من يكفر الصحابة ويسبهم، وذكر أنَّ ما وقع في كلام أهل المذهب في تكفيرهم ليس من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون، إنَّما هو من كلام غيرهم.

وصرح ابن حجر[1] بأنَّ مذهبه فيمن لعن أنَّه لا يكفَّر بذلك.

ولو سردنا الكلام في نقل فتاوى أعلام أهل السنَّة في ذلك لخرجنا عن طريق الايجاز، ومقتضى كلام غير واحد من هؤلاء أن الساب يكفر وإن كان متعمداً في ذلك عالما بحرمته مثل أن يسبه لمناقشة وقعت بينهما.

وأضف إلى جميع ذلك، النصوص الكثيرة المخرجة في الصحاح الستة الحاكمة على أهل الأركان الخمسة بالاسلام ودخول الجنة، وإذا كان الخوارج (الذين استحلوُّا دماء المسلمين، وكفَّروا الصحابة، وحاربوا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ونصَّ النبيُّ صلى الله عليه وآله على أنَّهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه، وأنَّهم شرُّ الخلق والخليقة، وطوبى لم قتلهم وقتلوه)

---

(١) الصواعق المحرقة: ٢٥١.

عند أهل السنَّة من المسلمين والمعذورين في مذهبهم، فغيرهم ممَّن تمسكوا بالثقلين، وتمذهبوا بمذهب أهل البيت اعدال الكتاب، واقتفوا أثرهم، واهتدوا بهديهم، أولى بذلك.
ومن شاء أن يطلع على الكلام الفصل في ذلك فعليه بكتاب «الفصول المهمة في تأليف الأمة» للعلامة المصلح السيد عبد الحسين شرف الدين فإنَّه (رضوان الله عليه) قد أدَّى حقَّ التحقيق والإفادة في ذلك، وسعى في جمع الشمل، ولم الشعث. فراجع كتابه هذا، ومراجعاته، وكتابه «الى المجمع العلمي العربي»، وكتاب «أبو هريرة» وغيرها من تصانيفه القيِّمة.

والحاصل أن نفي الايمان بعض الصحابة وسبَّهم ـ إذا كان النافي والسابُّ مجتهداً ـ لا يضر بالاسلام عند أكابر أهل السنَّة، وليس مانعاً من التقريب، ورفض الشحناء والبغضاء، واعتصام الجميع بحبل الله تعالى، والعجب ممَّن لا يكفر ولا يفسِّق معاوية وأتباعه في سب أمير المؤمنين علي عليه السلام على منابر المسلمين، ويفسق من سب الشيخين تأوُّلاً واجتهاداً. أعاذنا الله تعالى من العصبية واللجاج.

نصيحة وتذكرة

ينبغي لمن يرى جواز سبَّ أحدٍ من المسلمين أنَّ لا يعلن بذلك ولا يجهر به بمشهد منه أو بمشهد من أقاربه ومن لا يرى رأيه، بل يحرم ذلك في بعض الموارد إذا كان

السبُّ إيذاءً لمسلم حاضر، أو سبباً لجرح العواطف، وحدوث الفتن، وضعف المسلمين، وظهور التخاصم والتنازع بينهم.

منزلة النبيِّ والإمام عند الشيعة

ذكر الخطيب في ص ٢٢ ان الشيعة يرفعون أئمتهم فوق منزلة البشر، ونقل عناوين أبواب من الجامع المعروف بالكافي في علوم الأئمة، وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل، وأنَّهم يعلمون علم القرآن كله، وغير ذلك، وافترى على الشيعة بأنَّهم يثبتون لأئمتهم علم الغيب، وينكرون على النبي ﷺ ما أوحى الله به من أمر الغيب، الخ.

الشيعة لا يعتقدون فضيلة ومنقبة لأئمتهم إلاَّ ويعتقدون لرسول الله ﷺ تلك الفضيلة على النحو الأتم الأكمل، ولا يفضلون أحداً من السابقين واللاحقين من الأنبياء والأئمة، والملائكة، وغيرهم على رسول الله ﷺ، بل يفضلونه على جميع المخلوقات، ويعدُّون الإمام من أتباع الرسول، ومن أمته، لا يعدل النبي عند الشيعة أحد من أمته، والإمام مأمور باطاعة الرسول لا يسعه غير اتباعه، ولا يرفعون النبي ولا احداً من الأئمة فوق منزلة البشر، والنبي والأئمة هم المثل العليا لكمال الإنسان، اختصهم الله بعناياته الخاصة، والإمامة عندهم منصب يختار الله له من كان أهلاً لتقلده، ويأمر نبيه

بالنص عليه، وصنَّفوا في هذه النصوص كتباً مفردة خرجوا فيها طائفة من تلك النصوص عن الكتب المعتمدة عند أهل السنَّة وصحاحهم.

ومن النصوص المعروفة المتواترة على كون الأئمة اثني عشر، الأحاديث التي خرَّجها مسلم، وأحمد، والبخاري، والترمذي، والطيالسي، وأبو نعيم الاصبهاني، والسجستاني، والحاكم، والمتقي، وابن الديبع، والخطيب، والسيوطي وغيرهم في عدد الأئمة عن غير واحد من الصحابة، كجابر بن سمرة، وعبد الله بن مسعود، وأنس بن مالك. ومن المعلوم أنَّ هذا العدد لا ينطبق إلاً على الأئمة الاثني عشر.

وأفرد في هذه الاحاديث العلامة محمد معين السندي كتاباً أسماه «مواهب سيد البشر في حديث الأئمة الاثني عشر».

ويدل على وجوب التمسك بأئمة أهل البيت، وأخذ العلم عنهم، وعصمتهم، وبقائهم إلى يوم القيامة، وعدم خلوِّ الزمان من إمام منهم، وكونهم أعلم الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنَّ التمسك بهم أمنٌ من الضلال، وانحصار سبيل النجاة في التمسك بهم، وبالكتاب الكريم، أحاديث الثقلين المتواترة، وأحاديث الأمان، وأحاديث السفينة، وغيرها من النصوص الكثيرة، وقد صرح بجميع ذلك جمع من اعلام أهل السنَّة ذكرنا اسماءهم ومقالاتهم في كتاب أفردناه في وجوب الرجوع إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام في

الفقه والمعارف الاسلامية، وفي وجوب العمل بالأحاديث المخرجة في جوامع الشيعة.

ولو قرأ الخطيب كتب الإمامية، ودرس العلوم المأثورة أئمتهم لأقرَّ بأنَّ الأبواب المعنونة في الكافي ليست إلاَّ عناوين لبعض ما ورثوا عن جدهم رسول الله ﷺ، ولعرف أنَّ من أشدَّ ما ابتلي به المسلمون، وأضره عليهم، إنصرافهم عن أهل بيت نبيهم، وإعراضهم عمَّن أوجب الله تعالى ورسوله عليهم الرجوع إليهم في الأمور الدينية، والأحكام الشرعية.

ومن تتبع قليلاً في الكتب الاسلامية لعرف اختصاص أئمة أهل البيت سيَّما أمير المؤمنين عليه السلام بعلوم كثيرة من التفسير، والفقه، والحديث، والتوحيد، وغيرها مما ليس عند غيرهم.

هذه عقيدة الشيعة في أهل البيت وعلومهم، وإليك بعض ما قال سيدنا أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام في ذلك.

قال: لا يقاس بآل محمد ﷺ من هذه الأمة أحد، ولا يسوَّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حقِّ الولاية، وفيهم الوصية والوراثة[1].

وقال: موضع سره، ولجأ أمره، وعيبة علمه. وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره،

(١) نهج البلاغة: ١ خ ٢/ ٢٤ و٢٥ ط مصر مطبعة الاستقامة.

وأذهب ارتعاد فرائصه[1].

وقال: فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا[2].

وقال: هم عيش العلم، وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حكم منطقهم، لا يخالفون الحق، ولا يختلفون فيه، هم دعائم الاسلام، وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق في نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن مقامه، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية، فان رواة العلم كثير، ورعاته قليل[3].

وقال: وإنَّما الأئمة قوام الله على خلقه، وعرفاؤه على عباده، لا يدخل الجنة إلاً من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلاً من أنكرهم وأنكروه[4].

هذا ما يقوله الشيعة في أئمة أهل البيت عليهم السلام لم يقولوا ما قالوا فيهم اختراعاً وابتداعاً من عند أنفسم، بل أخذوه من الأحاديث النبوية، والنصوص العلوية، والاخبار المروية عن أهل بيت النبوة، وأئمة العترة عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) نهج البلاغة: ١/ ٢٤ الخطبة ٢.
(٢) نهج البلاغة: ٢/ ٥٨ الخطبة ١٥٠.
(٣) نهج البلاغة: ٢ ـ خ ١٣٤ ـ ص ٢٥٩ و٢٦٠ ـ ط. مطبعة الاستقامة بمصر.
(٤) نهج البلاغة: ٢ ـ خ ١٤٨ ـ ص ٥٤ ط. مطبعة الاستقامة بمصر.

غلط الخطيب في فهم كلام العلامة الاشتياني

قال في ص ٢٢ و٢٣ «وبينما لأئمتهم الاثني عشر مالا يدعيه هؤلاء لأنفسهم من علم الغيب، وأنَّهم فوق البشرية فإنَّهم ـ أي الشيعة ـ ينكرون على النبي ﷺ ما أوحى الله به إليه من أمر الغيب كخلق السماوات والأرض، وصفة الجنة والنار، وقد سجلت ذلك مجلة «رسالة الاسلام» التي تصدرها دار التقريب في القاهرة، إذ نشرت في عددها الرابع من السنة الرابعة صفحة ٣٦٨ بقلم رئيس المحكمة العليا الشرعية الشيعية في لبنان، ويعدونه من ألمع علمائهم العصريين مقالاً عنوانه «من اجتهادات الشيعة الإمامية» نقل فيه عن مجتهدهم الشيخ محمد حسن الاشتياني أنه قال في كتابه (بحر الفوائد) ج ١ ص ٣٦٧: إنَّ الرسول إذا أخبر عن الأحكام الشرعية ـ أي مثل نواقض الوضوء وأحكام الحيض والنفاس ـ يجب تصديقه، والعمل بما أخبر به، وإذا أخبر عن الأمور الغيبية مثل خلق السموات والأرض، والحور والقصور فلا يجب التدين به بعد العلم به (أي بعد العلم بصحة صدوره عن الرسول) فضلاً عن الظن به (الخ)».

ذكرنا عقيدة الشيعة في النبوة والإمامة، وأنَّ النبي ينص

على الإمام بأمر من الله، وأنَّه تبع للنبي، والنبي مفضلٌ عليه في جميع الكمالات. فالنبي كالأصل، والإمام فرعه، وليس في الشيعة من يستبيح لنفسه الشك فيما أخبر به النبي ﷺ، فضلاً عن إنكاره، سواء كان المخبر به من الأمور العادية كقيام زيد وقعود عمرو، أم من الأمور الدينية.

فالنبيُّ هو الصادق المصدَّق في جميع ما أخبر به لأنَّه: **«ما ينطق عن الهوى إن هو إلاَّ وحيٌ يوحي»**.

ومن أنكر أو اظهر الشك فيما أخبر به النبي ﷺ من أمر الغيب كخلق السموات والأرض، وصفة الجنة والنار، بعد حصول اليقين بإخباره عنه كافر، والشيعة لا تشك في كفره.

ولكن الخطيب حيث عجز عن فهم كلام العلامة الاشتياني، وكلام رئيس المحكمة العليا الشرعية في لبنان[1] الذي هو من ألمع العلماء المجاهدين المعاصرين، حمله على ما يوافق هواه، وخاض في الافتراء والهذيان، فادعى أنَّ الشيعة ينكرون على النبي ﷺ ما أوحى الله به من أمر الغيب.

وحيث أنَّ المسألة المبحوث فيها في كلام المحقق الآشتياني هي في نفسها من المسائل العلمية النظرية فلا

---

(١) هو: الشيخ محمد جواد مغنية صاحب التآليف الكثيرة المطبوعة في لبنان والعراق وإيران «الرضوي».

بأس بالإشارة إليها هنا حتى يعلم أن الأولى بالخطيب ونظرائه عدم الخوض في هذه المسائل، وإيكال البحث فيها إلى اهلها.

فنقول في توضيح ما افاده الاشتياني.

إنَّ أخبر به النبي ﷺ على قسمين:

أولهما: ما يكون من الأمور العادية كقيام زيد ومجيء عمرو، ولا يكون مرتبطاً بالدين لا بأموره الاعتقادية، ولا بأحكامه الشرعية، ولا بأحكامه العملية، كالصلاة، والصوم، والحج، وغيرها.

وثانيهما: ما يكون من الدين، وهذا أيضاً على قسمين:

أحدهما: ما يكون في الأمور الاعتقادية: وما يجب ان يعتقده المسلم كالتوحيد والنبوة والمعاد، وغيرها.

والآخر: ما يكون في الاحكام الدينية العملية كالصلاة، والزكاة، والصوم، وغيرها.

فالقسم الأول: أعني ما ليس مرتبطاً بالدين كالاخبار عن الأمور العادية والاخبار ببعض كيفيات خلق السموات والأرض، والكواكب وبدء الخلق، وبعض تفاصيل الجنة، والجحيم، وخصوصيات الحور والقصور، وأشجار الجنة، وأنهارها، ومياهها، ليس من

الأمور الاعتقادية التي بني عليها الاسلام ولا يحكم بإسلام من لم يكن عارفاً بها. فمن لم يؤمن بالله، أو لم يعتقد النبوة أو المعاد، أو أنكر الثواب والعقاب، والجنة والنار، فهو كافر خارج عن الاسلام. أمّا من لم يعرف بعض خصوصيات الجنة، وبعض أنواع الملائكة، وأسمائهم، وكيفية مبدء خلق السماء، وعدد قصور الجنة أو عدد ولدانها، ولم يقرع سمعه ما ورد في ذلك من الأحاديث، فلا يضر ذلك بإسلامه، ولا يكلف بتحصيل هذه المعارف. وهذا كالاطلاع على عدد غزوات النبي ﷺ وعدد أولاده، وزوجاته، فإنَّ المعرفة بهذه الأمور والأحوال، وإن كانت في حد نفسها راجحة مرغوباً فيها، لكن ليست من الأمور الاعتقادية التي يدور مدار معرفتها ترتيب آثار الاسلام، ويحكم بكفر منكرها.

نعم من ثبت عنده إخبار الرسول عن هذه الخصوصيات والتفاصيل يحصل له الاعتقاد بها لاعتقاده صدق الرسول ﷺ في كل ما أخبر به، وإظهار الشك فيها أو انكارها بعد

العلم بإخبار النبي ﷺ عنها موجب للكفر قطعاً لرجوع ذلك إلى تكذيب النبي ﷺ.

وأما القسم الثاني: فيجب الاعتقاد، وتحصيل الإيمان والمعرفة به وهذا ما لم يختلف فيه اثنان من الشيعة.

وأمّا القسم الثالث: أي إخباره عن الأحكام العملية فيجب العمل به ولا يجوز إنكاره بعد ثبوته عنده، وإنكاره بعد العلم بإخباره موجب للكفر والخروج عن الاسلام(١)، ولا يتفاوت في

---

(١) ولأجل إيضاح بطلان إفتراءِ الخطيب ننقل كلام العلاّمة الاشتياني في بحر الفوائد ص ٢٧٦ ـ قال:

«المعارف بالمعنى الأعم على قسمين:

احدهما: ما لا يكون من الدين، ولا دخل له بشريعة سيد المرسلين ﷺ مثل كيفية خلق السماء والأرض، والحور والقصور، وغير ذلك مما عرفت الإشارة إليه عن قريب.

ثانيهما: ما يكون من الدين لا يقال لا معنى للتقسيم المذكور لأن كل ما بينه النبي ﷺ يكون من الدين لا محالة، وإلاَّ لم يبينه لأنّا نقول: هذا غلط واضح، وخلط ظاهر فإن الرسول قد يخبر عن الشيء من حيث كونه شارعاً ومبلغاً عن الله تعالى، ومأموراً بتبليغه إلى العباد، وقد يخبر عن الشيء لا من الحيثية المذكورة بل من حيث كونه عالماً بالغيب بإفاضة الله سبحانه. ومن المعلوم أنَّ هذا لا يرجع إلى الاخبار عن الأمر الديني. ثم الثاني أي ما يكون من الدين، وشريعة سيد المرسلين ﷺ ينقسم الى قسمين احدهما ما يتعلق بالعمل بالمعنى الأعم من التعلق الأولي الذي يسمى بالحكم الفرعي، والتعلق الثانوي وبالواسطة الذي يسمى بالحكم الأصولي العملي، ثانيهما ما يكون المقصود منه والغرض الأصلي الأولي المطلوب منه الاعتقاد وان ترتب عليه عمل أحياناً.

=

ذلك أي عدم وجوب التدين بالأمور العادية، وخصوصيات الأمور المذكورة بين اخبار النبي ﷺ، واخبار الامام عليه السلام ووجوب تصديق النبي في اخباره عن المغيباب أولى من وجوب تصديق الإمام

= أمّا الأول: أي ما لا دخل له بالدين أصلاً فلا إشكال في أنّه لا يجب التديُّن به بعد حصول العلم به فضلاً عن الظن به نعم: لا يجوز انكاره بعد ثبوته من حيث إيجابه لتكذيب النبي ﷺ فيكون كفراً.

وأمّا الثاني: فما يتعلق منه بالعمل ولو بالواسطة فلا اشكال في امكان التعبدُ فيه بغير العلم، بل وقوعه في الجملة على ما عرفت مفصلاً، وإن كان مقتضى الأصل الأولى البناء فيه على عدم وقوع التعبد. وما يتعلق منه بالاعتقاد قد عرفت سابقاً أنّه على قسمين.

احدهما: ما يجب به الاعتقاد مطلقاً فيجب تحصيل المعرفة به.

وثانيهما: ما لا يجب فيه ذلك بل إن حصلت المعرفة به حصل الاعتقاد قهراً، ويجب التدين بمقتضاه، والمعتقد في المقامين قد يكون أمراً اجمالياً، بمعنى أنّه قد يجب الاعتقاد بشيء والتدين به اجمالاً سواء كان وجوباً مطلقاً أو مشروطاً بالمعنى الذي عرفته فلا يجب تحصيل تفصيله، نعم: لو حصل العلم به وجب الدين به من حيث كونه عين ما وجب الاعتقاد والتدين به اجمالاً ضرورة كون المفصل عين المجمل وإن افترقا من حيث الاجمال والتفصيل. وقد يكون أمراً تفصيلياً. . .

وقال في هذه الصفحة، تكذيبه (يعني: تكذيب الرسول ﷺ) ولو في اخباره العادية موجب للكفر قطعاً، وهو ما يرجع الى بيان أمور واقعية لا تعلق لها بالدين. مثل بيان مبدأ خلق السموات والأرض. وحور العين، والفصل بين كل سماء. إلى غير ذلك ممّا يرجع الى بيان خلقة المخلوقات فإنّه ليس أمراً دينياً اعتقادياً بحيث يجب التدين به، والإقرار به، وإن لم يجز إنكاره بعد العلم بثبوته من صاحب الشرع. هذا وتوهم كون جميع ما بيّنه النبي ﷺ من الدين فاسد كما سننبه عليه. انتهى.

ومقدمٌ عليه بحسب المرتبة. فإن وجوب تصديق الإمام فرع وجوب تصديق النبي ﷺ.

هذا حاصل كلام الاشتياني في المقام، وقد صرح في موضعين من عباراته في ص ٢٧٦، بكفر من أنكر اخبار الرسول في الأمور العادية، ولكن الخطيب يفتري على الشيعة، ويقول انهم يرفعون مرتبة أئمتهم في اخبارهم عن الأمور الغيبية «والعياذ بالله» فوق مرتبة النبي ﷺ ونسي أنَّ في أهل السنَّة من يقول إنَّ النبي كان فيما قال وعمل في الأمور الدينية ممَّا لا نصَّ فيه مجتهداً كسائر المجتهدين.[1]

ثم إنَّه لم يقنع بذلك فقال: «إنَّ جميع رواة الغيبيات عن الأئمة الاثني عشر معروفون عند علماء الجرح والتعديل من أهل السنَّة بأنَّهم كانوا كذبة»، وهذا من أبشع افتراءاته على علماء الجرح والتعديل فإنَّ كرامات الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، واخبارهم عن الأمور الغيبية بما هو مخزون عندهم من علوم جدِّهم رسول الله ﷺ، وورثوا عنه، ثابتة بالتواتر، قد خرَّج طائفة منها جمع من اعلام أهل السنَّة لا سيَّما ما صدر منها عن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، ولا عجب في ذلك لأنَّ النبي ﷺ اختصهم بعلوم ليست عندهم،

---

(١) راجع تفصيل هذه المسألة في كتاب: «المستصفى من علم الأصول: ج٢/ ص ١٠٤ و١٠٥) و(عدة الأصول ص ٢٩٤ و٢٩٥).

ولذلك أمر أمَّته بالرجوع اليهم، وجعل الأمان والنجاة والأمن من الضلال في التمسك بهم.

وقد احتج بروايات رجال الشيعة جمع من علماء أهل السنَّة[1]، ورواة أحاديث الشيعة الأثبات الثقات معروفون في كتب الرجال، ومن راجع كتب الجرح والتعديل للشيعة، يقف على اهتمامهم بتعرف أحوال الرجال، وعدم احتجاجهم بأحاديث الضعاف، سواء كان الرواي شيعياً أم سنّياً. ولو كانت للخطيب أدنى خبرة بكتب الشيعة لعلم مبلغ اعتنائهم بتحقيق حال الرواة، ولو قرأ كتاب «تأسيس الشيعة» لعرف تقدمهم في علم الحديث، والفحص عن أحوال الرواة، وسائر الفنون الاسلامية.

والأصول التي يعتمد عليها الشيعة في استخراج الأحاديث الصحاح والحسان في غاية المتانة والانضباط، والحاصل أن كثيراً من الروايات المأثورة في اخبارهم عن الحوادث المستقبلة، والأمور الغيبية من صحاح الأحاديث،

---

(١) قال العلامة المحدث أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الحسني المغربي: قد جمع الحافظ أسماء من روى لهم البخاري منهم (يعني من الشيعة) فسمى نحو السبعين: وما أراه استوعب.
واما صحيح مسلم ففيه أكثر من ذلك بكثير حتى قال الحاكم: ان كتابه ملآن من الشيعة. راجع كتاب: (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم عليّ ص ١٠٦ من طبعته الثانية) وهذا الكتاب نفيس جداً يجب على الباحث أن يقرأه لأنَّ فيه من البحوث العلمية والفوائد الرجالية ما قلّ ما توجد في غيره.

رواها الثقات بأسناد عالية. ولا يرتاب المتتبع في تواترها إجمالاً، بل بعضها متواتر تفصيلاً، وإنكار جميع هذه الروايات زلَّة كبيرة. فمن أين علم الخطيب أنَّ جميع رواة هذه الأحاديث معروفون بالكذب؟ ومن أين اطلع على جميع تلك الأحاديث ورواتها مع أنه لم يسمع من اسماء كتب الشيعة واحداً من الألوف؟ وفي أي كتاب ذكر علماء الجرح والتعديل من أهل السنَّة أن جميع رواة تلك الأحاديث كانوا كذبة ولم لم يأت بأسماء هؤلاء المعروفين؟ وهذه أخبار أمير المؤمنين عليه السلام عن المغيبات مخرجة في كتب أهل السنَّة في التاريخ والحديث، وبعضها ثابت بالتواتر التفصيلي وبعضها بالتواتر الإجمالي.

والعجب من جماعة يثبتون لرؤساء الصوفية والدراويش اخباراً عن أمورٍ غيبيةٍ، وكرامات يأبى العقل قبولها ثم يستبعدون صدورها عن أئمة أهل البيت مثل أمير المؤمنين عليه السلام وسبطي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والسجاد، والباقر عليه السلام، وغيرهم أعدال الكتاب، وعدول أهل البيت الذين بشّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنَّهم ينفون عن الكتاب تحريف الغالين، وإبطال المبطلين، ويقدحون في رجال هذه الأخبار بأنَّهم كانوا كذبة مع أنَّهم لا ذنب لهم إلاَّ روايتهم بعض فضائل أهل البيت، والنصوص المأثورة في إمامتهم، وعلومهم، من الأحاديث التي كانت روايتها في عصر الأمويين والعباسيين من أكبر الجرائم السياسية.

وقد اشبعنا الكلام في ذلك في كتاب أفردناه لإثبات حجية روايات أصول الشيعة، ووجوب الرجوع إليها، والتمسك بها في الفقه، كما قد أفردنا لتخريج مناقب كل واحد من الأئمة الاثني عشر وتاريخ حياتهم من كتب أهل السنَّة (لكل واحد من الأئمة) كتاباً نسأل الله تعالى أن يوفقنا لاتمامها ونشرها.

افتراء الخطيب على الشيعة بالتملُّق للحكومات وتدخل الخواجة وابن العلقمي في فاجعة بغداد

نسب الخطيب في ص ٢٤ الى الشيعة أنَّهم يتملقون لأي حكومة من الحكومات الاسلامية بألسنتهم إذا كانت قوية فإذا ضعفت أو هوجمت من عدو انحازوا الى صفوفه. واستشهد أخيراً على خروج المغول، وما صدر منهم في بغداد من سفك الدماء وهتك الأعراض، وغيرها من الجرائم العظيمة. واتهم حكيم الشيعة، وفيلسوف الاسلام الخواجة نصير الدين الطوسي الشهير، وابن أبي الحديد المعتزلي من السنَّة، وابن العلقمي مؤيد الدين الوزير بالتدخل في هذه الفاجعة الخ.

كان الأولى أن يترك الكلام عن افعال الشيعة، وما صدر بزعمه عنهم. فإنَّ عقيدة طائفة ورأيها شيء، وعملها شيء آخر، وربما لا توافق اعمال بعض الناس عقيدتهم، ولا يجوز الاعتماد في استنباط آراء الفرق وعقايدهم على مجرد أعمال بعضهم فإنَّه ما من قوم إلاَّ ويوجد فيهم من يخون قومه، ويقدم على ضرر أمته، ولو جعلنا تاريخ

الاسلام نصب أعيينا لعثرنا على خيانات كثيرة من عصر الرسالة الى هذا الزمان صدرت من المنافقين وفساق المسلمين، وأولئك الذين أوهن قلوبهم حبُّ الدنيا، وكراهية الموت.

وهل تأخر المسلمون عن غيرهم إلاً الخيانات صدرت من عمال السياسة، وعبدة الرياسة، واتباع الشيطان. أنظر بعينك أيُّها المنصف الى الملأ الاسلامي، وانظر الى القواد العملاء والأمراء العبيد للاستعمار الذين لم تقع الأمة فيما وقعت فيه إلاً بخياناتهم. أفترى سبباً لبقاء الحكومة الغاصبة الاسرائيلية التي أنشأها المستعمرون في بلاد المسلمين غير خيانة بعض الحكومات والأمراء؟ أنسيت ما فعلت يد الخيانة بالجيش المصري في حكومة فاروق؟ ألم تقرأ في الصحف والمجلات خيانات تصدر من بعض رؤساء الحكومات المسميات بالاسلامية على الاسلام وابنائه؟ ألم يقرع أذنك ما وقعت فيه الأمة في الحرب العالمية الأولى بسبب خيانة بعض القواد، وطلاب الرياسة، والحكومة فتمزقت الوحدة الاسلامية، وتأسست في كل قطر حكومة ضعيفة مستعمرة، وأصاب المجتمع الاسلامي ما أصاب حتى ألغى بعض تلك الحكومات سنن ديننا الحنيف في جميع الشؤون الحكومية؟ فإنّا لله وأنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلاً بالله.

ولو نظرت إلى التاريخ وقايست بين الشيعة وأهل السنَّة في ذلك لطمست ما كتبت أيُّها الخطيب، ولعلمت أنَّ أي الفريقين أحقُّ باللوم والتوبيخ.

ومما هو جدير بالذكر هنا كنموذج لهذه المخاصمات التي اذهبت مجد المسلمين، وسلطانهم، ما أصاب الناس من القتل، والسبي، والنهب عند افتتاح جيوش التتار بلدة اصبهان، وذلك بعد أن عجزوا عن افتتاحها ونزلوا عليها مراراً في سنة سبع وعشرين وستمئة، ووقعت الحرب بينهم وبين أهلها، وقتل من الفريقين خلق كثير، ومع ذلك لم يبلغ التتار غرضهم حتى وقع الاختلاف بين أهل أصبهان في سنة ثلاث وثلاثين وستمئة وهم طائفتان حنفية، وشافعية، وبينهم حروب متصلة، وعصبية ظاهرة فخرج قوم من اصحاب الشافعي إلى من يجاورهم من التتار فقالوا لهم اقصدوا بلدنا حتى نسلمه إليكم، وكان ذلك في سلطنة ابن جنكيزخان قاآن، فأرسل جيوشاً نزلت على أصبهان في سنة ثلاث وثلاثين المذكورة فحصرتها فاختلف سيفا الشافعية والحنفية في المدينة حتى قتل كثير منهم، وفتحت أبواب المدينة. فتحها الشافعية على عهد كان بينهم وبين التتار أن يقتلوا الحنفية، ويعفوا عن الشافعية. فلما دخلوا البلد قتلوهما جميعاً وبدأوا بالشافعية فقتلوهم قتلاً ذريعاً ولم يفوا بالعهد الذي عهدوه لهم، ثم قتلوا الحنفية ثم قتلوا سائر

الناس، وسبوا النساء وشقوا بطون الحبالى، ونهبوا الأموال، وصادروا اموال الأغنياء، ثم أضرموا النار فأحرقوا أصبهان حتى صارت تلولا من الرماد[1]. وأمثال هذه الحادثة بين أرباب المذاهب ليست بقليلة، مثل الفتنة الكبرى التي هاجت ببغداد لاختلاف الحنابلة وغيرهم في معنى قوله تعالى: «**عسى أن يبعثك ربُّك مقاماً محموداً**».

فقالت الحنابلة، معناها: يقعده الله على عرشه، وقال غيرهم بل هي الشفاعة، ودام الخصام، واقتتلوا حتى قتل جماعة كثيرة[2]، ومع ذلك لا لوم على جميع أهل هذه المذاهب، إنَّما اللوم والذنب على سفهائهم، وجهالهم، وعلى الذين اتخذوا هذه المذاهب سبباً للاختلاف والتفرقة بين المسلمين وتفسيق غيرهم من سائر الفرق، وجعلوها وسيلة لتحقيق أغراضهم الدنيَّة.

ثم إن التملُّق لأرباب السلطة، والحكومات كيف صار من خصائص الشيعة، وكيف نسي تملُّق بعض السنيين من الحكومات في عصر الأمويين والعباسيين. فاقرأ دواوين الشعراء وانظر إلى جماعة زينوا للناس قبائح أعمال الأمراء في تلك العصور المظلمة، وانظر الى العلماء والمحدثين الذين لم

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٨/ص ٤٦٤.

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٢٥٥.

يطعنوا في سيرة هؤلاء، وتركوا نصيحتهم، ولم يطلبوا منهم الرجوع الى الكتاب والسنَّة، في حين أنَّهم يفتون بوجوب إطاعتهم، ويعدُّون الخروج عليهم من أعظم المحرمات. فلو تملق بزعم الخطيب بعض الشيعة الجبابرة الملوك عملاً بالتقية، وحقناً للدم، وحفظاً للعرض، فقد تملق بعض السنيين للحطام الدنيوي، والزخارف الفانية. ويكفيك مثلاً وشاهداً ما وقع لغياث بن إبراهيم النخعي حيث دخل على المهدي العباسي فوجده يلعب بالحمام فساق في الحال إسناداً الى النبي ﷺ أنَّه قال «لا سبق إلاّ في نصل أو خف أو حافر أو جناح» إتباعاً لهوى المهدي فأمر له المهدي ببدرة، فلما قام قال المهدي: أشهد على قفاك أنَّه قفا كذاب على رسول الله ﷺ ثم أمر بذبح الحمام، لكن لم يتعرض له ولم يأخذ ما أعطاه حتى فعل نحواً من ذلك مع هارون الرشيد.[1]

وخبر شق أبي البختري وهب بن وهب أمان الرشيد ليحيى بن عبد الله بن الحسن بالسكين. فوهب له هارون بذلك ألف ألف وستمئة ألف، وولاّه القضاء[2]. ونظائر ذلك كثيرة لا سيما في استيلاء بني أمية وبني العباس على الحكم.

---

(١) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص ٨٦، ونخبة الفكر ص ٦١ و٦٢، ونزهة النظر في توضيح نخبة الفكر ص ٦١، وتاريخ الخلفاء ص ١٨٣، وأخبار مكة المشرفة ج ٣/ ص ٩٨.

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٤٨٠.

وإذا كان هذا حال بعض السنيين فهل يجوز أن يسند ذلك إلى جميعهم؟ وهل تجد قوماً أو أمة لم يكن فيهم أمثال هؤلاء؟ فلا يجوز لأهل السنَّة مؤاخذة الشيعة على ما صدر عن بعضهم، كما لا يجوز للشيعي أيضاً أن يؤاخذ السنِّي بأعمال الحجاج ومسلم بن عقبة وغيرهما من الجبابرة.

هذا ولا ريب في أنَّ استيلاء التتار على بغداد كان من أعظم مصائب المسلمين في التاريخ ولكن هل كان ابتلاؤهم بهذه الفاجعة أعظم أم ابتلاؤهم بحكومة معاوية، ومحاربته أمير المؤمنين علياً عليه السلام؟ فما ترتب بعد على حادثة ما ترتب على أفاعيل معاوية ومحاربته علياً عليه السلام من المفاسد.

قال أحد كبار علماء الألمان في الاستانة لبعض المسلمين وفيهم أحد شرفاء مكة: انه ينبغي لنا أن نقيم تمثالاً من الذهب لمعاوية بن أبي سفيان في ميدان كذا من عاصمتنا «برلين».

قيل له لماذا؟ قال:

لأنَّه هو الذي حوَّل نظام الحكم الإسلامي عن قاعدته الديمقراطية إلى عصبية الغلب، ولولا ذلك لعمَّ الاسلام العالم كلَّه، ولكنّا نحن الألمان وسائر شعوب اوربا عرباً مسلمين.[1]

---

(١) تفسير المنار: ١١/ ٢٦٠.

كارثة خروج المغول واستيلائهم على بلاد المسلمين وأسباب سقوط بغداد

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء: ١٦).

تحكموا واستطالوا في حكومتهم
وعن قليل كأن الحكم لم يكن
لو أنصفوا أنصِفوا لكن بغوا فبغى
عليهم الدهرُ بالآفات والمحن
وأصبحوا ولسان الحال ينشدهم
هذا بذاك ولا عتب على الزمن

كانت حادثة خروج التتار حادثة عظمى ومصيبة كبرى عمّت الخلائق، وخُصّ المسلمون بشدة بلائها، لم يطرق الاسماع مثلها، شوَّهت تاريخ الانسانية، وما قيل في شرحها من قتل العلماء والصلحاء والخواصّ والعوامِّ وتخريب البلاد، وشق بطون الحوامل، وقتل الأجنَّة، وهدم الجوامع والمعابد، وإحراق الكتب، وهتك الأعراض في كل مدينة افتتحوها ليس

إلاّ اجمالٌ من تفاصيل هذه الأحوال، فشملت الفتنة المسلمين وممالك الاسلام «**فإنّا لله وإنّا إليه راجعون**» وكانت مدينة بغداد من البلاد التي أصيبت في هذه الحادثة بأشد المظالم، وبلغ عدد من قتل فيها على ما قيل: أكثر من مليون نسمة، بل قيل: إنه لم يسلم إلاّ من اختفى في بئر أو قناة، ووقع فيها من القتل الفظيع، وهتك الأعراض، ونهب الأموال، وغرق الناس في دجلة، وضياع الكتب ما قلّ نظيره في تاريخ العمران، ولم تكن خسارة الشيعة في هذه الكارثة ـ لا في بغداد، ولا في غيرها من بلاد خراسان وما وراء النهر ـ بأقلّ من خسارة أهل السنّة، فقتلوا فيمن قتل، وكان في القتلى من الأشراف والفاطميين مالا يحصى.

وكان من أقوى أسباب انهزام المسلمين[١] ما حدث بينهم من المنازعات والحروب الداخلية، والرغبة في الملك والسلطان، وانهماكهم في المعاصي والشهوات، وضعف

(١) من الجدير بالذكر: أنَّ أسباب هذه الفاجعة لم تتولد جميعها في زمن المستعصم، وإنَّما كان لها جذور تاريخية ذات صلة وثيقة بحصول هذه المأساة نجمت واكتمل نموّها في زمن الخليفة المذكور فأدَّت إلى ما أدَّت إليه من الفظائع والآلام.
وكان عدم قيام خلافة هؤلاء الخلفاء على أسسها الرشيدة الاسلامية عنصر شر كبير في وقوع هذه الكوارث والمحن التي قضت على عزة الاسلام وتقدم المسلمين، فلم يكن المنهج الذي انتهجوه في سياسة الحكم والمال وغيرها موافقاً لمنهج الاسلام العادل في الحكم والمال، بل جدَّدوا سيرة السلاطين والملوك الأكاسرة والقياصرة، وشر من هؤلاء من أقرَّ بحكوماتهم واعتبرها شرعية، ولم ينكر عليهم، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الخلفاء في تدبير الأمور[1]، وظهور العصبيات الباردة في المسائل الكلامية والخلافات المذهبية[2]، واشتغل أرباب المناصب بالملاهي، وتكبر الخليفة المستعصم، وبخله بالأموال. فكان كما وصفه[3]. تائهاً في لذّاته، لا يطلع على الأمور، ولا له غرض في المصلحة.

وقال ابن كثير: ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمئة، استهلت هذه السنة، وجنود التتار قد نازلت بغداد صحبة الأميرين اللذين على مقدمة عساكر سلطان التتار هولاكوخان ـ إلى قوله ـ وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب. حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه، وكانت من جملة حظاياه، وكانت مولدة تسمى عرفة، جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها، وهي ترقص بين يدي الخليفة فانزعج الخليفة من ذلك، وفزع فزعاً شديداً[4].

---

(١) فالخليفة العباسي الناصر لدين الله هو الذي يقال إنّه كاتب التتار، واطعمهم في البلاد (راجع الكامل في التاريخ ج٩/ ص ٣٦١، وابن كثير ـ ج١٣ ص ١٠٧، والاعلام للزركلي ـ ج١/ ص ١٠٦، وروضة الصفا ـ ج٥ ص ـ ٧٨ و٧٩.

(٢) قال الصفدي في الوافي بالوفيات ج١/ ص ٢٨٠، في ترجمة البروي الشافعي أحد المشاهير المشار اليهم بالتقدم في النظر وعلم الكلام والفقه، وكان يبالغ في ذم الحنابلة، وقال لو كان لي أمر لوضعت عليهم الجزية فجاءته امرأة في الليل بصحن حلوى قالت انا أغزل، وابيعه، وقد اشتريت هذا الصحن وهو حلال وأريد أن يأكل الشيخ منه فأكله هو وزوجته وولد له صغير فأصبحوا موتى. فانظر كيف ضرب الاختلاف المذهبي بعض المسلمين. ببعض، وكيف نسوا ما ذكروا به.

(٣) تاريخ الخلفاء ص ٣٠٩.

(٤) البداية والنهاية: ج ١٣/ ص ٢٠٠.

وقال ابن الطقطقي في «الفخري في الآداب السطانية»[1]: كان المستعصم آخر الخلفاء شديد الكلف باللهو واللعب، وسماع الأغاني، لا يكاد مجلسه يخلو من ذلك ساعة واحدة، وكان ندماؤه وحاشيته جميعهم منهمكين معه على التنعم واللذات، لا يراعون له صلاحاً، وفي بعض الأمثال «الخائن لا يسمع صياحاً»، وكتب له الرقاع من العوام، وفيها أنواع التحذير، وألقيت، وفيها الأشعار في دار الخلافة فمن ذلك «مجتث».

قـل لـلـخـلـيـفـة مـهـلا
اتــاك مـــالا تحـــب

هـا قـد دهـتـك فـنـون
مـن المصـائـب عـزب

فـانـهـض بـعـزم وإلاّ
غـشـاك ويـل وحـرب

كـسـر وهـتـك وأسـر
ضـرب ونهـب وسـلـب

وفي ذلك يقول بعض شعراء الدولة المستعصمية من قصيدة أولها:

يـا سـائـلـي ولـمـحـض الـحـق يـرتـاد
أصـخ فـعـنـدي نـشـدان وإنـشـاد

(١) ص ٣٣.

واضيعة الناس والدين الحنيف وما
تلقاه من حادثات الدهر بغداد[1].
قتل وهتك، وأحداث يشيب بها
رأس الوليد، وتعذيب وأصفاد
كل ذلك، وهو عاكف على سماع الأغاني، واستماع المثالث والمثاني، وملكه قد أصبح واهي المباني. ومما اشتهر عنه أنه كتب إلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يطلب منه جماعة من ذوي الطرب، وفي تلك الحال وصل رسول السلطان هلاكو إليه، يطلب منه منجنيقات وآلات الحصار، فقال بدر الدين: أنظروا إلى المطلوبين وابكوا على الاسلام وأهله، وبلغني ان الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي كان في أواخر الدولة المستعصمية ينشد دائماً «خفيف».
كيف يرجى الصلاح من أمر قوم
ضيَّعوا الحزم فيه أي ضياع
فمطاعٌ، وليس فيه سدادٌ
وسديد المقال غير مطاع
«انتهى كلام الفخري».
وكان من حبه للمال: أن الملك الناصر داود المعظم أودع

---

(١) قبله:
إن جئت يثرب أو شارفت ساحتها فقل لمن أنزلت في حقِّه صاد
الكفر أضرم في الاسلام جذوته وليس يرجى لنار الكفر إخماد
(راجع تاريخ ابن الفوطي البغدادي الموسوم بالحوادث الجامعة ص ٣٢١).

عنده في سنة سبع وأربعين وديعة قيمتها مئة ألف دينار فجحدها الخليفة فاستقبح هذا من مثله. وهو مستقبح ممن دونه بكثير بل من أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك.[1]

وكان من بخله أن فارق كثير من الجند بغداد لانقطاع أرزاقهم، ولحقوا ببلاد الشام في سنة خمسين وستمئة.[2]

وكان من قلة تدبيره وضعفه تركه ما أشار عليه به الوزير من المهادنة وإرسال التحف والهدايا إلى هلاكو وخواصه وقواده بعد ما قَبِلَ أولاً فترك الحزم واقتصر على إنفاذ شيء يسير[3]، وأخذ برأي أعداء الوزير وحسَّاده فإنَّهم خطَّأوه، وشجعوا الخليفة على الحرب، وترك المهادنة[4] وقد كان أبوه المستنصر قد استكثر من الجند جداً، ومع ذلك كان يصانع التتار،

---

(١) راجع تاريخ ابن كثير: ١٣/ ٢٠٥ و٢١٤.

(٢) تاريخ ابن الفوطي ص ٢٦١.

(٣) قال في «تاريخ مختصر الدول ص ٢٦٩»: ولما فتح هلاكو تلك القلاع أرسل رسولاً آخر إلى الخليفة وعاتبه على إهماله تسيير النجدة فشاوروا الوزير فيما يجب أن يفعلوه فقال: لا وجه غير إرضاء هذا الملك الجبّار ببذل الأموال والهدايا والتحف له ولخواصه، وعندما أخذوا في تجهيز ما يسيرونه من الجواهر والمرصعات والثياب والذهب، والفضة، والمماليك، والجواري والخيل والبغال والجمال، قال الدويدار الصغير واصحابه: إنَّ الوزير إنَّما يدبر شأن نفسه مع التتار وهو يروم تسليمنا إليهم فلا نمكنه من ذلك فبطل الخليفة بهذا السبب تنفيذ الهدايا الكثيرة، واقتصر على شيء نزر لا قدر له فغضب هولاكو الخ.

(٤) راجع تاريخ ابن كثير: ١٣/ ٢٠٠، وروضة الصفا: ٥/ ٢٤٠ و٢٤١، والحوادث الجامعة ص ٣١٩، وجامع التواريخ: ٢/ ٧٠٢، وذيل تاريخ جهانكشا الجويني: ٣/ ٢٨٠ و٢٨١.

ويهادنهم ويرضيهم[1]، ولعله لو قبل هذه النصيحة، وسلك على منهاج أبيه لدفع عن المسلمين هذه المصيبة العظمى.

ويظهر مما أنشأه الشيخ الاديب الشاعر سعدي الشيرازي في مرثية المستعصم أن الملك أبا بكر بن سعد الزنكي أيضاً أشار على المستعصم بالمصانعة والمهادنة فلم يقبل نصيحته، وقد دفع هذا الملك التتار بالمصانعة، والتدبير عن بلاد فارس.

وذكروا[2] من تكبر الخليفة أنَّه كان في طريق بلاطه حجر كالحجر الأسود عليه غطاء أطلس أسود، وكان الملوك والسلاطين وكبراء الناس وغيرهم يزورون ذلك الغطاء، ويستلمون الحجر، وذكروا ان العالم المتورِّع مجد الدين إسمعيل الفالي الذي أرسله أتابك مظفر الدين سعد رسولاً إلى الخليفة امتنع عن تقبيل الحجر المذكور، ونعم ما فعل فإنَّه يجب على كل مسلم موحِّد مؤمن بالله ورسوله أن يمتنع عن ذلك، فلما ألزموه وضع المصحف الشريف على الحجر، وقبل المصحف.

ومن أفظع الوقائع الحادثة في خلافة المستعصم تخريب محلة الكرخ في بغداد، وقتل جماعة كثيرة من الشيعة من

---

(١) تاريخ الخلفاء ص ٣٠٩.

(٢) روضة الصفا: ٥/٢٣٥ و٢٣٦، وتاريخ وصاف الحضرة ص ٢٧.

بني هاشم وغيرهم، ونهب أموالهم، وأسر البنات، وحملهن عاريات على الخيول في السوق بأمر أبي العباس أحمد بن المستعصم[1].

وعلى كل حال فاحتمال كون اتهام الوزير العلقمي بالمواضعة مع هولاكو من مختلقات المتعصبين[2] وأعداء الشيعة قريب جداً لا يدفعه شيء، وإسناد الاشتراك في هذه الجرائم الفظيعة الى أحد من المسلمين من غير دليل

(١) راجع في ذلك تاريخ روضة الصفا ج٥/ ص ٢٣٦، ومجالس المؤمنين ص ٤٣٧، والفخري ص ٢٤٤، وتاريخ ابن كثير ج ١٣ ص ١٩٦، وتاريخ ابن الفوطي ص ٣١٤ وقد استبيحت دماء الشيعة ووضع السيف فيهم في بغداد غير مرة فراجع تاريخ ابن الأثير وغيره حتى تعلم ما فعلت جهالات السفهاء وعصبياتهم الباطلة. فمن ذلك ما ذكره ابن الأثير في حوادث سنة ثلاث وأربعين وأربعمئة فاقرأ في تاريخه تفصيل هذه الحادثة وما ظهر من الجهال من سوء الأدب إلى المشهد الكاظمي عليه السلام، والحرب والحرق والهدم والقتل، وما جرى من الأمر الفظيع مما لم يجر في الدنيا مثله مما قد تركنا ذكر تفاصيله حذراً من جرح عواطف الشيعة، ونكتفي بذكر أبيات من قصيدة أنشأها المؤيد في الدين أبو نصر هبة الله بن موسى بن ابي عمران في هذه الحادثة:

ألا ما لهذي السما لا تمور	وما للجبال ترى لا تسير
فموسى يشق له قبره	ولما أتى حشره والنشور
ويسعر بالنار منه حريم	حرام على زائريه السعير
وتقتل شيعة آل الرسول	عتواً وتهتك منهم ستور
فوا حسرتا لنفوس تسيل	ويا غمتا لرؤوس تطير (القصيدة)

وقد جرى على الشيعة مثل هذه الحادثة الفظيعة في سنة خمسة وأربعين وأربعمئة، وفي غيرها.

(٢) والذي ظهر لي بعد الفحص الكثير في التواريخ سيما التواريخ المؤلفة في القرن السابع الذي وقعت فيه هذه الفاجعة ـ ككتاب مختصر تاريخ الدول، والحوادث =

قطعي، لا يجوز عند العقل والشرع.

= الجامعة، وجامع التواريخ، ورسالة كتبها الخواجه نصير الدين في شرح هذه الحادثة ـ التي ينبغي أن تعدَّ من أوثق المصادر بل أوثقها في هذه الواقعة ـ أن نسبة المؤامرة إلى الوزير مع هولاكو إنَّما صدرت من حساده وأعدائه كالدويدار الصغير وأتباعه ممَّن يريدون الاستبداد بالأمور فألقوا في الألسنة والأفواه مؤامرة الوزير، واتهموه بالخيانة لا لأنَّه شيعيّ والدويدار سنيّ، بل لأن الوزير كان يقف ضد نواياهم ويمنعهم من الاستيلاء على الأمور والاستبداد، ولذلك لم يرالدويدار والشرابي بعد وفاة المستنصر تقليد الخفاجي الأمر وهو الذي كان فيه شهامة وشجاعة زائدة، وكان يقول: لئن وليت لأعبرنَّ بالعسكر نهر جيحون وآخذ البلاد من أيدي التتار وأستأصلهم، فآثروا المستعصم للينه وانقياده ليكون لهم الأمر (تاريخ الخلفاء ص ٣٠٦ و٣٠٨) ولم يقنع الدويدار بذلك حتى عمل على خلع المستعصم، والمبايعة لولده (تاريخ ابن الفوطي ص ٢٤٩). ويظهر من التواريخ أن الخليفة الضعيف المستضعف كان عاجزاً عن دفع أمثال الدويدار وقطع أيديهم من الأعمال، وكان الدويدار لا يعتني بمقام الوزير، ولم تكن للوزير ـ مع وجود الدويدار ـ قدرة على تمشية الأمور وإنفاذ تدبيراته الحكيمة، والمترجح في النظر أنه لم يرد أحد من هؤلاء الأمراء لا ابن العلقمي ولا الدويدار ولا غيرهم تغلب التتار على بغداد ولكنهم تركوا الحزم ولم يدعوا قبال هذه الحادثة العظمى اختلافاتهم، فمنع الدويدار الصغير الخليفة من العمل برأي الوزير، واتهمه تارة بالخيانة وأخرى بالحمق والسفاهة، وقال: لحيته طويلة لأنَّه يرى أن تدبير الوزير لدفع شر التتار لو نجح لصار سبباً لزيادة تقربه الى الخليفة. وخلاصة الكلام أنَّ المتتبع في كتب التواريخ يعرف أن ما اشار به الوزير على الخليفة كان عين المصلحة وأدى به النصيحة، ولو عمل به لما وقعت هذه المذبحة العامة، وربما لا تجد في مثل تاريخ (مختصر تاريخ الدول) لابن العربي (المتوفي: ١٢٨٦م)، ورسالة الخواجة التي كتبها في شرح هذه الواقعة، وتاريخ ابن الفوطي (المتوفي: ٧٢٣هـ) وجامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله الوزير (من أعلام القرن السابع وأوائل القرن الثامن) من المصادر والكتب التي ألفت في القرن الذي وقعت فيه هذه الحادثة ذكراً للمؤامرة ولا أثراً فلا حقيقة لهذه النسبة إلاَّ إذا أخذنا بقول بعض الكتاب: (الكذبة إذا شاعت أصبحت حقيقة).

إذاً فلا ينبغي لمسلم أن يتهم غيره بمجرد المزاعم والنقول التي لا سند لها ولا =

ولأجل زيادة التوضيح ننقل كلام «ابن الطقطقي» في الفخري (ص ٢٤٦) قال: كان (يعني العلقمي) رجلاً فاصلاً كاملاً لبيباً كريماً وقوراً محبّاً للرياسة كثير التجمُّل رئيساً متمسكاً لقوانين الرياسة، خبيراً بأدوات السياسة لبيق الأعطاف بآلات الوزارة، وكان يحب أهل الأدب ويقرب أهل العلم، اقتنى كتباً كثيرة نفيسة (الى ان قال)، وكان مؤيد الدين الوزير عفيفاً عن أموال الديوان وأموال الرعية، متنزهاً مترفعاً قيل: إن بدر الدين صاحب الموصل أهدى إليه هدية تشتمل على كتب، وثياب، ولطائف قيمتها عشرة آلاف دينار فلما وصلت إلى الوزير حملها الى خدمة الخليفة وقال: إنَّ صاحب الموصل قد أهدى إليَّ هذا، واستحييت منه أن أردَّه إليه، وقد حملته، أسأل قبوله فقبل. ثم أنه أهدى إلى بدر الدين عوض هديته شيئاً من لطائف بغداد قيمته اثنا عشر ألف دينار، والتمس منه أن لا يهدي إليه شيئاً بعد ذلك.

وكان خواصُّ الخليفة جميعاً يكرهونه، ويحسدونه (وكان الخليفة يعتقد فيه، ويحبه) وكثروا عليه عنده، فكف يده عن أكثر الأمور. ونسبه الناس إلى أنه خامر، وليس ذلك بصحيح

= يعتمد عليها.

هذا ما ظهر لي بعد التتبع والتأمل التامين واشهد الله تعالى أني لا اقول ذلك لأنَّ ابن العلقمي كان شيعياً، فليس قصدي إلاَّ نشد ان الواقع والحقيقة، وتطهير النفوس من البغضاء والشحناء ولا قولا إلاَّ بالله.

وقال[1]: وفي آخر أيامه قويت الأراجيف بوصول عسكر المغول بصحبة السلطان هلاكو فلم يحرك ذلك منه «يعني المستعصم» عزماً ولا نسبه منه همة، ولا أحدث عنده هماً وكان كلما سمع عن السلطان من الاحتياط، والاستعداد شيء ظهر من الخليفة نقيضه من التفريط والإهمال «إلى أن قال» وكان وزيره مؤيد الدين ابن العلقمي يعرف حقيقة الحال في ذلك، ويكاتبه بالتحذير والتنبيه، ويشير عليه بالتيقظ والاحتياط والاستعداد، وهو لا يزداد إلاً غفولاً، وكان خواصه يوهمونه أنَّه ليس في هذا كبير خطر «الخ».

وليس عندي ببعيد أن نسبة الخيانة إلى الوزير العلقمي صدرت أولاً من بعض المتعصبين ـ كما أسلفنا ـ ثم نقلها بعض الشيعة ممَّن جرح عواطفهم ما صدر من العباسيين وعمالهم على الشيعة، من سلب الحرية، والاضطهاد، والقتل، والتعذيب مما تقشعر من ذكره الأبدان، فكأنه أراد بنقل ذلك شفاء ما في صدره من هذه الأعمال الفجيعة، والسياسات الظالمة ومن نقلها من السنيين لم يسندها إلى مصدر معتبر موثوق به، ولم أعثر في كتب التراجم والمعاجم الشيعية ذكراً لهذه النسبة فضلاً عن الافتخار بها، ولو كان فيهم من يفتخر بذلك «العياذ بالله» لذكروه في كتبهم المؤلفة في

---

(١) «الفخري» لابن الطقطقي: ص ٢٤٤.

عصر الخواجة، والعلقمي، وهذه كتب العلامة الحلي في الإمامة، وخلاف الأمة ليس فيها ذكر عن ذلك مع أنَّه كان من تلامذة الخواجة في المعقول. نعم في الأعصار الأخيرة ذكر ذلك القاضي نور الله الشهيد المتوفي عام ١٠٢١هـ في «مجالس المؤمنين»، وتبعه مؤلف «روضات الجنات» المتوفي عام ١٣١٣ من غير استناد الى أصل موثوق به، وسواء أكان تدخل العلقمي في هذه الحادثة معلوماً أم مشكوكاً فأصول الشيعة تأبي عن الرضا بهذه الكارثة، وما جرى فيها من القتل العام، وذبح المسلمين والمسلمات، فالشيعي لا يجوز قتل مسلم واحدٍ سنيًّاً كان أو شيعياً إلاَّ بالحق، فكيف يرضى بهذه المذبحة العامة وقتل الشيوخ والأطفال، وتغلب الكفار على المسلمين، وليس في فقهاء الشيعة من أفتى بجواز قتل واحد من أهل السنَّة لأنَّه سنيٌّ، فضلاً عن قتل عامة أهل بغداد مع ما فيهم من العلماء والأشراف من السنيين والشيعيين، وأمَّا الخواجة نصير الدين المحقق الطوسي فشأنه أجلُّ وأنبل من التدخل في هذه الفاجعة، وقد كان هولاكو قبل استخلاصه الخواجة من يد الاسماعيلية أرسل إلى الخليفة، وطلب منه أن يعينه بالجنود، والعساكر، وكان غرضه من ذلك توطئة الوسيلة للخروج عليه، وفتح بغداد كغيرها من البلاد، ولم يكن لمنع الخواجة في فسخ عزيمته قليل تأثير فهو وإن كان مكرماً عنده ظاهراً، وكان هولاكو يفتخر بوجوده في البلاط السلطاني،

وأراد أن ينتفع بعلمه وحكمته لكن لم يكن الخواجة ممَّن لازم السلطان وصحبه بالاختيار، بل كان مكرهاً مجبوراً في ذلك لم يكن له بدٌّ من صحبة السلطان. وما كان حاله عند هولاكو أحسن من حاله عند الاسماعيلية.

ومما يبعد نسبة وجود مواضعة بين هذا الفيلسوف وابن العلقمي أنَّ ابن العلقمي كتب الى الأمير ناصر الدين المحتشم أنَّ نصير الدين الطوسي قد ابتدأ بمكاتبة الخليفة، وأنشأ قصيدة في مدحه، وأراد الخروج من عندك، وهذا لا يوافق الرأي فلا تغفل عن هذا. فلما قرأ المحتشم كتابه حبس المحقق[1].

وعلى كل حال فمثل هذا الحكيم الفيلسوف الذي قلَّما يجود الزمان بمثله في العلم، والأخلاق، والفضائل النفسانية، والكمالات الانسانية، ويضرب به المثل في التواضع والحلم، والرحمة البشرية، لا يقدم على أمر لا يقدم عليه إلاَّ من ألقى جلباب الانسانية عن نفسه، ونزع الله الرحمة من قلبه، وأين هذا من رجل كان معلم الاخلاق ولا يزال وتصانيفه في الحكمة العملية من مصادر التربية، وتعليم إصلاح الباطن، وتهذيب النفس.[2]

---

(١) تاريخ وصاف الحضرة ص ٢٩ و٣٠، ومجالس المؤمنين ص ٢٤٠.

(٢) قال ابن كثير في تاريخه: ١٣/ ٢٦٧ وعندي أنَّ هذا لا يصدر من عاقل ولا فاضل، وقد ذكره بعض البغاددة فأثنى عليه، وقال: كان عاقلاً فاضلاً كريم الأخلاق.

نعم ليس لمثل الخواجة ذنب غير حبِّ أهل البيت فصار بهذا الذنب غرضاً لسهام الجهال، كما أن الشارح المعتزلي السنِّي الذي توفي قبل استيلاء المغول على بغداد[1] ليس له ذنب غير شرح نهج البلاغة، وما أبان فيه من الحقايق التاريخية، وفضائل اهل البيت، ومثالب مبغضيهم فلم يحرمه الخطيب من افتراءاته، ونسب اليه الاشتراك في هذه الفاجعة ولم يسند ذلك إلى أي كتاب من كتب التراجم والتاريخ، ولم يأت في تحامله على هذا الشرح الذي يعدُّ من نفائس كتب المسلمين في الأدب والتاريخ واللغة، والكلام وغيرها إلاَّ بالفحش والشتم، والخروج عن أدب الكتابة.

هذا مختصر الكلام حول هذه الحادثة، وأسبابها، ولا ريب أنها من أعظم عبر التاريخ، ويجب على المسلمين الاعتبار بها، وأن يعرفوا ضرر التنازع والتدابر، والانهماك في المعاصي، والاشتغال بالملاهي والملذات.

وما كان الله ليظلمهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

---

(١) فان سقوط بغداد كان في سنة ٦٥٦ وابن أبي الحديد توفي سنة ٦٥٥ (تاريخ ابن كثير) ـ ١٣/ ١٩٩ و٢٠٠).

من افتراءات الخطيب على الشيعة

لم يدع الخطيب شيئاً من الافتراء والبهتان إلاً وأسنده إلى الشيعة، وترك عنان القلم في ذلك حتى قال في ص ٢٧: «إنهم لا يرضون من المسلمين إلاّ بأن يتبرأوا من كل من ليس شيعياً حتى آل البيت من بنات رسول الله ﷺ.

الشيعة أعظم الناس احتراماً وأشدُّ حفظاً للرسول ﷺ في عترته وذريته، ليس عندهم أعز من أبناء رسول الله ﷺ وبناته وذريته، ويتوسلون إلى الله تعالى بحبهم، ويتقربون إلى رسوله بولايتهم، ولم ينفك شيعيٌ عن ذلك قط، ولا تجد لهذا الافتراء أثراً عند الشيعة، لا في كتبهم ومقالاتهم، ولا في محافلهم وأنديتهم. فاذهب أيُّها المفتري إلى مجالس الشيعة حتى تعلم مبلغ تحسرهم، وصراخهم، وولولتهم عند ذكر مصيبة الرسول بفقد ولده العزيز إبراهيم، وعند ذكر ما جرى على زينب بنت رسول الله ﷺ من المصائب، وحاشا ثم حاشا أن تكون في نفوس الشيعة إلاّ محبة أولاد الرسول وشيعتهم ومحبيهم، وهل التشيُّع غير الولاء الخالص لأهل البيت؟ وكم من الفرق بينهم وبين من هو عندك معدود من أهل السنّة ممَّن

سبَّ علياً وساير أهل البيت عليهم السلام وترك التمسك بهم وتقرب بذلك إلى الأمراء طمعاً في جوائزهم وصلاتهم؟

نعم الشيعة يفضلون فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين على إخوتها وأخواتها، وغيرهن من النساء لفضائلها، ومناقبها التي عرفها الخاصُّ والعام، ولاختصاصها بأبيها.

قالت عائشة: ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وكانت إذا دخلت عليه رحَّب بها وقام اليها وأخذ بيدها فقبَّلها وأجلسها في مجلسه[1].

وفي رواية أخرى عنها: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ولادلاً وهدياً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت: وكانت إذا دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام إليها فقبَّلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها[2].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني.**[3]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **هي بضعة مني، وهي قلبي، وهي روحي التي بين جنبيَّ من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله.**[4]

---

(١) مستدرك الصحيحين: ج٣/ ص ١٥٤.

(٢) سنن الترمذي ج٥/ ص ٧٠٠ ـ ح ٣٨٧٢ ، ط. دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان، وأبي داود ـ ص ٣٤٥، والمستدرك: ٤/ ٢٧٢.

(٣) صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق ٢/ ١٨٥ ، وفي كتاب النكاح ٣/ ١٦٤ ، «هي بضعة مني يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها».

(٤) نور الابصار: ص ٤١.

منزلة زيد الشهيد وسائر أهل البيت عند الشيعة

أخذ الخطيب عن أسلافه المنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام ما اخترعوه من الكذب الفاحش، والافتراء البين على الشيعة. ومن أفحش هذه الافتراءات: البراءة من زيد بن علي بن الحسين وغيره من أكابر أهل البيت عليهم السلام، وهذا بهتان تكذبه كتب الشيعة، ورواياتهم. فإنَّ من أظهر شعائر التشيَّع الحب الخالص، والولاء لأهل البيت والعلويين لاسيما الفاطميين منهم.

فهذه كتب التاريخ تنبىء عن ذلك، وتشهد على مواقفهم ومشاهدهم في سبيل الدفاع عن أهل البيت، وتخبرك عمَّن قتل منهم دون العلويين.

وهؤلاء الشيعة ضيق عليهم اعداء أهل البيت، والنواصب وابتلوهم بأنواع الاضطهاد، والمصائب، والفتن من القتل، وقطع الأيدي والأرجل، والسجن والجلد، والقذف بالكفر والخروج عن الدين، والآراء المفتعلة، وليست لهم جريمة إلاَّ حبُّ علي وفاطمة، وابنيهما، والمتذهب بمذهبهم.

وهؤلاء الشيعة تخاصمهم أنت ونظراؤك لأنَّهم يكرمون ابناء علي وفاطمة، ويعرفون لهم ما حباهم الله من الكرامة والفضيلة، ثم تنسبون إليهم أنَّهم لا يرضون من المسلمين إلاَّ أن يتبرأوا من آل رسول مثل زيد الشهيد.

وهذه كتب الامامية في التراجم، والنسب مشحونة بالثناء البليغ على زيد الشهيد، ووصفه بكل جميل، وجلالة قدره، وكرامة مقامه عند الشيعة أشهر من أن تذكر، وأمره في الورع والعلم والبسالة، وشدة البأس وإباء النفس، والحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى ما فيه الصلاح وخير الأمة غنيٌ عن البيان. حاز الشف النبويَّ، والمجد العلويَّ، والسؤدد الفاطميَّ، والروح الحسينيَّ، خرّج الشيعة عنه الأحاديث، وأثنوا عليه، ومدحه شعراؤهم، وأبّنوه، وللامامية في ترجمته كتب مفردة تنبىء عن منزلته عندهم. وخرَّجوا أيضاً في شأنه وفضله روايات كثيرة عن النبي والوصي، والإمام الباقر، والصادق، والرضا عليه السلام.

هذه حال الشيعة وسيرتهم في احترام العلويين، وأهل هذا البيت المبارك: فيا أهل الإنصاف هذه كتب التراجم والتاريخ اقرأوا فيها كيف هدر دم زيد الخلفاء الأمويون، وأتباعهم الذين يفتخر الخطيب بهم، ويعتبر حكوماتهم شرعية، وينقم على الشيعة أنَّهم لا يعتبرونها شرعية!

إسألوا الخطيب عن اسماء قتلة زيد، وعمَّن أمر بقتله، ومن قطع رأسه الشريف، والخليفة الذي أمر بإحراقه، وبعث برأسه إلى المدينة فنصب عند قبر الرسول ﷺ يوماً وليلة، واسألوه عن الخليفة الذي أمرأبا خالدِ القسري بقطع لسان الكميت ويده بقصيدة رثى بها زيداً، وابنه يحيى، هل كان هؤلاء من الشيعة أم من أسلاف الخطيب؟

أيُها الخطيب! أو ليس محمد بن إبراهيم المخزومي عامل خليفتكم بالمدينة يعقد الحفلات بها سبعة أيام، ويخرج اليها، ويحضر الخطباء فيلعنون هناك عليّاً وزيداً وشيعته من قومك الماضين؟

أو ليس الحكم الأعور القائل:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة «الخ».

من شعراء رهطك الأولين؟[1].

إقرأ كتب التاريخ، وانظر هل تقدر على إحصاء أسماء من قتل من الشرفاء الأجلاء؟ ثم انظر هل تجد في قاتليهم غير بني العباس، وبني أميّة وعمالهم؟ واسأل عن مذاهبهم،

(١) ومن طريق أخبار زيد ما ذكره عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمذاني في كتاب: «الالفاظ الكتابية» المطبوع للمرة الثامنة في بيروت سنة ١٩١١م ص ١٤٣. قال: ولما أصاب زيد بن علي السهم، وأحس بالموت قال لرجل سأل عنهما: أين السائلي عن أبي بكر وعمر؟ هما أقاماني هذا المقام.

هل كانوا من الشيعة أم من غيرهم؟

إسألوا الخطيب عن أبي البختري وهب بن وهب الذي شق أمان الرشيد ليحيى بن عبد الله بن الحسن بالسكين، وجعل يشقه ويده ترتعد حتى صيره سيوراً فأجازه الرشيد بألف ألف وستمئة ألف هل إنه كان من قضاة الشيعة أم من اصحاب مذهبه، وأرباب نحلته؟

هذا كتاب مقاتل الطالبيين، إقرأ فيه شيئاً من مصائب أهل البيت ومحنهم، وما أصابهم من الخلفاء، وحكوماتكم (الشرعية) من الظلم والقتل، وقطع الأيدي والأرجل، والحبس في أعماق السجون، وتعذيبهم بقطع الماء والطعام عنهم، وارجع إلى نفسك وانظر هل تقرُّ القول بشرعية حكومة هؤلاء الجبابرة؟ وهل ترى من أيَّد تلك الحكومات، وأفتى بوجوب طاعتها، واشترك في مظالمها وجرائمها على الاسلام والمسلمين طمعاً في حطام الدنيا لم يرتكب ذنباً، ولم يقترف إثماً؟

المشهد العلوي المقدس

من الحقائق التاريخية المسلَّمة، والأمور التي لا تقبل الريب والإنكار كون مدفن أمير المؤمنين عليه السلام في المكان المشهور الذي يتشرف الناس بزيارته، وقد أخفى أهل بيته، وأولاده قبره الشريف عن أعدائه من بني أمية وغيرهم، فلم يعرف هؤلاء موضع مضجعه بينما كان أهل بيته وأولاده عارفين بموضع قبر أبيهم عليه السلام، وقد أخبروا بذلك شيعتهم وخواصَّهم، وكانوا يزورونه في هذا المكان الطيب فزاره علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام بالزيارة المأثورة عنه المعروفة بأمين اللّه، وزاره أيضاً أبو عبداللّه جعفر بن محمد عليه السلام وغيرهما من الأئمة، ومشايخ أهل البيت، والنصوص في تعيين محل القبر وأنه بالغريِّ في هذا المكان الذي يزار فيه عن الامام الحسن والحسين، وزين العابدين وابنيه محمد الباقر وزيد الشهيد، وأبي عبد الله الصادق، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى الرضا، ومحمد بن علي الجواد، وغيرهم من الأئمة وأكابر أهل البيت متواترة، ومن يكون أعرف بموضع قبر الميت من أبنائه، وأقاربه، وعشيرته، وخواصه؟

وأخرج أبو الفرج بسنده عن الحسن بن علي الخلال

قال: قلت للحسن بن علي: أين دفنتم أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: خرجنا به ليلاً من منزله حتى مررنا به على مسجد الأشعث حتى خرجنا به إلى الظهر بجنب الغريّ.[1]

واخرج ابن اعثم الكوفي أيضاً في تاريخه «على ما في ترجمته» عن الحسن بن علي عليه السلام أنَّه قال: دفنّاه بالغريّ.

واخرج ابو الفرج أيضاً[2] بسنده عن أبي قرَّة قال: خرجت مع زيد بن علي ليلاً إلى الجبّان، وهو مرخي اليدين لا شيء معه فقال لي يا أبا قُرَّةَ أجائع أنت؟ قلت: نعم فناولين كمثراة ملء الكف ما أدري أريحها أطيب أم طعمها، ثم قال لي: يا أبا قرَّة أتدري أين نحن؟ نحن في روضة من رياض الجنة، نحن عند قبر أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام.

وأخرج الحافظ الصنعاني في «الشمس المنيرة» أنَّ من المشهور أنَّ زيد بن علي عليه السلام الذي ينسب إليه أهل المذهب الزيدي قال لأصحابه وهم يسلكون معه طريق الغري: أتدرون أين نحن؟ نحن في رياض الجنة في طريق قبر أمير المؤمنين عليه السلام.

وأخرج العلامة المحدث الثقة ابن قولويه المتوفي عام

---

(١) مقاتل الطالبيين: ص ٤٢.

(٢) مقاتل الطالبيين: ص ١٢٨.

٣٦٧ أو عام ٣٦٨ في «كامل الزيارة»، والسيد ابن طاوس في «فرحة الغري» النصوص المأثورة المتواترة في ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام، والحسن والحسين والسجاد، وسائر الأئمة عليهم السلام.

نقول هذا وفيه الكفاية وفوق الكفاية غير متعرضين لما ظهر من كرامات كثيرة، وآيات بيِّنة عند الضريح المقدس ممَّا لا تسعه الأوراق، وتعجز عن إحصائه الأقلام. ذكر طائفة منها العلماء والمحدثون في كتبهم بأسناد معتبرة، وصرح بذلك ابن بطوطة[١] وذكر بعض ما يتعلق بليلة المحيا، ليلة السابع والعشرين من رجب.

وقد أفرد الباحثون، والمحققون في تعيين قبره، وأنَّه مدفون بالنجف، وفي تاريخ هذا المشهد الشريف مؤلفات قيمة، منها كتاب «فرحة الغري» للسيد النقيب العلامة غياث الدين عبد الكريم بن طاوس المتوفي عام ٦٩٣، وهو كتاب حسن نافع جيد جداً.

وكتاب «موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام» لأبي الحسن محمد بن علي بن الفضل بن تمام الكوفي الدهقان أحد اعلام القرن الرابع.

وأيضاً كتاب «موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام» لأبي

---

(١) رحلة ابن بطولة: ١/ ١١٠.

جعفر محمد بن بكران عمران الرازي من القرن المذكور.

وكتاب «الدلائل البرهانية في تصحيح الحضرة العلوية» للعلامة الحلي.

وكتاب «نزهة الغري» للشيخ محمد الكوفي.

و«نزهة أهل الحرمين في تعمير المشهدين الغروي والحائري» للسيد العلامة السيد حسن الصدر.

و«ماضي النجف وحاضرها» للشيخ جعفر النجفي آل محبوبة.

و«اليتيمة الغروية» للسيد حسون المتوفي ١٣٣٣.

و«لؤلؤ الصدف» للسيد عبد الله ثقة الاسلام الاصبهاني.

و«حدُّ الغري» وغيره. وصرح بكون القبر في الغري جمع من أكابر المؤرخين كاليعقوبي المتوفي عام ٢٩٢هـ فقال على سبيل الجزم في تاريخه «ودفن بالكوفة في موضع يقال له الغري».

وقال أبو الفداء في المختصر[١]: «والأصح وهو الذي ارتضاه ابن الأثير وغيره أن قبره هو المشهور بالنجف، وهو الذي يزار اليوم».

---

(١) تاريخ ابي الفداء: ٢/ ٩٣.

وقال ابن الطقطقي[1] «واما مدفن أمير المؤمنين عليه السلام فإنه دفن ليلاً بالغري ثم عفي قبره إلى أن ظهر حيث مشهده الآن صلوات الله وسلامه عليه».

وفي «معجم البلدان»[2] وهو «يعني النجف» بظهر الكوفة كالمسناة تمنع سيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها، والنجف وقشور الصليان وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه.

وفيه أيضاً[3]: «والغريان طربا لان وهما بناء ان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه».

وفي «مراصل الاطلاع»[4] و«النجف أيضاً بظهر الكوفة كالمسناة تمنع سيل الماء أن يعلو الكوفة مقابرها، وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب المشهور».

وأخرج الكنجي الشافعي[5] بسنده عن الحاكم أبي عبد الله الحافظ بإسناد رفعه قال: «لما حضرت وفاة علي عليه السلام قال للحسن والحسين عليهما السلام: إذا أنا مت فاحملاني على

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية ص ٧٤.
(٢) معجم البلدان: ٥/ ٢٧١ طبعة بيروت.
(٣) ج٤/ ص ١٩٦.
(٤) ص ٣٩٤ طبع مصر عام ١٣١٠هـ.
(٥) كفاية الطالب ص ٣٢٣.

سرير، ثم أخرجاني ليلاً ثم أتيا بي الغريين فإنّكما ستريان صخرة بيضاء تلمع نوراً، فاحتفرا فإنّكما ستجدان فيها ساحة فادفناني فيها. فدفناه وانصرفنا».

وقال ابن أبي الحديد[1]: «وقبره بالغري «إلى أن قال»وأولاده أعرف بقبره، وأولاد كل الناس أعرف بقبور آبائهم من الأجانب، وهذا القبر الذي زار بنوه لما قدموا العراق منهم جعفر بن محمد عليه السلام وغيره من أكابرهم واعيانهم».

وقال أيضاً في شرح النهج[2]: «وهذا القبر الذي بالغري هو الذي كان بنو علي يزورونه قديماً وحديثاً، ويقولون: «هذا قبر أبينا» لا يشك أحد في ذلك من الشيعة، ولا من غيرهم، أعني بني علي من ظهر الحسن والحسين وغيرهما من سلالته المتقدمين منهم والمتأخرين، ما زاروا ولا وقفوا إلاَّ على هذا القبر بعينه. وقد روى أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي في تاريخه المعروف بـ «المنتظم» وفاة أبي الغنائم محمد بن علي بن ميمون الرسّي المقري بأبي نجودة قرأته قال: توفي أبو الغنائم هذا في سنة عشرو خمسمئة وكان محدثاً من أهل الكوفة ثقة حافظاً، وكان من قوام الليل، ومن أهل السنَّة، وكان يقول: ما

---

(١) شرح النهج: ١/ ٥، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر.

(٢) ٢/ ٤٥ مطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر.

بالكوفة من هو على مذهب أهل السنَّة واصحاب الحديث غيري، وكان يقول: مات بالكوفة ثلاثمئة صحابي ليس قبر أحد منهم معروفاً إلاَّ قبر أمير المؤمنين عليه السلام، وهو هذا القبر الذي يزوره الناس الآن. جاء جعفر بن محمد، وأبوه محمد بن علي بن الحسين عليه السلام فزاراه ـ الخ».

وقد زاره أيضاً جمع من الخلفاء، كالمنصور، والرشيد، والمقتفي، والناصر، والمستنصر، والمستعصم[1].

وفي كتاب «السيدة زينب» الذي وضعته لجنة نشر العلوم والمعارف الاسلامية بالقاهرة: «وخفي قبره إلى أن ظهر حيث مشهده الآن «وفيه» قد ثبت أنَّ زين العابدين علي بن الحسين، وجعفراً الصادق، وابنه موسى زاروه في المكان المذكور، ولم يزل قبره مستوراً لا يعرفه إلاَّ خواصُّ أولاده، ومن يثقون به بوصية كانت لما علم من دولة بني أمية في عداوتهم له فلم يزل مختفياً حتى كان زمن هارون الرشيد «ثم ذكر حكاية خروج هارون إلى ظهر الكوفة للصيد، وما رأى من كرامة الامام عليه السلام، وظهور القبر له بدلالة بعض شيوخ الكوفة، وأمره ببناء قبة عليه»[2].

---

(١) فرحة الغري ص ١٠٠ ـ ١٠٤، و«الحوادث الجامعة» لابن الفوطي ص ١٨٨ و٢٥٧.

(٢) السيدة زينب ـ ص ٥، ٦ و٧، وقال ابن حوقل في «صورة الأرض» ص ٢١٥ وقد شهر أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان هذا المكان، وجعل عليه حصاراً منيعاً وابتنى على القبر قبة عظيمة مرتفعة الأركان، من كل جانب لها أبواب، وسترها =

هذا وإيضاح موضع دفن جثمان الإمام عليه السلام وأنّه في النجف في المحل الذي يزار الآن غنيٌّ عن البيان وقد قام عليه اتفاق أهل بيته والأئمة من ولده وشيعته لم يختلف في ذلك منهم اثنان، ولكن الخطيب أنكر هذا الواقع المسلَّم حسداً وبغضاً لأنَّ في رحاب هذا المشهد تحيى مآثر العترة الطاهرة، وتأسست منذ الف سنة أعظم جامعة اسلامية لا تزال ترسل اشعتها إلى أرجاء العالم الاسلامي.

يحسد الخطيب أهل البيت على ما آتاهم الله من فضله، ومنحهم من المحبة في قلوب المؤمنين وعلى أيامهم ومشاهدهم ومواقفهم التي ترسخ في النفوس حبَّ الشرف والفضيلة.

هذه المشاهد تقول: إنَّ أعداء الحق وأتباع الباطل، وإن جهدوا جهدهم وسعوا سعيهم وقتلوا اصحاب الحق، وهدموا بيوتهم، وفرَّقوا جموعهم، وعذبوهم في قعر السجون، وسبُّوهم على المنابر، لا يقدرون على إطفاء نور الله ويأبي الله إلاَّ أن يتمَّ نوره ولو كره الكافرون.

هذه المشاهد تصرخ في وجوه الظلمة، وتنادي البشرية وتقول: كونوا أحراراً وأنصاراً لدين الله، وأعواناً لعباد الله،

= بفاخر الستور، وفرشها بثمين الحصر الساماني، وقد دفن في هذا المكان المذكور جلة أولاده وسادات آل أبي طالب من خارج هذه القبة، وجعلت الناحية ممَّا دون الحصار الكبير ترباً لآل أبي طالب.

وادفعوا عن كيان الاسلام وشرف الإنسان يبق لكم الذكر الخالد وتقول:

قف دون رأيك في الحياة مجاهداً
إنَّ الحـيـاة عـقـيـدة وجـهـاد

هذه القبور شعائر الحرية، وشعائر اخلاص أبناء البشر، وأهل الإباء والحميَّة. وتدعو الناس إلى إعانة المظلوم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدفاع عن حقوق الانسانية الكبرى.

هذه القبور تقول: «إن أنصار الحق هم الغالبون، وإنَّ حزب اثا هم المفلحون، وإنَّ المستقبل لهم، وإنَّ الدهر لا ينساهم، والله يورثهم الأرض ويجعلهم الأئمة ويجعلهم الوارثين.

لقد حارب هذه القبور، وأراد هدمها، ومنع الناس من زيارتها جبابرة الأرض، وأعداءُ الحرية، والخطيب ومن كان فيه نزعة أموية يتبع أثر هؤلاء فيثقل عليه ما يرى من ميل النفوس إلى زيارة هذه المشاهد، فكأنَّهم يحبون أن تكون هذه الضرائح التي تهوي إليها الأفئدة، وتحن اليها القلوب، لأعداء أهل البيت، وجبابرة التاريخ الذين حاربوا الفضائل الانسانية، وسعوا في إطفاء نور الحق، وكان من ألذِّ الأشياء عندهم قتل الأبرياء، وتعذيب الصلحاء. فيقول في جملة من كلماته التي يظهر منها التعصب والعناد وبغض

أهل البيت عليهم السلام بعد تكرار افتراءاته السابقة على الشيعة من القول بوقوع التحريف في القرآن في ص ٢٧ و٢٨: «وقد زعموا ذلك «يعني القول بالتحريف»[١] في جميع عصورهم، وطبقاتهم على ما نقله عنهم وسجله لهم نابغتهم العزيز عليهم. الحبيب إلى قلوبهم الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي في كتابه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب ربِّ الأرباب» الذي اقترف جناية كتابة كل سطر منه في جانب قبر الصحابي الجليل أمير الكوفة المغيرة بن شعبة (رض) الذي تزعم الشيعة أنَّه قبر علي بن أبي طالب.[٢]

---

(١) قد اشبعنا الكلام في صيانة القرآن من التحريف وذكرنا جملة من أقوال أكابر الشيعة وأحاديثهم في جميع طبقاتهم، وعصورهم في بطلان القول بالتحريف فراجع تمام كلامنا في هذا الباب.

(٢) لم يسبق الخطيب في نقل هذه الفرية أحد إلاَّ الخطيب البغدادي فإنه حكى عن أبي نعيم عن أبي بكر الطلحي أن أبا جعفر الحضرمي كان ينكر ذلك من غير أن يسنده إلى مأخذ أو أصل أو ينقله عن مجهول أو يذكر له مصدراً، ولم يعتمد على هذه الحكاية الواهية أحد من المؤرخين لاقبل الخطيب ولا بعده، وعدَّه العلامة سبط ابن الجوزي من أغلاط أبي نعيم وقال:

«إنَّ المغيرة بن شعبة لم يعرف له قبر وقيل إنَّه مات بالشام (تذكره الخواص ص ١٨٧ ط ٢».

وقال ابن ابي الحديد في المجلد الثاني من شرح النهج ص ٤٥ ـ ٤٦: «سألت بعض من أثق به من عقلاءِ شيوخ أهل الكوفة عما ذكره الخطيب أبو بكر في تاريخه: أن قوماً يقولون: إن هذا القبر الذي تزوره الشيعة إلى جانب الغري هو قبر المغيرة بن شعبة فقال: غلطوا في ذلك، قبر المغيرة، وقبر زياد بالثوية من أرض الكوفة ونحن نعرفها وننقل ذلك عن آبائنا وأجدادنا «الى أن قال» وسألت قطب الدين نقيب الطالبيين أبا عبد الله الحسين بن الاقساسي رحمه الله تعالى عن ذلك فقال: صدق من أخبرك نحن وأهلها كافة نعرف مقابر ثقيف إلى الثوية، وهي الى اليوم معروفة وقبر المغيرة فيها إلاَّ أنها لا تعرف قد ابتلعها =

انظر إلى هذه الكليمات بعين الإنصاف، واقض العجب ممّا يريده هذا الرجل من التفريق بين المؤمنين، وانظر كيف يكرر افتراءاته، وكيف يأتي بكل ما يهيج السنَّة على الشيعة وبالعكس، فيتعرض لما لا يعد من الخلافات المذهبية، ولا مساس له بتحقيق الوحدة الاسلامية.

انظر كيف يثني على المغيرة بن شعبة، ويأبى ذلك في حق من هو مجمع الأوصاف الانسانية المحمودة فيأتي بعد هذا الثناء على المغيرة بذكر اسم أمير المؤمنين عليه السلام، مجرداً عن جميع أوصافه وألقابه.

وانظر كيف لا يستحيي من العلماء، ومن قلمه وقرطاسه، فيقول جازماً من دون أن يذكر خلافاً في ذلك: إن الذي تزعم الشيعة أنَّه قبر علي بن أبي طالب هو قبر المغيرة، كأنَّه من أولاد المغيرة، أو كان حاضراً حين واروه في التراب.

فاسألوا منه من أين عرفت موضع قبر المغيرة؟ ومن أين ثبت ذلك عندك؟ ومن أي مصدر صحيح أخذته؟ وهذا العلاّمة الشهير سبط ابن الجوزي يقول: لم يعرف له قبر،

= السبخ وزبد الأرض وفور انها واختلط بعضها ببعض، ثم قال: إن شئت أن تتحقق أن قبر المغيرة في مقابر ثقيف فانظر الى كتاب الأغاني لأبي الفرج علي بن الحسين وألمح ما قاله في ترجمة المغيرة في الكتاب المذكور، فوجدت الأمر كما قاله النقيب».

وقيل إنَّه مات بالشام، وهذا ابن حبان يقول على ما حكي عنه في معجم البلدان في «الثوية» إنَّ المغيرة بن شعبة دفن بالكوفة بموضع يقال له الثوية وهناك دفن أبو موسى الأشعري في سنة خمسين، وقال في «مراصد الاطلاع» قيل بالثوية دفن المغيرة وأبو موسى الأشعري وزياد.

أم كيف ينكر معرفة ولد أمير المؤمنين الذين دفنوا أباهم، وزاروه في هذا الموضع الذي عرَّفوا الناس به؟ وكيف ينكر معرفة شيعته بقبره؟ فمن كان أبصر وأعلم منهم بذلك؟ وما قيمة إنكار شخص بعيد عن الميت بعد إخبار أولاده وخواصِّه بقبره؟ ومن يعتدُّ بكلام مثل هذا المجازف الذي لا مأخذ له، وأبطلته الاخبار المتواترة المذكورة وتصريحات أعلام المؤرخين، وظهور الكرامات الكثيرة عنه عليه السلام عند القبر الشريف؟

سيرة يزيد

لم يقنع كاتب «الخطوط العريضة» في إظهار الانحراف عن أهل البيت، أصحاب الكساء، وبني فاطمة عليهم السلام، والميل إلى أعدائهم، ومبغضيهم بما افترى على الشيعة حتى مدح في ص ٣١ سيرة يزيد بن معاوية وكفى به عبقرية أن يكون من أمجاده يزيد الخمور الذي اخجل تاريخ الانسانية بما ارتكبه من أنواع الجرائم والمنكرات.[١]

(١) راجع كتب التواريخ كتاريخ الطبري ج٧، وابن الأثيرج ٣، ومروج الذهب ج٣، والبداية والنهاية ج٨، وتاريخ اليعقوبي ج٢، وسير اعلام النبلاء ج٣ (في عبد الله بن حنظلة) وسمو المعنى في سمو الذات او اشعة من حياة الحسين ص ٦٦ ـ ٦٨، وأبو الشهداء، وحياة الحيوان ـ ٢/ ٢٢٤، والبدء والتاريخ، وتذكره الخواص، وغيرها.

غلوّا الخطيب في الصحابة

أعلن الخطيب عقيدته في ص ٣٢، وخالف جميع الأمة فرفع أبا بكر وعمر وعثمان وحتى عمرو بن العاص فجعل منزلتهم أعلى من مرتبة جميع الأنبياء، وجبرئيل وميكائيل وسائر الملائكة، وجميع خلق الله. فانظر كيف يعلن بذلك ويصرح بتفضيل الشيخين وعثمان وحتى مثل عمرو بن العاص على الأنبياء والمرسلين كسيدنا إبراهيم وموسى وعيس وغيرهم عليهم السلام وعلى جميع خلق الله، وهو الذي يمقت الشيعة لقولهم بتفضيل الامام على سائر الصحابة، ويفتري عليهم بأنَّهم «ونعوذ بالله من ذلك» يرفعون مرتبة أئمتهم فوق مرتبة الرسول الأعظم عليه السلام.

وإنَّما ذكر عمرو بن العاص فيمن فضَّله على جميع خلق الله تلويحاً بتفضيل معاوية بن أبي سفيان (والمغيرة بن شعبة ومن يحذو حذوهما في بغض أمير المؤمنين عليه السلام، علي بن أبي طالب عليه السلام وسفك الدِّماء، وقتل الأبرياء) على الأنبياء عليهم السلام أيضاً.

عقائد الإمامية، والتقريب بين المذاهب

قال في ص ٣٣: «إنَّ استحالة التقريب بين طوائف المسلمين، وبين فرق الشيعة هي بسبب مخالفتهم لسائر المسلمين في الأصول، قال: ومما لا ريب فيه أنَّ الشيعة الإمامية هي التي لا ترضى بالتقريب... الخ».

الشيعة الامامية كما تشهد به كتبهم القديمة والحديثة، المطبوعة وغيرها لا تخالف سائر المسلمين في أصول الاسلام: التوحيد، والنبوة، والمعاد.

يؤمنون بالله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً احد.

ويؤمنون بأنبياء اللّه ورسله، ومعجزاتهم وكتبهم لا يفرقون بين أحدٍ منهم.

ويؤمنون بما أنزل على سيدنا محمد خاتم الأنبياء ﷺ، وأنه لا نبي بعده، وبشريعته التي ختمت الشرايع.

وأن القرآن المجيد هذا الكتاب الكريم الذي يقرأه أهل

السنَّة والشيعة هو الكتاب المنزل عليه.

ويؤمنون بسؤال القبر، وقيام الساعة، وإحياء الأموات للحساب، وبالجنة والنار، والصراط والميزان وبملائكة الله، لا سبيل للشك في هذه العقائد عند شيعي.

ويؤمنون أيضاً بوجوب الصلوات المفروضة، وغيرها من الواجبات.

كما أنهم يؤمنون بحرمة الخمر، والميسر، والميتة، ولحم الخنزير، والكذب، والغيبة، والربا، والزنا، واللواط، ونكاح المحارم، وغيرها من المحرمات المعلومة الثابتة بالكتاب والسنَّة المعدودة من ضروريات الدين الحنيف. فمن شك في ذلك فليس من الشيعة في شيء، بل لا يحكمون عليه بالاسلام، ويحكم جميع فقهائهم عليه بالكفر والارتداد.

وهكذا يؤمنون بسائر احكام الله تعالى في: المعاملات، والقضاء، والنكاح والطلاق، والظهار والإيلاء، والحدود والديات.

ولا يضر في الحكم بالاسلام عندهم اختلاف أرباب المذاهب في الفروع الفقهية، فيحكمون باسلام المعتنقين للمذاهب الأربعة المعروفة، بل ومن لم يعتنق خصوص مذهب من هذه المذاهب لأن باب الاجتهاد عندهم مفتوح، فليس على المسلم إلاَّ أن يأخذ بالكتاب والسنَّة، وليس

لحصر المذاهب في الأربعة المشهورة أصل صحيح، بل يجب على من أدّى اجتهاده إلى خلاف هذه المذاهب إتَّباع اجتهاده، ومع هذا كيف لا ترضى الشيعة بالتقريب.

وأمَّا افتراؤه في ص ٣٣ و٣٤ على الشيعة بأنَّهم يرفعون الأئمة عن مرتبة البشر إلى مرتبة آلهة اليونانيين فبهتان محض يعرف كذب هذا الافتراء كلُّ من كان له قليل معرفة بكتب الشيعة وعقائدهم. فهم أبعد الفريقين عن هذه المقالات، لا يقولون بمثل ذلك في رسول الله ﷺ فضلاً عن الأئمة، ويعتقدون فيهم أنَّهم عباداً لله تعالى، مخلوقون، مربوبون، محتاجون إليه وأنَّ من غلا فيهم فاعتقد تأليهم أو اشتراكهم مع الله تعالى في أمر الخلق والرزق، والإماتة والإحياء، وغيرها فهو كافر مرتد خارج عن الاسلام، يحكمون بنجاسته.

وأظن أنَّ الخطيب أيضاً كان عالماً بتنزه الشيعة عن هذه المقالات والعقائد الباطلة، ولكن لمَّا لم يجد شيئاً يمنع من التقريب والتجاوب بين الطرفين جاء بهذا البهتان العظيم، ونسب الشرك والكفر بالقول بتأليه أئمة آل البيت إلى طائفة كبيرة من المسلمين المؤمنين الموحدين الذين يشهدون في مآذنهم، وإذاعاتهم بكلمة التوحيد، يتبرأون ممَّن يعتقد تأليه الأئمة وغيرهم، أو يرفعهم عن مرتبة البشر.

فليس بينهم شيء يمنع من التقريب والتجاوب، وليس

معنى التقريب ان يترك الشيعي مذهبه ويصير سنياً، أو بالعكس[1] بل معناه ان يترك كل على اجتهاده فيعيشوا في مجال أوسع من هذا المجال، وأن يتركوا العصبيات الباردة، ويعترف كل واحد منهم للآخر بالحقوق الاسلامية، لا يتهم السني الشيعي بالشرك والكفر والاستهانة بالفرائض وفعل المحرمات، ولا يتهِّـم الشيعي السنيَّ بالنصب، وعداوة آل البيت، فلا يسيرون إلاَّ على ضوء الحقائق فيؤولون بعض ما يصدر عنهم بحسب اجتهادهم في الكتب والسنَّة بما يتأولون بعض ما صدر من السلف، فإنَّ حاجة المسلمين إلى هذه التأولات فيما بين أنفسهم في عصرنا أكثر وأشد من حاجتهم إلى تأويل أعمال السلف، فإنَّ حسابهم على الله، والزمان حال بيننا وبينهم.

إنَّ الشيعة لا يعتمدون على الافتراء والأكاذيب حين يناقشون غيرهم، بل يعتمدون على الكتب المعتبرة الموثوق بها عندهم، ولا يقابلون الشتيمة بمثلها كشتائم الخطيب وغيره ممَّن لا نريد سرد أسمائهم، وسيحكم الله بينهم، وبين هؤلاء يوم يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون.

فالشيعة أرضى الفريقين بالتقريب، وقد خطت في

---

(١) وهو صريح بيان دار التقريب أيضاً. وصرح به مؤسسها العلامة القمي في مناسبات شتى «راجع: النقط على الحروف» من أبحاث رسالة الاسلام.

سبيله خطواتها الواسعة، ولكن من يريد بقاء الملأ الاسلامي في ظلمة المناقشات والمنافرات لتبقى عليهم سلطة الاستعمار الذي لا يحب التقريب، وتحقق الاخوة الاسمية بين الطائفتين، كما لا يحب أن يعيش أهل القبلة كلهم في عالم واحد معتصمين بحبل الله، فيفتري على الشيعة أموراً لم تخطر على قلب شيعي، وينسب إليهم من العقائد ما هم أبعد منه من المشرق إلى المغرب، كالقول بتأليه الأئمة ونبوتهم، وتارة يكفرهم بآراء لا توجب الكفر بل ولا الفسق اذا كانوا مجتهدين، وذلك مثل التبرىء من أعداء أهل البيت كمعاوية، وعمرو بن العاص، والحجّاج، ويزيد وغيرهم ممَّن ثبتت عداوتهم لأهل البيت، وبغضهم لعليٍّ عليه السلام، قاتلوا علياً وحسناً وحسيناً. فإنَّه ليس ترك هذا التبرىء من أصول الدين، ولا بمرغوب فيه شرعاً، بل دلت الروايات الصحيحة على وجوبه.

وأما ما قاله في ص ٣٤ من مخالفة أصول الشيعة لجميع أصول المسلمين فنسأل الخطيب عن معنى الأصل والأصول، وما قصد من أصول الشيعة، وأصول المسلمين.

فإن كان مراده من أصول الشيعة ما امتازوا به عن أهل السنَّة وغيرهم من فرق المسلمين من التمذهب بمذهب أهل البيت أعدال الكتاب وسفن النجاة فلا تجد فرقة من الفرق

إلاً ولها جهة امتياز عن غيرها، وليس معنى ذلك أنَّها تخالف أصول الاسلام.

وإن كان مراده أنَّ أصول الشيعة تخالف أصول الاسلام والأسس التي عليها يقوم الإيمان، وأنَّ الشيعة لم تأخذ بأصول الاسلام الثابتة بالكتاب الكريم، والسنَّة، فهذا بهتان على الشيعة، فإنَّهم من أشدِّ الناس أخذاً بأصول الاسلام وبالكتاب والسنَّة، ولا ذنب لهم غير أنَّهم لم يؤمنوا بشرعية حكومة أمثال معاوية ويزيد والوليد من الحكام الجبابرة والطواغيت، واهتدوا بهدى أهل البيت عليهم السلام فهل ترى الرجوع إليهم في العلوم الشرعية، والتمسُّك بهم وبالكتاب المأمور به في حديث الثقلين موجباً لجواز تكفير الشيعة أو تفسيقهم؟!

وهل يكون الإيمان بصحة خلافة الشيخين وعثمان من أصول الاسلام؟!

وهل يجوز تكفير مسلم إنْ أدَّى اجتهاده إلى عدم صحتها؟!

فإن جاز ذلك فلم لا تحكمون بكفر النواصب، والخوارج، وأصحاب الجمل، وصفين، وبني أمية، وأتباعهم، من الذين انكروا خلافة علي عليه السلام الشرعية بإجماع الفريقين، وفعلوا ما فعلوا؟

ألاً ترى أنه لم يكفر أحد من الصحابة المسلمين الذين

خرجوا على عثمان حتى قتل وكان في من نقم عليه أمُّ المؤمنين عائشة ولا ينكر ذلك عليها؟!

وإذا كانت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله وسيدة نساء العالمين لم ترض بحكومة أبي بكر ولم تقرَّها ولم تعتبرها شرعية وماتت واجدة عليه كيف يجوز تفسيق من اتبع مذهبها مجتهداً في ذلك؟! ولو كان الإيمان بشرعية هذه الحكومات من أصول الإسلام فكيف خفي على سيدة نساء أهل الجنة وعلى بعلها ـ باب مدينة علم النبي ـ وعلى غيرهما من بني هاشم كالعباس والصحابة الذين امتنعوا عن البيعة؟![1].

فيعلم من ذلك كله أن الاعتقاد بشرعية هذه الحكومات ليس من أصول الاسلام في شيء، ولا يجوز تفسيق من أدى اجتهاده إلى عدم شرعيتها، ولا يجوز لأهل السنَّة تكفير من لا يرى حكومة مضت عليها الدهور وباد أهلها شرعية، ولا ينبغي للمسلمين الاشتغال بهذه المباحث التي قضت عليها الأزمنة، وليس حساب أهلها علينا إن حسابهم

---

(١) راجع صحيح البخاري: ٣/ ٣٥، ومسلم: ٥/ ١٥٤، وأسد الغابة: ٣/ ٢٢٢ و٢٢٣، وتاريخ أبي الفداء: ٢/ ٦٣ و٦٤، والإمامة والسياسة: ١/ ١٠ ـ ١٤، ومروج الذهب: ٣/ ٢٤، وشرح ابن أبي الحدي: ٣/ ٤٠٧، والاستيعاب في باب من اسمه منهم عبدالله، والعقد الفريد: ٢/ ٢٥٠، ٢٨٥، والطبري: ٣/ ١٩٨، و١٩٩ و٢١٠ و: ٤/ ٥٢، وتاريخ الخلفاء ص ٤٥، والصواعق ص ١٢ و١٣، والرياض النضرة: ١/ ١٦٧ وأعلام النساء: ٣/ ١٢٠٦ و١٢٠٧، وتاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٠٣ و١٠٤ و١٠٥.

إلاَّ على الله، وتلك أمة قد خلت ولا مساس للقول بسوء صنيع هؤلاء الأفراد والقول بحسن حالهم بالاسلام فإنَّه أوسع من هذه المجادلات. فإذاً لا ينبغي مناقشة الشيعي بما يرى من جواز التبرىء من أعداء آل محمد، ومبغضيهم وليس هذا مانعاً من التقريب والتجاوب، فكل في تلك المسائل على مذهبه لا يضر ذلك بالتقريب بعد اتفاق الفريقين على اتباع الكتاب والسنَّة، فإنَّ الخلافات ترجع إلى الاختلاف في فهم مدلول الكتاب أو السنَّة، واعتبار بعض الأحاديث وعدمه، وعليه فلو أدى اجتهاد إحدى الطائفتين في مسألة إلى خلاف ما اختارته الأخرى فإنَّما اختارته تمسكاً بالكتاب أو السنَّة، كما أنَّ الطائفة الأخرى أيضاً اختارت كذلك، فإنَّ في أهل السنَّة من يعمل بالقياس والشيعة لا يعملون به ولا يحتجون إلاَّ بالكتاب والسنَّة، فلا يليق أن يكون مجرد ذلك سبباً للجفوة والتباعد، ولا يوجب اختيار رأي في هذه المسائل لا سيما إذا كان عن اجتهاد، وكان مجرداً من العصبية والعناد الخروج عن الاسلام، أو جواز التفسيق، أو استحقاق اللَّوم والتوبيخ.

الشيوعية والتشيع

زعم الخطيب في ص ٣٤ «ان الشيوعية التي تفاقمت في العراق، وبحزب تودة في إيران اكثر ممَّا كان لها من أثر في سائر العالم الاسلامي هي وليدة التشيُّع. والشيوعيون في ذينك القطرين من صميم أبناء الشيعة. (الخ)».

الشيوعية لم تؤثر في ذينك القطرين لاسيما في إيران أكثر ممَّا أثرت في سائر أقطار العالم الاسلامي، وقد بذلت في سبيل تحقق امنياتها في إيران منذ ظهرت إلى الآن أموالاً كثيرة، وفعلت افاعيلها السياسية الهدامة، وعاونها في ذلك عوامل استراتيجية، وكون إيران محاددة لأمِّ الحكومات الشيوعية وأعظمها سلطة وقدرة، ورغبها في بسط نفوذها الغاشم في إيران ما فيها من آبار البترول وغيرها، وكونها طريقاً للاستيلاء على الهند والباكستان، ولقد احتل الجيش الروسي في الحرب العالمية الثانية أقاليم خراسان، ومازندران وآذربايجان، وجيلان فأسست في آذربايجان في ظل اضطهاد القوات الأجنبية واشرافها حكومة شيوعية.

ومع ذلك لم تنجح مساعيها في إيران، ولم تنل ما أرادت

من السلطة على إيران الشيعية فقاومت آذربيجان الاتجاهات الأجنبية، واستقامت بالقوة الروحية الاسلامية، وتحملت الكوارث والمحن الشديدة حتى فشلت دعايات الشيوعيين، فلم تؤثر في الاذربايجانيين ولا في غيرهم، لكونهم من صميم أبناء الشيعة وأغنياء عن الأساليب الاقتصادية التي تعرضها عليهم الشيوعية، ولأنَّهم مؤمنون بأن التعاليم الاسلامية تضمنت جميع ما يحتاجه الانسان من النظم الاقتصادية والاجتماعية.

ولو كان التشيع سبب تأثر إيران والعراق بالشيوعية فما سببه في تأثر البلاد السنِّيَّة منها، ففي بعض الممالك السنّية نرى الحزب الشيوعي من أقوى الأحزاب تأثيراً في الثوارث والحوادث السياسة، وبعضها كالبانيا اعتنقت الشيوعية، وهذه كتب علمائهم، ومثقفيهم، حتى الاسلامية منها بين أيدينا، قد تأثر بعضها بآراء الشيوعيين، ويرى القارىء ميل مصنِّفيها إلى النظام الشيوعي، وتفسير تعاليم الاسلام على نحو يوافق ذلك النظام أضف إلى ذلك جرائد الأحزاب الشيوعية ومجلاتها، ودعاياتها بمختلف الأساليب في تلك البلاد.

أمَّا في إيران فقد فشلت تلك الدعايات وقضى عليها الاسلام والتشيع قضاء حاسماً، واستنكرها الخواص والعوام استنكاراً شديداً.

«ونسأل الله تعالى أن يحفظ بلاد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من شر الأعداء، وأنْ يمنَّ عليها بالخير والبركة والسلام.»

الشيوعية وليدة مظالم المستعمرين

والحق ان الشيوعية مهما ظهرت، وأنى ظهرت في بلاد المسلمين ليست إلاً وليدة جنايات المستعمرين، فإنَّ الاستعمار يمنع اجتماع المسلمين حول أحكام القرآن، ويسعى سعيه لتفريق كلمتهم ليحفظ سلطته على الممالك الاسلامية، ولينهب ما في أيديهم من الثروة، ويقضي على مجدهم وكيانهم.

إن الاستعمار يرى الاسلام صخرة تقاوم مقاصده وأغراضه فيسعى سعيه لتحطيمها، ولئلا تكون الحكومات رمزاً لعلائق المسلمين، ولا تتحقق مقاصد الاستعمار في بلادنا إلاّ إذا عمَّ الجهل والفقر وشملت ابناءنا الرجعية والتقهقر إلى الجاهلية. فالاستعمار يريد اضمحلال المعارف الاسلامية التي هي أرقى المعارف البشرية، ليسلب المسلمين حرياتهم التي منحهم الاسلام إياها، ولا يريد إلاً أن يصبحوا أرقّاءه وعبيد.

الاستعمار هو الذي يرغب الفتيان والفتيات، وأرباب المناصب، والرؤساء، والمترفين، بترك الآداب الاسلامية،

ورفض الشعائر الدينية، ويشوقهم إلى الاشتغال بالملاهي والمعازف، وشرب الخمر، والقمار، والفحشاء، واختلاط النساء بالرجال، ويستأجر الأقلام لتشويق المجتمع إلى الفساد والمنكرات.

وإن خوف الاستعمار من اتحاد المسلمين، وتيقظهم، واجتماعهم حول كلمة التوحيد أشد من خوفه من استيلاء الشيوعية، لأنَّ العالم الاسلامي لو استيقظ من رقدته فلسوف يدافع عن الانسانية وحقوقها المغتصبة، ويعرض عليها أرقى الأساليب والنظم الاجتماعية، وأنفعها في حياتها الاجتماعية، والروحية، والاقتصادية، والمدنية، وينقذ الناس من مظالم المستعمرين، واستبداد الشيوعيين، ويقضي على استثمار الناس بعضهم بعضاً.

ولا تدخل الشيوعية في إقليم إلاً بعد دخول الاستعمار فيه فالاستعمار يمهد السبيل للشيوعية لأنَّه يأتي بالفقر والمشاكل الاقتصادية، ويذهب بالحرية، ويمنع من التقدم، ومن قيام الأمة بما فيه صلاح نفسها، وعلاج دائها.

الاستعمار هو السبب للضعف، وذهاب قوة الأمة، والقضاء على الدين والآداب، والشعائر الاسلامية.

فالاستعمار ينتهي إلى الشيوعية. فإذا بلغت مظالمه غايتها، أخلى السبيل للشيوعيين للقضاء على ما بقي من الحريات والفضائل، ولم تفتتن الجماعات بما تعرض عليها

الشيوعية من أساليبها الخادعة إلاً بما جنت عليها أيدي المستعمرين الجبارين.

الاستعمار يفرق بين المسلمين، ويؤسس في كل إقليم حكومة مستعمرة لتحفظ مصالحه، ويسعى سعيه كي لا تستولي عليه الشيوعية ولا تذهب بسلطانه، ولا يدري أن الشيوعية وليدته، وأنَّ التخلص من نكباتها ـ خصوصاً في الممالك الاسلامية ـ لا يتحقق إلاً بهدم جميع البنايات الاستعمارية، وإيكال أمور المسلمين إلى أنفسهم.

الاسلام ديننا، وعزنا، ومجدنا، وتاريخنا، وتعاليمه واحكامه آدابنا وشريعتنا، وسياسته سياستنا، وحكومته حكومتنا، وبلاده في شرق الأرض وغربها وطننا، لا يصلح أمورنا إلاً الإسلام، ولم يفسد ما فسد منها إلاً البعد عن الاسلام، والمستعمر يريد هدم هذه المباني فيجعل لأهل كل قطر تاريخاً ووطناً، ويشجِّع العصبيات القومية[1]،

---

(١) لا اعتبار في المجتمع الاسلامي للقومية، وإذا كان مفهوم القومية شعور جماعة من الناس أنهم طائفة واحدة فشعور المسلمين أنهم كلهم أبناء الاسلام وأمة القرآن، وأنهم كلهم مشتركون في المصالح والمنافع، وأنه يجب على كل مسلم أن يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه و، و، أقوى واوسع وأشمل من ذلك، والتعبير عن الرابطة الاسلامية بالقومية ونحوها، يقصر عن أفهام تلك الرابطة والأخوة الدينية التي هي نعمة الله على المسلمين، وإذا كانت القومية اتحاد جماعة في اللغة والعنصر والأرض والتاريخ والمصالح فلا اعتبار لها، ولا يجوز لمسلم أن يتميز عن سائر المسلمين بهذه الأمور، بل التمسك بها يوجب التفرق المنهي =

ويكثر أسباب الامتياز بين الأقاليم الاسلامية، ويحيى آثار الأقدمين، ويربط كل شعب بالعصور البائدة، والحياة القبلية، لأن ذلك يقطع أسباب الارتباط بين المسلمين فيجب على أي شعب من المسلمين الاهتمام بإحياء أيام الاسلام وشعائره، دون ما ليس منه بشيء من أيامهم الماضية، وشعائرهم التي أبطلها الاسلام، وأن يعظموا رجالاتهم لأنَّهم رجالات الاسلام، وأن يعتزوا بتاريخ شعبهم لأنَّه صفحة من صفحات تاريخ الاسلام المشرقة، لا لأنَّه تاريخ شعب خاص أو مملكة أو أمة خاصة، لأنَّ هذا من أضر مكائد الاستعمار على الوحدة الاسلامية.

«أللهم ادفع عنّا شرَّ الأعداء، واجمعنا في ظل راية الاسلام، واجعلنا معتصمين بحبلك، وانصرنا على القوم الكافرين».

= عنه. فالتفاهم والتجاوب يجب أن يكونا بالاسلام، وعقيدة التوحيد وأما غير ذلك فـ: «إن هي إلاّ اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم» فلا يقيم الاسلام لوحدة اللغة او لوحدة العنصر والأرض وأمثال هذه وزنا، سيما إذا صارت سبباً للتفرقة وتميز طائفة من المسلمين عن سائر المسلمين.

هذا مضافاً إلى العصبية للقومية بالمعنى المذكور (خصوصاً إذا كانت قبال قومية أخرى من المسلمين) مذمومة شرعاً، ولا ريب في أن الاسلام جاء ليوحِّد الناس عقيدة ومجتمعاً، فليس إذا هنا غير الاسلام، وليست نعرات القوميين والوطنيين والعنصريين في داخل بلاد الاسلام إلاّ شباك الاستعمار، وكل حركة يجب ان تنتهي إلى الاسلام، ولا يصغي المسلم إلى هتاف المستعمرين.

آذربايجان إقليم شيعي

زعم الخطيب في ص ٣٤: «ان علي محمد الشيرازي الذي ادعى قبل مئة سنة أنَّه باب المهدي المنتظر ثم ادعى أنَّه هو المهدي نفي إلى آذربايجان لأنها مباءة السنيين من أهل المذهب الحنفي، ولم تقم الحكومة بنفيه إلى بلد شيعي لأنَّ من طبيعة مذهب الشيعي قبول أهله لهذه الأوهام».

هذا من آثار جهله العجيب بأحوال البلدان، ولا تثريب عليه لأنَّه لا يحترز من القول بغير علم، فيقول ما يوافق هواه، بل ينكر الحقائق الظاهرة، فان إقليم آذربايجان من الأقاليم العريقة بالتشيع والولاء الكامل الخالص لأهل البيت عليهم السلام، ومعاهد الشيعة العلمية، ومدارسهم، وجوامعهم فيها كثيرة، وسكان هذا الاقليم مهتمون غاية الاهتمام بالالتزام بالشعائر الاسلامية، وقد أبلوا في سبيل الدين والتشيُّع بلاءً حسناً، ظهر فيه ثباتهم وصدق عزائمهم، وحسن اسلامهم، وقوة إيمانهم. ونفي علي محمد إلى آذربايجان كان لأسباب سياسية أشير إلى بعضها في كتاب «بي

بهائي باب وبهاء» وكتاب «يا دداشتهاي كينياز دالكوركي الروسي» وقد منع أهل آذربايجان من الافتتان بدعاوى علي محمد تشيعهم، والتزامهم بأصول الاسلام، وولاء أهل البيت عليهم السلام ، فصلب علي محمد هناك «في تبريز» بعد أن تاب ورجع عن دعاواه، وأظهر الاسلام، وكتب توبته بخطه، لكن لم تقبل منه لعدم قبول توبة المرتد عن الفطرة في الظاهر.

حركة البابية والبهائية

وليعلم أن حركة البابية والبهائية في جميع مراحلها كانت تحت حماية السياسة الاستعمارية[1] فهي التي ربتها وقامت بنفقاتها، فاستعملتها أولاً الحكومة الروسية لأهداف سياسية معينة، فشجعت عملاءها (اعضاء هذه الحركة) للقضاء على الحكومة الايرانية، أو التدخل في الشؤون الحكومية، وتفريق كلمة المسلمين، وكانت حكومة إيران في تلك الأزمنة لأسباب معلومة مضطرة إلى المسامحة في الأمور مع حكومة روسيا، ولكن مع ذلك لم تنجح سياسة حكومة روسيا، ولم تتحقق أمنياتها، لأنَّ إيران الشيعية ثارت في وجه هذه السياسات

---

(١) المذاهب والأديان التي احدثتها السياسة، اوربتها في القرن الأخير في الشرق كثيرة ليست منحصرة بالبهائية، ولا فرق بينها وبين الجمعيات والأحزاب السياسية ـ التي تأسست بنفقة بعض الحكومات ـ في اهدافها إلاَّ في الاسم. ومن هذه الفرق: القاديانية التي تسمى بالاحمدية، والآقاخانية. فكل هذه الدعوات أوجدها الاستعمار واليهودية العالمية، والبهائية كما صرح به الباحثون في افكارها، لا تتعدى كونها فكرة ماسونية، ولا سيما في النظام المحفلي «راجع مجلة حضارة الاسلام ـ العدد ٩ و١٠ من السنة العاشرة».

وأخمدت نار فتنها.

ثم دخلت هذه الفرقة مرحلة جديدة، حيث استخدمتها حكومة انكلترا للعمل في إداراتها الجاسوسية إلى أن اتخذت لها «حيفا» و«عكا» مركزاً للدعاية لأنَّها أدركت أن الظروف والأحوال في إيران لا تساعد على قبول مثل هذه الدعايات السخيفة. فخدم الحزب البهائي حكومة انكلترا خدمات خان بها الشرق، والاسلام، والمسلمين لاسيَّما في الحرب العالمية الأولى. فالتمس عباس أفندي رئيس البهائية من القائد الانكليزي اللورد اللنبي الذي دخل بيت المقدس في الحرب العالمية الأولى، أن يمنحه لقب «سير» فحصل عليه، فكانت البهائية في أحضان جواسيس انكلترا إلى أن شاركتهم في ذلك حكومة أمريكا لتستخدمها أيضاً في مقاصدها السياسية في الشرق الأوسط وغيره. فأصبحت البهائية حركة صهيونية امريكية.

قال الكاتب الكبير الدكتور شلبي[1] فيما كتبه عن الجمعيات السرية الخطرة التي كانت ولا تزال من أهم المؤسسات التي اعتمد عليها اليهود لتنفيذ اغراضهم، والوصول إلى اهدافهم فعدَّ منها البابيَّة والبهائية!

«ومن الواضح أن حياة البهائية في عكا بين جماعات

(١) مقارنة الاديان: ١/ ٣٠٩ طبع القاهرة.

اليهود أثرت فيها تأثيراً واسعاً، وقطعت ما كان باقياً بينها وبين الاسلام من صلات طفيفة إن وجدت، فأصبحت البهائية وجهاً آخر لليهودية وللصهيونية.

وقال في «ص ـ ٣١» بعد ذكر موت البهاء: وخلفه ابنه «عباس افندي» الذي كان في خدمة الحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى فأنعمت عليه بريطانيا برتبة «فارس» مع لقب «سير»وتوفي سنة ١٩٣١م فخلفه ابن بنته شوقي رباني الذي مات بعد ذلك دون أن ينجب ولداً.

وفي ظل الفكر الجديد للبهائية دفعها اليهود إلى أقطار الأرض ورعوها بالمال، ومنحوها الرعاية التامة فأصبحت البهائية «حركة صهيونية أمريكية» كما يسميها الكتّاب المحدثون.

وأسفرت البهائية عن وجهها الصهيوني إذ ـ بعد وفاة الميرزا شوقي رباني ـ اجتمع المجلس الأعلى للطائفة البهائية في إسرائيل وانتخب صهيونياً أمريكياً اسمه «ميسون» ليكون رئيساً روحياً لجميع أفرادِ الطائفة البهائية في العالم «انتهى كلام الدكتور شلبي».

وليس لتدخل البهائية في بعض الأمور سبب غير السياسة وليس لأكثرهم، بل للكل سيما زعماءهم ورؤساءهم، إيمان بالبهائية فلم يعتنقوها للتدين بها، بل اعتنقوها ليتقربوا بها إلى اعداء الاسلام، ويكسبوا الدراهم والدنانير.

هذا: وأخيراً نلفت انظار الباحثين في تاريخ البابية والبهائية، وآرائهم، ولعب السياسات بهم، الى كتاب: «تاريخ الباب أو مفتاح باب الأبواب» المطبوع في مصر مطبعة المنار عام ١٣٢١هـ، تأليف دكتور محمد مهدي زعيم الدولة وصاحب جريدة «حكمة» نزيل القاهرة، وكتاب «مهازل البهائية على مسرح السياسة والدين»، تأليف أنور ودود المطبوع في حيفا مطبعة الكشاف، وكتاب «ساخته هاي بهائيت در صحنة دين وسياست» له أيضاً، وكتاب «بي بهائي باب وبهاء» تأليف محمد علي الخادمي الشيرازي، وكتاب «يادداشتهاي كينياز» تأليف كينياز دالكوركي الروسي الوزير المفوض للحكومة الروسية في طهران، وكتاب «محاكمة وبررسي در تاريخ باب وبها» تأليف الدكتور ـ ح م ت، وكتاب «نصايح الهدى» تأليف العلامة البلاغي، وكتاب «بزبكير شرح دزدبكير»، وكتاب «يارقلي» وغيرها.

كما نلفت الأنظار أيضاً إلى التواريخ المؤلفة في عصر حدوث فتنة الباب مثل «روضة الصفا»، و«ناسخ التواريخ» وغيرهما، وإلى كتاب «كشف الحيل» في ثلاثة أجزاء للفاضل البحاثة «الآيتي» الملقب عند البهائية بآواره، وهذا الرجل كان داعيتهم العظيم ونحريرهم الكبير، ومنتهى املهم، وكانوا يعتزون به كمال الاعتزاز فاستبصر وتاب عن ضلالاته واعتنق الاسلام واظهر بطلان مقالات هذه الطائفة،

وأظهر حيلهم، ومخازيهم وشنائع اعمال رؤسائهم، وصنف في ذلك كتباً كثيرة ككتاب «كشف الحيل» ومجلة «نمكدان» وغيرهما[1].

---

(١) ومما ينبغي أن نلفت إليه أنظار الباحثين أن لآيتي كتاب تاريخ موسوم بـ «الكواكب الدرِّيَّة في تاريخ البابية والبهائية» ألفه لقلب الحقائق التاريخية، وإخفاء فضائح هذه الفرقة.

وقد شهد مؤلفه «آيتي» (بعد ما استبصر) بعدم اعتبار هذا التاريخ، وأنهم قد دسوا فيه أربع مرات، واسقطوا منه ما كان ثابتاً من الوقائع التاريخية، وزادوا فيه المئات من الأكاذيب، فراجع كتابه: «كشف الحيل١ «٦٣ ـ ٧٠» و ٢ «١٩١ و١٩٢ الطبعة الرابعة عام ١٣٠٧هـ. ش».

وقرض «الكواكب الدرية» «الميرزا حسن نيكو» وقد شهد هو أيضاً في كتابه «فلسفة نيكو ١/ ١٢٥» الطبعة الأولى سنة ١٣٠٦هـ. ش بأن أكثر ما في كتاب: «الكواكب الدرية» مجعول موضوع لا أصل له ـ فاحفظ ذلك حتى لا تعتمد على هذا التاريخ المزور الموضوع كما اعتمد عليه سعد محمد حسن من علماء الأزهر، ومؤلف كتاب «المهدية في الاسلام» فوقع في اشتباهات كثيرة وزلات عجيبة، وقد اعتمد سعد محمد حسن في كتابه هذا أيضاً على كتب المسيحيين واليهود فنقل عقائد الشيعة عن دوايت دونلدوس، وجولدزيهر، وفان فلوتن، ونيكلسون، وديقتسكي، ومرجليوث من الذين خدموا الاستعمار والتبشير بكتبهم، ولم يفهموا عقائد الفرق، أو لم يكتبوا ما فهموا، وكتبوا ما سمعوا من الجهلاء، وما لم يسمعوا واعتمد أيضاً على كتاب «الوشيعة» المشحون بالأباطيل والنسب المفتعلة على الشيعة، ولم يراجع في ذلك ما كتبه علماء الشيعة في نقض كتاب: «الوشيعة» مثل «نقض الوشيعة» لمؤلف الأعيان الامام السيد محسن الأمين و«أجوبة مسائل موسى جار الله» للإمام السيد شرف الدين العاملي.

فهذه مصادر سعد محمد حسن في كتابه: «المهدية في الاسلام» وما كتب عن الشيعة، وكان الواجب عليه مراجعة كتب أهل السنَّة المعتبرة في المهدية، ومراجعة كتب الشيعة، أو علمائهم في سوريا ولبنان، وإيران والعراق، وسائر الأقطار الاسلامية والعربية، أو مراجعة أقطاب التقريب من علماء الأزهر =

وقد رد عليهم أيضاً: «الميرزا حسن نيكو» في كتاب أسماه: «فلسفة نيكو» في ثلاثة أجزاء، وكان هو أيضاً معدوداً من دعاة البهائية، ولكنه انكر اعتناقه هذا المسلك السخيف، واعتذر بأنه إنَّما دخل فيهم للتعرف على حقيقة مسلكهم، وبواطن أمورهم وأسرارهم.

هذا آخر ما وفقنا اللّه تعالى في نقد «الخطوط العريضة» مع ضيق المجال، وكثرة الاشتغال، واللّه الهادي إلى سواء الصراط: وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلَّى اللّه على سيدنا ونبينا محمد، وآله الهداة وأصحابه الأبرار، والتابعين لهم بإحسان.

= وغيرهم حتى يرشدوه إلى عقائد الشيعة الإمامية ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* سعد محمد حسن: كنت ألتقي به دائماً في مكتبات القاهرة، وكانت لي به صلة وأخبرني بأن قاسم محمد الرجب صاحب مكتبة المثنى ببغداد ـ العراق هو الذي شجعه على تأليف كتابه: «المهدية في الاسلام»، وأرسل له مصادر كتابه هذا من لبنان والعراق، وهو الذي تولى توزيع الكتاب ونشره في الأقطار العربية وغيرها.

وفي إحدى صسفراتي إلى القاهرة طلب مني كتاب (الرد على ابن تيمية) للسيد مهدي القزويني والد الكاتب الاسلامي الكبير السيد أمير محمد القزويني صاحب المؤلفات القيمة، والآثار الخالدة. وسعد هذا كأحمد أمين صاحب «فجر الاسلام» لا تخلوا أبحاثه من سموم، وغايته إيجاد التفرقة، والوقيعة بين المسلمين وكان جُلُّ اعتماده على الكتاب المستشرقين أعداء الاسلام والمسلمين.

فهرس